الحل الإسلامي

فريضة وضرورة

الدكتور يوسف القرضاوي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بالمنزل - بالخرطوم - امتداد
في عصر الأربعاء ٢ من المحرم ١٤٠٠هـ (٢١/١١/١٩٧٩م)

منذ سبع سنوات تقريبا، دخل علي بمنزلي بالبيضاء - ليبيا (وعلى موعد سابق) الطالب "الفهري"، وهو طالب مسلم على وعي يلفت النظر، وقد وضع داخل عباءته الجزء الأول من هذا الكتاب، الذي كان ممنوع التداول هناك شأنه شأن غيره مما كتب "الإخوان المسلمون".

وكان "الفهري" (وهو تونسي الأصل، وقد جاوز العشرين) ثم التحق بالمعاهد الدينية بالبيضاء، ليؤهل نفسه لدخول الجامعة الإسلامية هناك) - كان قد فر بدينه (وترك أشغاله العمل بعد أن كان يعمل ميكانيكيا) من تونس التي فرنجها "بورقيبة" المعلم الديني فكره ومنهجه، وكان إذا ما تقرأ في وجهه وحديثه المخلص وسلوكه، الطهارة والشفافية. وقد عرفني "بالفهري" الأخ عبد السلام عبد الوسيع المشرف على الوافدين والمعلم الذي بالبيضاء. قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب (الذي كان يتنقل من يد إلى يد سرا) وهو يفضح فشل النظم المستوردة في المنطقة (سواء في مصر أم سوريا أم العراق... إلى آخره). أين "الفهري" الآن؟ وماذا حدث له؟ لقد باعدت بيننا الأيام، لكني لن أنساه أبدا.

أما عن المؤلف، فقد عرفته منذ ندوة التشريع الإسلامي بليبيا (البيضاء - مايو ١٩٧٢) وقد كان، وكنت، مشتركا فيها.
وقرأت له من قبل "فقه الزكاة"، والكتاب قيم موجود بمكتبتي بالقاهرة (هدية من مصطفى كامل زوج كريمتي سمية) - استفدت من الكتاب، ونقلت منه في كتابي "نظم الإدارة في الإسلام"

الحل الإسلامي فريضة وضرورة

القطب محمد طبلية

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ شارع سورية
بناية صمدي وصالحة ص.ب ٧٤٦٠
هاتف ٢٩٥٥٠١ برقيا : بيوشران

حتمية الحل الإسلامي (٢)

الحلّ الإسلاميّ

بين

فريضة وضرورة

يوسف القرضاوي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم ، وأصلي وأسلم على محمد عبدك ورسولك ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على دربه .

وبعد ،

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة « حتمية الحل الإسلامي » التي وعدت بها القراء مع صدور الجزء الأول « الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا » منذ ثلاث سنوات . ثم تأخر ظهور هذا الجزء إلى اليوم ، لظروف شغلتني عن إكماله .

والواقع أني كتبت معظم فصول هذا الجزء منذ نحو عشر سنين ، ونشرت بعضها في مجلة « الشهاب » البيروتية الغراء ، وبقي متوقفا على الفصل الأخير منه ، الذي كتبت منه بعضا وبقي بعض ، حتى شرح الله له صدري أخيراً ، ويسّر لي كتابته في وقت كنت أشد ما أكون فيه ازدحاماً بالعمل الرسمي . ولكن الله إذا أراد أمراً يسّر له أسبابه .

وفي هذا الجزء تناولت عدة فصول أو أبواب :

الأول منها : يتحدث عن ضرورة التغيير . بعد أن تحقق فشل الحلين السابقين : الليبرالي والاشتراكي . وثبت أن البديل الفذ هو الحل الإسلامي .

والثاني يتحدث عن « معالم الحل الإسلامي » المنشود . وخطوطه العريضة في مختلف مجالات الحياة : الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية .

والثالث : يتحدث عن شروط الحل الإسلامي التي يجب توافرها . ليكون حلا إسلاميا صحيحا . من ضرورة الدولة المسلمة . والاستمداد من مصادر الإسلام وحدها . والأخذ بالإسلام كله . والإصرار على عنوان الإسلام ، واتخاذه غاية تقصد لا وسيلة تمتطى !

والرابع : يتحدث عن مكاسبنا من وراء الحل الإسلامي . فبه نحقق وجودنا الإسلامي . ونقيم التوازن في حياتنا . ونعالج مشكلاتنا من جذورها ، ونكوّن الإنسان الصالح الذي هو أساس المجتمع الصالح . ونجدد روح القوة في أمتنا ، ونحفظ وحدتها والإخاء بين أبنائها . ونجمع كلمة العرب والمسلمين حول راية الإسلام . ونحقق الأصالة والاستقلال الفكري والعقائدي لأمتنا ... الخ .

والخامس : يتحدث عن السبيل إلى الحل الإسلامي ما هو ؟ وعرض تصورات فئات شتى لهذا السبيل ومناقشتها بالمنطق والدليل . انتهاء إلى الطريق الأمثل ، بل الفذ . كما أراه . وهو سبيل الحركة الإسلامية الشاملة الواعية : وأعني بها العمل الإسلامي الجماعي المنظم المخطط . شارحاً بتركيز معاني الجماعية والتنظيم والتخطيط . ومبيناً عناصر النجاح اللازمة للحركة : من الجيل المسلم الذي تعمل على تكوينه . إلى القاعدة الجماهيرية الإسلامية التي تساندها ، وتناصرها . إلى التغلب على المعوّقات من جهة الشعب . أو من خارج الوطن . أو من داخل الحركة ذاتها . مفصلاً القول في هذه المعوّقات خاصة . لأنها أشد خطراً.

ثم أشرت إلى الحركة الإسلامية بالأمس وما قدمته لمجتمعها وللإسلام والمسلمين ، منتهيا إلى الحركة الإسلامية المنشودة المرجوة لغد الأمة ، موضحا أبرز ملامحها وقسماتها المعبرة عن وجهها ، المميزة لشخصيتها ، كما أتصورها .

وكان المقرر أن يكون في هذا الكتاب فصل أو باب عن « خصائص الحل الإسلامي » والحق أن هذه الخصائص ليست إلا خصائص النظام الإسلامي ، وبعبارة أخرى : خصائص الإسلام ذاته . ومثل هذا الموضوع حريّ بأن يمتد فيه الحديث طولا وعمقاً ، وأن يخصص له كتاب مستقل موضوعه « الخصائص العامة للإسلام » وهو ما أنوي إخراجه تحت هذا العنوان قريباً إن شاء الله .

وبهذا أرجو أن أكون قد وضحت ما ينبغي توضيحه في هذا المقام ، غير زاعم لنفسي الكمال ، ولا مدع لها العصمة ، فما كان من صواب فبتوفيق الله ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله منه ، وأطالب الإخوة القراء أن يسددوني فيه « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

يوسف القرضاوي

الدوحة في ٢٤ / ٥ / ١٣٩٤ هـ .
الموافق ١٤ / ٦ / ١٩٧٤ م .

ضرورة التغيير الحلّ الإسلامي هو البديل

الآن حصحص الحق ، ووضح الصبح لذي عينين .

لقد ثبت فشل الحلين الدخيلين على بلادنا ، المستوردين من عند غيرنا — وهما : الحل الليبرالي الديمقراطي ، والحل الاشتراكي الثوري — في كل مجالات الحياة ، وكان إثم كل منهما أكبر من نفعه ، وفشله أضعاف نجاحه .

أ — فشل في المجال الاقتصادي

ب — فشل في مجال الحرية والطمأنينة للشعب .

جـ — فشل في المجال العسكري .

د — فشل في المجال الروحي .

هـ — فشل في المجال الأخلاقي .

و — فشل في المجال العربي والإسلامي

فماذا بعد ذلك كله ؟ وماذا تعني إنجازات جزئية ومكاسب وقتية أمام الخسائر الكبرى والفشل العام ؟

وكل ما أخذته الأنظمة الثورية على من سبقوها من الحاكمين ، وقعت فيه

وفيما هو شر منه ، وأضافت إلى آثام الأمس آثاماً أكبر وأخبث ، حتى أوشكت أن تصبح سيئات الماضين بجوارها حسنات .

ولا بأس أن أشير إلى مجالات الفشل المذكورة هنا ، مكتفيا بالتفصيل الذي ذكرته في الكتاب الأول « الحلول المستوردة » مركزا على بعض النقاط التي تحتاج إلى توضيح أو تذكير وتوكيد .

فشل في المجال الاقتصادي :

لقد فشلت الليبرالية والاشتراكية كلتاهما في إقامة حياة اقتصادية سليمة متكاملة ، تتحقق فيها زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع ، حياة يتوافر فيها العمل الملائم لكل عاطل ، والأجر العادل لكل عامل ، والكفالة المعيشية لكل عاجز ، وتكافؤ الفرص لكل مواطن ، بحيث يجد كل المواطنين حاجاتهم الأساسية من الغذاء والكساء والمسكن والعلاج والتعليم دون عائق .

أجل ، فشلتا في ذلك على رغم إكثار الأولين (الليبراليين) من القول بمحاربة « الأعداء الثلاثة » : الفقر والمرض والجهل !

وطنطنة الآخرين (الاشتراكيين) بمجتمع الكفاية والعدل ، المجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية !

ولكن لا هؤلاء ولا أولئك أطعموا الشعب من جوع ، أو أغنوه من فقر ، أو علموه من جهل . فلا زالت نسبة الأميين في بلادنا أعلى من معظم بلاد العـــالم .

هذا في جانب العدل والتكافل الاجتماعي .

وفي الجانب الآخر : جانب الكفاية وزيادة الإنتاج ، لم تزل بلادنا معتمدة

أكبر الاعتماد على الاستيراد في آلات الانتاج ، ووسائل النقل ، ومعظم مصنوعات الحضارة ، ولم يستطع الليبراليون ولا الاشتراكيون إقامة تصنيع ثقيل — مدني وحربي — يغني الأمة عن الاستيراد ومدّ اليد إلى الأقوياء ، والتأرجح بين المعسكرات الدولية المتنسافسة ، بغية تأمين السلاح ، والدفاع عن الحمى .

حتى الزراعة التي كانت حرفة أجدادنا من آلاف السنين ، والتي اشتهرت بها بلادنا — حتى حاول الاستعمار في وقت ما إفهامنا أننا لا نحسن غيرها ولا نملك طاقات لشيء سواها — حتى هذه الزراعة لم نرق بها إلى المستوى اللازم لنا ، واللائق بنا ، كماً ونوعاً ، وما زلنا نستورد القمح من خارج أرضنا وإلا هلكنا جوعا . وهكذا نعتمد على غيرنا في جلب الطعام الذي به عيشنا ، والسلاح الذي نصون به حياتنا ! !

لقد فشلت الليبرالية والاشتراكية في الرقي بالمجتمع من التخلف إلى التقدم . لم تستطع هذه ولا تلك ، أن تنتقل بالمجتمع من الاعتماد على الغير إلى الاكتفاء بالذات ، ومن استيراد مصنوعات الحضارة إلى إنتاجها ، ومن شراء السلاح إلى صناعته ، ومن « رواية » العلم أو ترجمته إلى المشاركة فيه . هذا مع أن بعض العلم لا يسمح أهله بروايته ولا ترجمته ، لأنه من الأسرار .

فشل في مجال الحرية والطمأنينة للشعب :

وفشل الحلان كلاهما في تحقيق الأمن والطمأنينة والحرية الحقيقية للشعب ، التي تتمثل في حرية الفرد في أن يفكر وينقد ويبدي رأيه فيما يراه من عوج وفساد ، وفي أن يندد — مع غيره — بالظلم والطغيان ، دون أن يخشى على نفسه من كلاب الصيد التي تختطف الأحرار من بيوتهم ، ومن بين أهليهم وأبنائهم في سواد الليل ، فتلقي بهم إلى ظلمات السجون والمعتقلات ، بلا محاكمة أصلا ،

أو بعد محاكمة صورية ، يرتب فيها الحكم قبل المحاكمات !

لقد لقي الأحرار من المواطنين السجن والاعتقال ، والاضطهاد والتعذيب في كلا العهدين : الديمقراطي والاشتراكي ، ولكن — والحق يقال — لا نسبة بين ما حدث في العهد الأول والعهد الآخر ، لا في الكم ولا في الكيف . حتى إن الذين جرّبوا الاضطهاد في العهدين ، يعتبرون أن المنافي والمعتقلات التي عانوها في العهد السابق ، وطالما شكوا من ظلمها وظلامها — كانت جنة فيحاء بالنسبة إلى معتقلات العهد الثاني وسجونه ومنافيه .

فشل في المجال العسكري :

لقد فشل الحلان : الليبرالي والاشتراكي في تحقيق نصر عسكري في قضية العرب والمسلمين الأولى : قضية فلسطين ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين .. فشلت الديمقراطية فشلاً تجسد في هزيمة الجيوش العربية في سنة ١٩٤٨ م ، وقيام دولة « إسرائيل » — المزعومة كما كنا نسميها لعدة سنوات — وتشريد مليون مواطن من شعب فلسطين ، وتحويلهم إلى لاجئين .

ثم بعد ١٩ تسعة عشر عاماً ، وبعد تحوّل عدد غير هين من الدول العربية إلى الاشتراكية الثورية ، وبعد الإعداد والتجهيز للحرب ، وشراء السلاح بمئات الملايين من عرق الشعب ، واستقدام الخبراء ، وإطلاق الحناجر بالجعجعة والوعيد ، وبعد أن أصبح العسكريون هم القادة السياسيين أيضا . فشلت الاشتراكية اليسارية فشلا أنكى وأقسى من فشل سابقتها . فقد جاء بعد آمال عراض ، وأحلام عذاب ، وبعد تصريحات نارية ، وتهديدات عنترية [1] ،

---

(١) جرينا على ما يقوله كثير من الكتاب ، وإن كنا نرى الأصوب ألا يقال « عنترية » بل «فرزدقية» إشارة إلى قول جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا   أبشر بطول سلامة يا مربع ! !

اما عنترة فكان يقول ويفعل

ومعذرة لفترة ! . وقد تجسم هذا الفشل في هزيمة «حزيران» «يونيو» سنة ١٩٦٧م ثم ضمت إلى هذا الفشل العسكري كبيرتين من كبائر الخطايا :

أولاهما : أنها جعلت أكبر همها ، «إزالة آثار العدوان» ، وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه في ٤ / ٦ / ١٩٦٧ م . كأنما إسرائيل كلها ليست قائمة على أساس الاغتصاب والعدوان . وكأنما العدوان الجديد أضفى الشرعية على مكاسب العدوان القديم .

والثانية : بتبجحها العجيب ، حين اعتبرت ضياع الأرض . وهوان العرض . وانهيار الجيوش ... كل ذلك لا يعد هزيمة يفرح بها العدو . ويحزن لها الصديق ، ما دامت الأنظمة الثورية باقية في دست الحكم ! وفي الحديث « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت ! » .

ولولا نفحات من رياح الجنة هبت في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٤هـ بفضل الصاغين القائمين من أبناء هذه الأمة وجنودها .

فشل في المجال الأخلاقي .

وفشل الحلاّن ... قبل ذلك كله — في الحفاظ على أخلاق الأمة وفضائلها الأصلية ، وقيمها الرفيعة . لم يستطيعا تخليص الأمة من الرذائل الموروثة من عهود الانحطاط . ولا مطاردة الرذائل الدخيلة ، التي جلبها وراءه الغـزو الاستعماري .

ومن هنا انتشر الفساد ، وطغت الشهوات . وطم سيل الميوعة والتهتك . وفقد النساء — أو أكثرهن — الحياء ، وفقد الرجال ... أو أكثرهم — الغيرة . وأصبح الغيور المحافظ على دينه وعرضه وأسرته . رجعيا متخلفا يفكر بعقل قرون مضت . وأصبح « الديوث » الذي لا يبالي من دخل على أهله تقدميا متحررا يستحق أن يعيش في القرن العشرين .

ومن جانب آخر شاع العبث والمجون والاستهتار بالمصالح العامة ، والاستخفاف بحقوق الآخرين، وحصر التفكير في المنفعة الذاتية المادية العاجلة . وانتشرت الرشوة والمحسوبية انتشار النار في الهشيم وأصبحت الحكمة الشائعة على ألسنة الناس هي قول الشاعر :

إذا كنت في حاجة مرسلا وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم !

وبجوار ذلك كله سادت روح السلبية في المواطنين وعدم المبالاة ، وترك الأمور تجري في أعنتها ، غير عابئين بنتائجها أو مصايرها . وهذا شر ما تصاب به أمة .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا !

فشل في المجال الروحي :

وكذلك فشل الحلا"ن كلاهما : أن يمسكا على الأمة إيمانها الذي تعتز به . وتعض عليه بالنواجذ . وتعتبره أساس وجودها وبقائها : إيمانها بالله . وإيمانها برسالاته . وإيمانها بحسابه وجزائه في الآخرة . فاهتزت القيم الدينية في أنفس كثير من الناس . ووجد تيار الشك والإلحاد له أعوانا وصحفا وأجهزة تنشر الضلال والفسوق والعصيان .

وكيف يستطيع الحلا"ن الدخيلان المستوردان أن يحفظا على الأمة إيمانها ، فضلا عن تثبيته وتركيزه ومد" شعاعه في كل مجالات الحياة ؟

كيف وانتصار هذين الحلين نفسيهما) تحد" لهذا الإيمان ، ومعارضة له ؟

إن هذين الحلين إنما جاءا من الغرب الذي لم يعرف الإيمان بالله معرفة

صحيحة قط [١] ، ولهذا كانت الحضارة الغربية ذات فرعين : فرع ينكر وجود الله إنكارا مباشرا ، ولا يرى أن الله خلق الإنسان ، بل الإنسان هو الذي خلق الله ، كما زعم بعض الفلاسفة الماديين ، وتبنى ذلك «كارل ماركس» وأقام على أساسه فلسفته المادية الجدلية ، ونظريته الاشتراكية العلمية .

والفرع الآخر : لا ينكر الله في صراحة وقطع ، ولكنه لا يعترف له بسلطان على عباده ، يأمر وينهى ، ويحكم ويشرع ، وبهذا لا يدع في الحياة ولا في المجتمع مجالاً لله سبحانه . وهذا ما عبّر عنه « ليوبولد فايس » أو «محمد أسد» بقوله : « إن المدنية الغربية لا تجحد « الله » البتة ، ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة «لله» في نظامها الفكري الحالي » [٢] .

فشل في المجال العربي والإسلامي :

وفشل الحل الليبرالي الديمقراطي ، والحل الاشتراكي الثوري ، كذلك في تحقيق الوحدة والأخوة والتضامن الحقيقي بين أبناء البلد الواحد ، ولم نر إلا التطاحن الحزبي ، أو التشاحن الطبقي ، أو الصراع الفكري ، أو التناحر السياسي ، أو التباغض الديني ، أو التحاسد الشخصي ، أو كل ذلك وغير ذلك من ألوان التنافر والتجافي والصراع ، التي مزقت الوطن الواحد كل ممزق ، وجعلت بعض فئاته أعداء لبعض ، ووسعت الفجوة بين الحكام والشعوب ، فأولئك في واد ، وهؤلاء في واد آخر .

وإذا كان هذا على مستوى البلد الواحد ، فكيف إذا نظرنا إلى العرب

---

(١) لأن المسيحية التي وصلت الى الغرب لم تكن مسيحية المسيح الأصيلة ، بل مسيحية الملك قسطنطين ومجمع نيقية وغيره ، ممن ألهوا المسيح وخرجوا بديانته عن التوحيد ، ملة إبراهيم ، وتجاوزوا به مكانه من العبودية لله .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٣٩ ط سادسة .

جميعا باعتبارهم شعبا واحدا ، جمعت بين أبنائه وحدة الدين واللغة والثقافة والتاريخ ، فضلا عن وحدة الأرض والمصالح ، والآلام والآمال ؟ .

وكيف إذا نظرنا إلى المسلمين جميعا بوصفهم أمة واحدة ، جعلها الله وحدها هي الأمة الوسط ، واعتبرها في كتابه خير أمة أخرجت للناس ، فهي أمة واحدة في عقائدها وتصوراتها . واحدة في شعائرها وعباداتها . واحدة في مثلها وأخلاقها . واحدة في آدابها وتقاليدها . واحدة في مشاعرها وآمالها . واحدة في تشريعها وتوجيهها . وأخيراً واحدة في قيادتها السياسية الدينية ، الروحية الزمنية ، المتمثلة في الخلافة الإسلامية الواجبة ؟ .

لقد فشل الحلاّن في ربط الأمة الإسلامية بعضها ببعض . وتقريبها من الوحدة الإسلامية المنشودة . نتيجة حتمية لغلبة النزعات الوطنية أولاً . والقومية آخراً ، بحيث طغت هذه النزعات على الأخوة الإسلامية الجامعة . ثم نتيجة لاختلاف مذاهب السياسة والفكر التي يتبعها كل بلد ، من التبعية للغرب أو الشرق .

ولا غرو أن وجدنا القضايا الإسلامية المختلفة يتولاها كل بلد باعتبارها شيئا يخصه وحده . ولا يعني سائر المسلمين ، وينظر إليها بقيةالمسلمين في أنحاء الأرض ، وكأنه حدث في بلد أجنبي ، أو في بلاد واق الواق ، لا يهمهم ولا يشغلهم ، وهذا كله ثمرة لأزمة للثقافة القومية العلمانية .

لقد ترتب على ذلك أن وجدنا بلدا مثل تركية — أعني حكوماته المتعاقبة منذ نصف قرن — تعترف بإسرائيل ، وتقيم معها علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، ضاربة عرض الحائط بمشاعر العرب ، وأخوة العرب ، وحقوق العرب . وذلك لأن الذي يربط تركيا بالعرب هو الإسلام ، ولكن تركية القومية و«الطورانية» العلمانية الحديثة : تركية كمال أتاتورك — قطعت كلّ ما بينها وبين الإسلام . فقطعت — بالتالي — ما بينها وبين العرب ، حتى حروف الكتابة العربية ! !

وكان للعرب موقف مشابه من موقف تركية ، وذلك في النزاع الذي قام حول «قبرص» بين القبارصة الأتراك المسلمين ، والقبارصة اليونانيين المسيحيين ، فكان موقف العرب — إجمالاً — في صف القمص «مكاريوس» وأتباعه ، إلى حدّ أن بعضهم زوده بالسلاح ، ليقتل به المسلمين الذين حوصروا وقتلوا بالجوع والظمأ ، فضلا عن الحديد والنار .

وقد زرت تركيا في صيف سنة ١٩٦٧ م ؛ فسألني الكثيرون بعد محاضرة ألقيتها هناك : كيف وقفتم — معشر العرب — مع «مكاريوس» ضد إخوانكم المسلمين من الترك ؟

فقلت لهم : وكيف وقفتم معشر الأتراك — مع إسرائيل فاعترفتم بها رسميا ضدّ إخوانكم المسلمين من العرب ؟ .

قالوا : إنما هذا تصرف حكومات علمانية لا نرضى عن سياستها ، ولا نؤمن باتجاهها .

قلت : وهذا نفس الوضع عندنا . فأغلبية الشعوب العربية تؤمن بأخوة المسلمين وتضامنهم — على الأقل — ولكن حكومات قومية علمانية فرضتها أوضاع قاهرة ، هي التي وقفت هذا الموقف .

وفي مشكلة كشمير الإسلامية وقف العرب منها إما متفرجين — محايدين فيما زعموا ، — وإما ممالئين ظاهراً أو باطناً لسياسة الهند العدوانية ، لأنها الصديقة الاشتراكية ! وهذا برغم موقف باكستان المشرّف من قضايا العرب باستمرار .

وفي الحرب التي قامت بين الهند وباكستان سنة ١٩٦٥ م كان هذا هو موقف العرب أيضا ، حتى قرأنا يومها أعجب بيان يصدره شيخ الأزهر — شيخ الإسلام في مصر — بيان يدعو البلدين المتقاتلين إلى وقف القتال . لا إلى مساندة البلد المسلم المعتدى عليه من الوثنية الحاقدة المتربصة . أو على الأقل

الأقل السكوت والرضا بأضعف الإيمان .

ولهذا لم نعجب أن احتل المسجد الأقصى ، ثم أحرق فيما بعد ، ولم يتزلزل العالم الإسلامي لهذا الحادث الجلل ، ولم تتحول الثورات العاطفية التي حدثت حينذاك إلى عمل إيجابي . وذلك لتقطع الروابط الإسلامية ، وانطفاء جذوة الروح الإيمانية ، التي لم يفلح في إشعالها قرارات مؤتمر علماء المسلمين في مجمع بحوث الأزهر بمصر . ولا نداءات مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة . لأن المسلمين نائمون ، والنائم لا يسمع النداء . فلا بدّ من دعوة إيقاظ ، وحركة إحياء ، قبل إصدار النداءات **والقرارات** .

وما أقسى أن يعبّر ماركسي شامت عن نتائج هذه النداءات بأنها أصداء بئر خاوية !

من **المسؤول** ؟ . إنه الأنظمة التي تحكم هذه البلاد ، والتيارات التي تسودها وتحركها . فقد أماتت فيها روح الإسلام ، وأحيت معاني الجاهلية ! .

مآخذ « الميثاق » على الحكم الوطني المصري بعد ثورة ١٩١٩ :

لقد عاب « الميثاق » المصري على الاتجاه الليبرالي — الذي ساد مصر بعد ثورة ١٩١٩ م — أموراً ثلاثة كانت هي الأسباب الواضحة التي أدت إلى فشل « الثورة الوطنية » في مصر في تحقيق أهداف الشعب .

إهمال التغيير الاجتماعي :

الأمر الأول

إغفال القيادات الثورية والزعامات السياسية مطالب « **التغيير الاجتماعي** » نظراً لأن طبيعة « المرحلة التاريخية » جعلت من طبقة ملاك الأرض أساساً للأحزاب السياسية التي تصدت لقيادة الثورة .

ولقد كانت الدعوة إلى تمصير بعض أوجه النشاط المالي هي قصارى الجهد في ذلك الوقت ، في حين أن الدعوة إلى إعادة توزيع الثروة الوطنية أصلاً وأساساً كانت هي المطلب الحيوي الذي يتحتم البدء فيه من غير تأخر أو إبطاء .

الغفلة عن رابطة العروبة :

الأمر الثاني

أن القيادات الثورية في ذلك الوقت لم تستطع أن تمدّ **بصرها عبر سيناء** . وعجزت عن تحديد « **الشخصية المصرية** » ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه **ليس هنالك صدام على الإطلاق بين الوطنية المصرية وبين القوميـــة العربية** . « لقد فشلت هذه القيادات أن تتعلم من التاريخ . وفشلت أيضا في أن تتعلم من عدوّها الذي تحاربه . والذي كان يعامل الأمة العربية كلها — على اختلاف شعوبها — طبقا لمخطط واحد .

« ومن هنا فإن قيادات الثورة **لم تنتبه إلى خطورة وعد بلفور** الذي أنشأ إسرائيل ، لتكون فاصلاً يمزق امتداد الأرض العربية ، وقاعدة لتهديدها .

« وبهذا الفشل . فإن النضال العربي — في ساعة من أخطر ساعات الأزمة — حرم من الطاقة الثورية المصرية ، وتمكنت القوى الاستعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية ممزقة الأوصال . مفتتة الجهد . »

الانخداع بالاستقلال الاسمي :

الأمر الثالث

إن القيادات الثورية لم تستطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الأساليب التي واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب في ذلك الوقت .

« إن الاستعمار اكتشف أن القوة العسكرية تزيد ثورات الشعوب اشتعالاً . ومن ثم انتقل من السيف إلى الخديعة ، وقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات

الثورية أن خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقي . وكان منطق الأوضاع الطبقية يزين لها هذا الخلط .

« إن الاستعمار في هذه الفترة أعطى من الاستقلال اسمه . وسلب مضمونه . ومنح من الحرية شعارها . واغتصب حقيقتها . وهكذا انتهت الثورة بإعلان استقلال لا مضمون له . وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال .

وزادت المضاعفات خطورة بسبب « الحكم الذاتي » الذي منحه الاستعمار ، والذي أوقع الوطن — باسم الدستور — في محنة الخلاف على الغنائم دون نصر .

« وكانت النتيجة أن أصبح الصراع الحزبي في مصر ملهاة تشغل الناس ، وتحرق الطاقة الثورية في هباء لا نتيجة له [1] » .

ثورة ١٩٥٢ لم تستفد من أخطاء ثورة ١٩١٩ :

هذه الأمور الثلاثة التي أخذها الميثاق المصري الناصري على ثورة سنة ١٩١٩ ، وبعبارة أخرى : على الليبرالية الديمقراطية المصرية ، وأدت إلى فشلها في تحقيق آمال الشعب ومطالبه .

وهي مآخذ حقيقية وعيوب صادقة لا مجال لردّها وإنكارها .

ولكن هل استفادت ثورة ١٩٥٢ م من ثورة ١٩١٩ م . وبعبارة أخرى : هل استفادت الاشتراكية الثورية المصرية — واليسار العربي بصفة عامة — من دروس الليبرالية العلمانية الوطنية وأخطائها ؟

إن الذي سجله التاريخ عليها أنها لم تعتبر بمصير الثورة التي ورثتها ، والاتجاه الذي خلفته . ولم تنتفع بما أنكرته عليها من مآخذ ، وما خلفته من آثار ونتائج .

---

(١) الميثاق . الباب الثالث ص ٢٤ — ص ٢٧ .

كان يؤمل أن تفتح أعينها على حقائق هامة ، أحدها : أن تكتشف نفسها ، وتعرف موقعها . ولكنها لم تفعل .

لهذا فشلت الثورة الاشتراكية العربية . كما فشلت الثورة الليبرالية الوطنية ومن أبرز أسباب هذا الفشل ما نبينه فيما يلي :

حقيقة التغيير الاجتماعي وكيف يتم :

١ — إن القيادات الثورية العربية — في مصر خاصة وفي البلاد العربية عامة — لم تفهم حقيقة « التغيير الاجتماعي » الذي رفعوا شعاره ، والذي تتوق شعوب المنطقة إليه ، والذي أسهم والتيار الإسلامي » بدور رئيسي في توعية الشعب بضرورته ، والالتفاف حول المطالبة به .

لقد تخيلت هذه القيادات أن مجرد « إحلال طبقة محل طبقة » ، أن مجرد إصدار قرارات بجملة من التأميمات والمصادرات ، يغير « الواقع الاجتماعي » السيء إلى واقع حسن .

لقد توهمت أن المشروعات المرتجلة ، والقرارات المستعجلة — والتي تعمل أجهزة الإعلام الضخمة على تمجيدها وإحاطتها بهالة كبيرة من الدعاية لها — كفيلة بتغيير الأوضاع .

لقد أغفلت هذه القيادات الثورية العنصر الأخلاقي والروحي في التغيير — إغفالا يكاد يكون تاماً — مع أن كل ثورة اجتماعية لا تسبقها وتصاحبها ثورة روحية ، فكرية ، نفسية ، هي — بلا ريب — ثورة مآلها إلى الفشل والخيبة .

لقد بيّن القرآن الكريم هذه السنة الاجتماعية ، ووضعها في صيغة قانون إلهي ثابت لا يتخلف ولا يحابي ولا يظلم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » [1] .

---

(١) سورة الرعد : ١١ .

ومن المقرر الذي لا خلاف عليه أن تغيير الأنفس ليس بالأمر الهين . إنه ليس تغيير ملبس أو زي بآخر . إن معناه تغيير الإنسان ذاته من حال إلى حال . تغيير وجهته وأفكاره ومشاعره وأهدافه وطرائقه . وهذا هو « التغيير الثوري » الحقيقي . لأنه تغيير ينفذ إلى الروح والجوهر . ولا يقف عند الغلاف والمظهر . مصداقا لما قاله معلم الإنسانية « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهي القلب » [1] .

هذا التغيير النفسي لا يتم إلا بوسيلة واحدة هي الإيمان [2] . الإيمان الذي صنع من قبائل العرب المتفرقة الممزقة من قبل خير أمة أخرجت للناس . وبعثهم في أنحاء الأرض ينشرون الحق . ويدعون إلى الخير . ويخرجون الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة . ومن جور الأديان والظلام إلى عدل الإسلام .

الإيمان الذي غيّر سحرة فرعون من أبناء مصر . حين خالطت بشاشته قلوبهم ، فانقلبوا من أذناب مهرجين مأجورين يطلبون المال والزلفى بين يدي فرعون . إلى أحرار مؤمنين أقوياء . يتحدون بإيمانهم جبروت فرعون . وإرهاب زبانيته ، غير عابئين بوعيده وتهديده بالتقتيل والتصليب . « قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقض ما أنت قاض . إنما تقضي هذه الحياة الدنيا » [3] .

إن هؤلاء الأبطال نموذج لما يمكن أن يصنعه الإيمان بشعب كالشعب المصري ؛ حين يدع سحر الفراعنة ، ويعرف الطريق إلى الله .

وليت هؤلاء الثوريين اقتصروا فقط على إغفال العنصر الروحي والأخلاقي ، بل طاردوه وحاربوا دعاته ، ونكلوا بهم شرّ تنكيل . وشجعوا

---

(١) متفق عليه .

(٢) راجع فصل « الإيمان والاصلاح » من كتابنا « الإيمان والحياة » .

(٣) سورة طه : ٧٢ .

الجور والعبث . وأطلقوا العنان للميوعة والتحلل ، واختلاط الشبان والشابات في المعسكرات والرحلات وما شابهها .

كما أغفل هؤلاء عنصراً آخر يكمل العنصر السابق ، وإن شئت فقل : هو شرط له ، ذلك هو عنصر « الحرية » السياسية . فتوافر الحرية لأبناء المجتمع هو « المُناخ » الضروري ، والتربة اللازمة ، لكي يخرج « التغيير الاجتماعي » نباته بإذن ربه طيبا مباركا . ولا يخرج خبيثاً نكداً .

ولكن القيادات الثورية أهملت الحرية ، بل أهدرت قيمتها ، بل عادتها وقاومتها بكل سبيل ، وحرمت أفضل العناصر الوطنية من الحرية : حرية التعبير والنقد والخطابة والكتابة والتجمع بحجة كاذبة مضللة ، هي « حماية الثورة من أعداء الثورة » أو من « الثورة المضادة » . ولا أدري ما الذي جعل الثورة الأولى حقا ، والثورة الأخرى المضادة لها باطلا ؟ أهو لمجرد السبق الزمني كانت الأولى مشروعة ، والثانية عدوانا ؟ أم لأن هذه في السلطة فكل مسا عارضها يفقد الصفة الشرعية ، ولا يستحق البقاء ؟ !

وكان أعجب شعار رفعته القيادات الثورية : أنه « لا حرية لأعداء الحرية » فكل لسان حرّ يجب أن يخرس ، وكل قلم حرّ يجب أن يكسر ، وكل فكر حرّ يجب أن يخنق ؛ لأن أصحاب هذه الألسنة والأقلام والأفكار « أعداء الحرية » حرية السلطات الحاكمة في أن تفعل بالشعب ما تشاء ، وتعبث بمصيره ومقدراته وحرماته كيف تشاء ! !

ثم إن التغيير الاجتماعي ما لم يستند إلى عقيدة — ايديولوجية أساسية — يؤمن بها الشعب — ويعمل بموجبها ، ويضحي في سبيلها ، ويخضع لمقرراتها ، ويلتزم بحدودها ، يكون تغييراً غير هادف ، همه أن يزيل شيئاً بشيء ، أو يحل جديداً محل قديم ، أو يكون تغييرا هدفه الهدم لا البناء ، والمحــو لا الإثبات .

ومن المؤسف **أن القيادات الثورية أغفلت العقيدة أو « الايديولوجية »**

الوحيدة التي لا تؤمن شعوبنا إلا بها ، ولا تتجمع إلا حول رايتها ، وهي «الإسلام .» وظلت فترة في شبه فراغ أو في تأرجح وتردد ، ثم حاولت أن تملأ هذا الفراغ عن طريق«التسول الفكري » ،نتيجة لجهلها بتراثها وحضارتها . وفقدانها الثقة بنفسها ودينها وتاريخها . ورغبتها : إرضاء للسادة أعداء الاتجاه إلى الإسلام : والشحاذة والتسول أيسر طريق للكسالى من العاطلين الذين يريدون الغنى بغير جهد . واكتناز الثروة بغير عمل .

وقد عثر هؤلاء - في أثناء تسكعهم في شوارع الفكر الغربي ومنتدياته - على « الاشتراكية العلمية » فطاروا بها فرحاً ، وعادوا بها مبشرين ومنذرين . بعد أن طعموها بخليط من الأفكار الليبرالية الغربية ، والأفكار الوطنية والقومية . مع شيء من الأفكار الدينية ، المشوشة في بعض الأحيان .

وكانت نتيجة ذلك هو الاضطراب والتخبط . أو البذر في الهواء ، والبناء على كثيب من الرمل . لا ثبات له ولا قرار . هذا إن أمكن أن يقوم البناء .

كانت نتيجة ذلك هو السير في غير الاتجاه الصحيح .والسير في غير الاتجاه الصحيح مهما اجتاز صاحبه من مفاوز ، وقطع من مسافات ، وبذل من جهد وعرق . لا يقرب من الهدف المنشود ، بل يبعد عنه ، هذا إن افترضنا وجود هدف محدد .

ومن ثم فشلت القيادات الثورية العربية في تحقيق « التغيير الاجتماعي » الذي نادوا به ؛ **لأنهم لم يفهموا حقيقته ، ولم يعرفوا شروطه ومناخه ، ولم يسلكو له سبيله ، ولم يدركوا أساسه** الذي يجب أن يقوم عليه البناء . فتخبطوا وتعثروا وتناقضوا .

وانتهى تخبطهم إلى مطالبة بعض اليساريين العرب بتغيير كل شيء : القيم والأخلاق ، والمفاهيم والعقائد . **وبهذا انتهى مفهوم « التغيير » إلى « الهدم » المطلق** . إلى ريح عقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

الصلة العميقة الأصيلة بين العروبة والإسلام :

وإذا كان « الميثاق » المصري قد عاب على القيادات الحاكمة بعد ثورة ١٩١٩ م عجزها عن تحديد « الشخصية المصرية » وعن فهم الصلة التاريخية بين **الوطنية المصرية والقومية العربية . فلم تتعلم من التاريخ ، ولا من عدوّها** الذي يعامل الأمة العربية كلها طبقاً لمخطط واحد . فنحن نعيب على القيادات العربية الحاكمة بعد ثورة ١٩٥٢ م وما تبعها من ثورات أنها عجزت عجزاً بيناً عن تحديد « الشخصية العربية » ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أيضاً الصلة العميقة بين العروبة والإسلام . وبين الشعب العربي والأمة الإسلامية .

إن ارتباط الشخصية العربية بالإسلام ارتباط عضوي لا ريب فيه . فالإسلام هو صانع تاريخ العرب وأمجادهم . وثقافتهم ومثلهم وحضارتهم . ومخلد لغتهم . ورافع ذكرهم في العالمين عامة . وفي الشعوب الإسلامية خاصة .

إن الذي جعل من العرب أمة رائدة ، ووضع في أيديهم القيادة ، وجمعهم من شتات العصبية . وحررهم من جهالة الأمية . وضلال الوثنية . وقذارة الجاهلية ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور . هو الإسلام الذي بعث الله به رسوله الخاتم . وأنزل به كتابه الخالد « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته . ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » [١]

وهم في خلال أربعة عشر قرناً لم يحرزوا تقدماً ، أو يحققوا نصراً إلا بالإسلام . كما أن ارتباط الشعب العربي بالأمة الإسلامية الكبرى هو ارتباط قائم دائم لا يجادل فيه إلا مكابر . لأنه يقوم على أساس من وحدة العقيدة . ووحدة الشريعة . ووحدة الأهداف . ووحدة الثقافة ، ووحدة التاريخ ،

---

(١) سورة الجمعة — ٢ .

ووحدة المصالح . وهذه الوحدات كلها هي التي صنعت وحدة الأفكار والمشاعر والآلام والآمال . وولدت الشعور القوي لدى العرب والمسلمين كافة . بأنهم « أمة واحدة » أمة القرآن ، أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وارتباط العرب بإخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها هو ارتباط الجزء بالكل . وليس هو أي جزء من كل ، فإن مكان العرب في الجسم الإسلامي مكان الرأس أو القلب .

فقد شاء الله أن ينزل كتابه العظيم بلسان عربي مبين ،وأن يبعث رسوله الكريم من أمة العرب ، وأن يجعل بيته العتيق في أرض العرب ، وأن يجعل حملة رسالة الإسلام الأولين إلى العالمين من رجال العرب . وهذا كله بوأ العرب مكان الزعامة في المسلمين ، وجعلهم ينظرون إلى العرب باعتبارهم أبناء الصحابة ، وعصبة الإسلام ، وأولى الناس بوراثته ، وحمل دعوته إلى العالم كله .

بيد أن القيادات الثورية العربية جهلت هذا كله ، أو تجاهلته ؛ فنادت بـ « قومية عربية » مغلقة ، ولم تستطع أن تمد بصرها عبر الخليج العربي لتتصل بأكثر من ٦٠٠ ستمائة مليون مسلم — عرّبب الإسلام عقولهم وعواطفهم — يمثلون خمس العالم ، ويملكون من القوى المادية والبشرية ما يجعل منهم « كتلة ثالثة » تستطيع أن تغيّر ميزان القوى العالمية . كما يملكون من « القِيَم » الثقافية والحضارية ما يجعل منهم رسل الهداية للدنيا . وسفينة الإنقاذ للبشرية الموشكة على الغرق .

مقومات القوة لدى العالم الإسلامي :

وهذه بعض مقومات القوة التي يملكها العالم الإسلامي ، **أنقلها** من دراسة للبحاثة الباكستاني الأستاذ تودرس نظير أحمد خان :

أولاً : الوضع الاستراتيجي للعالم الإسلامي

إن البلاد الإسلامية تشكل العمود الفقري للكرة الأرضية ، فهي تمتد فعلاً كسلسلة طويلة متصلة الحلقات في سائر المنطقة الواقعة بين أندونيسيا ومراكش وتشرف على مواقع استراتيجية هامة ، وهي في وضعها هذا تشغل مركزاً بالغ الأهمية في الشئون الدولية .

ثانياً : وضع **المسلمين** من الناحية العددية عامل رئيسي له أهميته الخاصة .

هنالك نحو ستمائة وخمسين مليوناً من المسلمين منتشرون حالياً في كافة بقاع الأرض ، دانيها وقاصيها ، وإنك لتجد مسلماً واحداً بين كل خمسة أشخاص من البشر . وإذا ما أحسن تنظيم هذه القوة العددية ، وأمكنت تعبئتها تعبئة ملائمة فإنها تشكل ضمانة فعلية لمستقبل أوضاع المسلمين في كافة الشؤون العالمية .

ثالثاً : ما يشغل المسلمون من مركز هام في دنيا السياسة أيضاً .

هنالك حوالي ست وثلاثين دولة إسلامية [1] من أصل المائة والثلاث عشرة دولة التي تشكل منظمة الأمم المتحدة ، فإذا ما اتخذت هذه الدول مظهراً مشتركاً . ووحدت صفوفها أمكنها أن تثبت وجودها كقوة فعّالة في الشؤون العالمية .

وإنه لمن المؤسف حقاً أنه بالرغم من هذه النسبة الكبيرة من التمثيل التي يملكها المسلمون في أهم ميدان دولي ، فإنهم لا يزالون في عداد الأتباع لا في عداد القادة .

رابعاً : إن الوضع الاقتصادي للعالم الإسلامي غير مدروس دراسة صحيحة من قبلنا ، ويجري غالباً بموجب نظريات سطحية ، وآراء مغلوطة ، يشير بها

---

(١) الدول الاسلامية أكثر من ذلك الآن بعد أن استقل عدد منها مؤخراً .

علينا مَنْ تتعارض مصالحهم مع مصالحنا .

إن العالم الإسلامي غني بمصادر الثروة الطبيعية ، ويمكنه أن يزيد في غناه . **إننا ننتج ٦٦٪ من مجموع ما ينتجه العالم من الزيت الخام ، إن حقول الزيت في الكويت هي أغنى حقول العالم. إننا ننتج ٧٠٪مما ينتجه العالم من المطاط الطبيعي و ٤٠ ٪ مما ينتجه العالم من «ابلجوت» الطبيعي ، و ٥٦٪ من زيت النخيل، و٦٧٪ من التوابل والبهارات المختلفة ، و ٣٠٪ من الفلفل الأسود ، و ٨٠٪ من القشرة (الفلّين) ، و ٩٠ ٪ من خشب الكينيا. ويوجد في بعض أقطارنا موارد لا ينضب معينها من الغاز الطبيعي ، كما يوجد لدينا احتياطي ضخم من المعادن كالحديد والنحاس والتنك والبوكسيت ـ المادتان الأخيرتان موجودتان بكثرة خاصة في الملايو ـ والمنغنيز والفوسفات ، ومعدن الكروم والجبس ، والحجر الجيري وحجر الحرارة** ، ومجموعة متنوعة من مواد أخرى مفيدة ، وحتى اليورانيوم الذي أصبح ثميناً للغاية في هذه الأيام ، نظراً لاستعماله في إنتاج الطاقة النووية ، فإنه موجود أيضاً في أقطار إسلامية عديدة من إفريقيا .

وتعتبر البلاد الإسلامية أيضاً من أغنى المناطق في العالم في الزراعة وتربية المواشي والسائمة » .

خامسا : العنصر الإنساني :

يجب ألا يغفل بأن عدداً كبيراً من أقطارنا قد حارب خلال العقدين الأخيرين من الزمن ، من أجل التحرر من الحكم الأجنبي ، وتمكن من أن ينتصر . وإن بطولات الجزائر الحربية من أجل التحرر ستبقى إلى الأبد في صفحات التاريخ .

إننا الآن شعوب ناهضة مصممة على نفض غبار الماضي ، واستعادة ما كان

لها من أمجاد .

ويلاحظ البعض أن كثيراً من الأقطار الإسلامية لا تزال متخلفة .. ولكن يجب ألا يتجاهل النقاط الحقيقية الصارخة في أن المستغلين الأجانب — بالإضافة إلى جهلنا — هم المسؤولون عن وضعنا الاقتصادي الحاضر [1] » اهـ .

سادسا : التراث الروحي والحضاري :

وهذا عنصر هام لم يتحدث عنه الباحث الباكستاني ، وهو ميراثنا المعنوي العظيم ، ميراثنا الروحي والثقافي والحضاري . ففي هذه المنطقة من شرقنا العربي والإسلامي اتصلت السماء بالأرض ، وتنزلت أعظم كتب الله على أعظم أنبيائه ، وقامت الديانات السماوية الكبرى — اليهودية والمسيحية والإسلام — التي بعث الله بها أولي العزم من الرسل : موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وفي هذه المنطقة قامت الحضارات القديمة العظيمة التي حققها التاريخ للمصريين ، والفينيقيين والآشوريين والبابليين والفرس والهنود وغيرهم .

وسلالات هذه الشعوب القديمة لا زالت قادرة على أن تؤدي دورها الحضاري مهتدية بهدى القرآن ، وروح الإسلام .

وكما يعيب على دعاة « الوطنيات » الإقليمية في بلاد العرب حصرهم شعوبهم وبلادهم في « دائرة ضيقة » في مقابلة « العروبة » الرحبة التي تشمل الأوطان والشعوب العربية جمعاء . يعاب على دعاة « القومية العربية » حصرهم أنفسهم في دائرة مغلقة محدودة ، في مقابلة الدائرة « الإسلامية » المفتوحة

---

(1) من كتاب : «دراسات حول رابطة البلاد الإسلامية » ص ٣٦ - ٣٧ — إصدار الأمانة العامة للمركز الإسلامي . كراتشي — ٥ . باكستان .

الواسعة . فخسروا بذلك ولاء وقوة مئات الملايين بسبب من العصبية الجاهلية .

وإذا كان ردّ « **ساطع الحصري** » على دعاة التقوقع المصري الذين كان شعارهم « مصر أولاً » بتخطئة هذه النعرة الإقليمية الضيقة ، ورفع شعار «**العروبة أولاً** » [1] فنحن نخطىء « الحصري » بنفس منطقه ، ونرفع الشعار الطبيعي والتاريخي والمنطقي لهذه الأمة وهو « **الإسلام أولاً** » .

وهكذا تبين أن الذي عابته القيادات الثورية الجديدة على القيادات القديمة وقعت فيه وفيما هو شرّ منه ، فلم تتعلم من التاريخ ، ولم تتعلم من عدوّهـا الذي يعامل المسلمين جميعا – على اختلاف شعوبهم – طبقاً لمخطط واحد . ولا يفرق بين عربي وغير عربي ، لأن روح الحروب الصليبية ما زالت تسكن بين جنبيـه .

والذي وقعت فيه الزعامات العربية وقعت فيه أيضا دعاة القومية والعلمانية في بلاد المسلمين الأخرى ، وبخاصة تركية التي تجسدت فيها القومية العلمانية اللادينية بأجلى صورها ، فعزلت نفسها عن العرب عزلاً كاملاً لعدة عقود من السنين .

وكان من جراء ذلك أن خاض العرب أخطر أدوار كفاحهم مع اليهودية العالمية المتمثلة في إسرائيل ، ومع الصليبية الغربية المتمثلة في مساندي إسرائيل ، دون أن يستفيدوا استفادة تذكر من الطاقة الإسلامية الضخمة من المحيط إلى المحيط ، أو من أندونيسيا إلى الدار البيضاء .

---

(١) ألف ساطع الحصري – الذي كان القوميون يلقبونه بـ « فيلسوف القومية العربية – كتابـاً بالعنوان المذكور « العروبة أولا » .

ولو راجع هؤلاء التاريخ الذي يعرفونه ولا يجهلونه ، لوجدوا أن الرجل الذي أنقذ بيت المقدس من الصليبيين بعد أن بقي في أيديهم ٩٠ عاماً ، لم يكن عربي الدم والعنصر . وإنما كان كرديا ، عرّبه الإسلام ، وذلك هو صلاح الدين . الذي تمم جهاد بطلين اسلاميين قبله لم يكونا من جنس العرب أيضاً ، هما : الشهيد نور الدين محمود وأبوه عماد الدين زنكي .

إن اليهودية العالمية التي خططت لأحلامها منذ زمن بعيد ، تعلم مقدار ما تملك الأمة الإسلامية لو تجمعت قواها ، واتحدت شعوبها ، واستفادت من تكامل اقتصادها ، فضربت ضربتها في تدمير الخلافة الإسلامية التي كانت آخر مظهر لوحدة الأمة الإسلامية — على ما كان بها من نقائص وعيوب — ليعيش المسلمون بعدها أوزاعاً ، ويسهل بعد ذلك ضرب كل شعب على حدة بمعزل من الآخرين .

لقد أدركت قيادة ثورة ١٩٥٢ شيئا عن قوة الوحدة الإسلامية ، أو على الأقل — التضامن الإسلامي . فيما كتبته في « فلسفة الثورة » عام ١٩٥٣ م عن أهمية « الدائرة الإسلامية » . بعـــد « الدائرة العربية» والذي حدا بها الى إنشاء « المؤتمر الإسلامي » ثم تنوسي ذلك كله ، بل أهمل ، بل حورب وأصبح المؤتمر الإسلامي مجرد مبنى ولا نيّة ، وذلك حين غلبت التيارات الوافدة على الأحاسيس الطبيعية الأصيلة التي ظهرت بوادرها أولا في « فلسفة الثورة » . وأصبح كل نصيب الأمة الإسلامية من « الميثاق » كلمة عابرة في ختام « الباب العاشر » الذي يتحدث عن « السياسة الخارجية » حيث يقول : وإن كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية ، فهو يؤمن بجامعة أفريقية ، ويؤمن بتضامن آسيوي فريقي . يؤمن بتجمع من أجل السلام ، يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ، ويؤمن برباط روحي وثيق يشده إلى العالم الإسلامي ، ويؤمن بانتمائه إلى الأمم المتحدة » . . . .

هذا هو نصيب الأمة الإسلامية من الميثاق وواضعه : مجرد رباط روحي !

– على سبيل البركة ! – لم يبلغ مبلغ الجامعة الإفريقية ولا التضامن الآسيوي الأفريقي ! أي أن باكستان ليست كأثيوبيا وكاسرائيل وأندونيسيا ليست في مرتبة روديسيا .

حقيقة الاستقلال ومضمونه :

والأمر الثالث الذي عابه « الميثاق » الوطني المصري على الزعماء الليبراليين في مصر بعد ثورة ١٩١٩ ، هو عدم إدراكهم لحقيقة الحرية ، وحقيقة الاستقلال ، وانخداعهم بما أعطاهم الاستعمار من أشكال للاستقلال لا مضمون لهـــا .

يقول الميثاق : «إن الاستعمار في هذه الفترة أعطى من الاستقلال اسمه ، وسلب مضمونه ، ومنح من الحرية شعارها ، واغتصب حقيقتها . وهكذا انتهت الثورة بإعلان استقلال لا مضمون له ، وبحرية جريحة تحت حـــراب الاحتلال » .

ونقول : «إن زعماء الاشتراكية الثورية هنا ليسوا أحسن حالا من زعماء الليبرالية الديمقراطية ، وما كان الفرقان إلا كحماري العبادي الذي قيل له : أي حماريك شر ؟ فقال : هذا ثم هذا !

فقد فشل كلاهما في تحقيق استقلال ذاتي حقيقي للأمة ، يردّها إلى حضارتها الأصيلة المتوازنة ، ويعيد إليها شخصيتها المستقلة المتميّزة ، ويجعلها رأساً في الحياة ، لا ذيلا لشرق أو غرب .

فرغم جلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد ، وإعلان الاستقلال ، والاحتفال به كل عام ، وانتقال السلطة من أيدي الأجانب إلى أيدي الوطنيين ، لم يتحقق من الاستقلال إلا اسمه ومظهره ، لا لبه وروحه .

ما زالت بلادنا عالة على غيرها في التسلح ، وفي الصناعة والتكنولوجيا .

كل ما صنعناه أننا نستورد منتجات الحضارة . ولكن لا نصنعها . واستيراد المنتجات الحضارية لا يصنع حضارة كما قال الأستاذ مالك بن نبي :

وأدهى من ذلك أننا لم نزل تابعين للغرب في اتجاهاته ومذاهبه وأنظمته ، فيما هو أهم من الصناعة والتكنولوجيا : في السياسة ، وفي الفكر . فنحن نتخذ الغرب قبلة لنا في نظم حكمنا واقتصادنا ، وفي مناهج فكرنا وثقافتنا ، سواء كان هذا الغرب رأسماليا أم شيوعيا ، فكلاهما غرب .

فأين الاستقلال — إذن — إذا لم يكن في مجال الصناعة والعلم ، ولا في مجال السياسة والحكم ، ولا في مجال الثقافة والفكر ؟ .

وشرّ من هذه التبعية هو قابليتها ، والرضا بها ، أو على الأقل السكوت عليها ، كأنها قدر محتوم .

إن أقرب النتائج لهذه التبعية الفكرية هي الفراغ الروحي ، والاضطراب العقائدي ، والقلق النفسي ، والحيرة العقلية التي تعانيها الأجيال الناشئة في بلاد المسلمين . فالشباب في هذه البلاد يعاني أزمة فكرية ونفسية عاتية ، نتيجة لما يلمسه من التناقض بين ضميره وواقعه ، بين عقيدته الموروثة وأوضاع مجتمعه السائدة .

يقول الأستاذ الدكتور محمد البهي :

« إن المجتمعات الإسلامية لم تزل موزعة على نظامي الحكم — يعني الليبرالي . والاشتراكي — على أساس من الفكر الغربي وحده . وبذلك لم تتخل عن التبعية للأجنبي ، رغم وثائق الاستقلال ، وممارسة بعض مظاهره ، من الانتقال من نوع إلى آخر في نظام حكمه وأيديولوجيته .

وليس من هذه المجتمعات — حتى الآن — ما راجع الإسلام في صلاحيته لسياسة المجتمع ، وضبط سلوك الأفراد فيه ، مراجعة جدية بناءة ، حتى

ذلك المجتمع في آسيا الذي أعلن منذ ربع قرن تقريباً — بعد جهاد مرير طال أمده — قيامه على أساس من الفكر الإسلامي وحده ! » . يعني مجتمع باكستان التي نودي بقيامها على أساس الإسلام .

إلى أن يقول الدكتور :

« لا بديل عن الإسلام في الحفاظ على استقلال هذه المجتمعات . وأي بديل الآن يظن أنه كاف في سياسة الحكم والتوجيه فيها ، هو — على سبيل القطع والتذكير — بداية لتبعية تنتهي حتما إلى ذوبان لشخصيات هذه المجتمعات ، وإلى ضياع مقوماتها . . . . . .

إن المجتمعات الإسلامية المعاصرة مهددة بخطر الضياع في استقلالها ، وفي إيمانها . وفي اقتصادها .

وإن الشباب المسلم هو في حيرة الآن ، ومهدد بالانتقال من هذه الحيرة إلى تبعية فكرية وسياسية ، لا خلاص له منها . المسؤولون عن هذه المجتمعات يعيشون في تصورات هي أقرب إلى الأحلام ، التي يبعثها «اللاشعور» في الإنسان! اللهم إليك الأمر وحدك »[1] .

محاولة واهمة لوضع نظرية شاملة للثورية العربية:

وقد حاول بعض الكتاب من أساتذة العلوم السياسية في مصر أن يصنع في الستينات فلسفة أو نظرية ترتكز عليها الحركة الثورية الاشتراكية المصرية .

وانتهى د . محمد طه بدوي إلى شيء سماه « الحتمية العلمية » كما في كتابه «فلسفتنا السياسية الثورية» الذي خصص فيه باباً« لسند الثورة في فلسفة السياسة،

---

(١) عن مقال « الشباب المسلم » للدكتور محمد البهي بمجلة « الوعي الإسلامي » السنة السابعة. —العدد ٧٧ — جمادى الأولى سنة ١٣٩١ هـ — يونيو سنة ١٩٧١ م .

لما لوجهة النظر الفلسفية في هذا السند من أثر عميق في تشكيل المقوّمات الأيديولوجية لمجتمع ما بعد الثورة » .

وفي الباب الثاني خاض دراسة تحليلية ، تستهدف – كما قال – « **نظماً شاملاً لنظرية كاملة ، ضابطة لحياتنا السياسية** » .

وفي « تمهيده » للباب الأول قال :

« إن فكرة الفلسفة الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر عن « العقد السياسي » بوصفها السند العقلي لثورة الطليعة النابهة للطبقة الثالثة « البرجوازية النامية » على الاستبداد السياسي والامتيازات الطبقية حينذاك . كانت تعمل في إطار فلسفة سياسية كاملة ، تؤيد تطلعات تلك الطليعة التي طال ازدراؤهـــا – رغم ثرائها المطرد بسبب انفرادها بالاشتغال بالتجارة – وذلك من جانب « طبقة النبلاء » الممتازة .

« فلقد ارتبطت فكرة العقد السياسي – كسند عقلي للثورة – بفكرة « اجتماع سياسي » يقوم على هوى تلك الطليعة البرجوازية ، على أساس أن السيادة فيه للأمة ، أي لا لطبقة « النبلاء » القديمة أو « للملك » . وهو اجتماع يقوم من أجل صيانة الحقوق الطبيعية الخالدة : الملكية والحرية ، في ظل المساواة أمام القانون ، بوصفه أداة التعبير عن الإرادة العامة ...» فكان أن تشكلت – تبعاً لذلك – أيديولوجية المجتمع الثوري البرجوازي الغربي ، التي أرست أصولها الثورة الفرنسية الكبرى ، لسنة ١٧٨٩ م ، وهي إيديولوجية قوامها : تقديس الملكية الفردية ، بوصفها دعامة الحريات الفردية جميعا .. ومساواة أمام القانـــون . . .

« وكذلك الحال بالنسبة لإيديولوجية المجتمعات الماركسية ، فلقد تأثرت في تكوينها الراهن بفكرة « **الحتمية التاريخية** » لثورة البروليتاريا ، بوصفها جزءاً من فلسفة ماركس الشاملة عن « **المادية التاريخية** » و « **الصراع الطبقي** » ... »

« وهكذا بالنسبة لفلسفتنا الثورية . فسندنا العقلي لثورة ٢٣ يوليو ، مرتبط تماماً بظروفنا الاجتماعية الخاصة بنا وبتجاربنا الوطنية . ومن هذه الظروف والتجارب نبع فكرنا المذهبي الثوري ، ثم راح يتبلور حتى قدم للميثاق الوطني — بوصفه الأداة المصورة لأيديولوجية مجتمعنا الثوري العربي الجديد — نظريتنا السياسية الشاملة .

« إن سندنا العقلي للثورة العربية الشاملة ينحصر في حتميتها ، باعتبار أنها الطريق الوحيد إلى تحقيق أهداف النضال العربي . إنه سند عقلي ؛ لأنه يتمثل في حكم عقلي ينبع من التجربة . وسندنا العقلي هذا يشكل جزءاً من فلسفة عامة لثورتنا . إنه يشكل جزءا من تلك الفلسفة الوضعية » التي تقوم على التجربة لنخلص منها إلى الحلول العلمية الضابطة لمجتمع ما بعد الثورة ، وهي حلول « حتميــة » .

« إنها « حتمية الثورة » استناداً إلى التجربة .. وهي « حتمية الحــل الاشتراكي » استناداً إلى التجربة كذلك .

« ومن ثم فإن سندنا العقلي لثورتنا العربية الكبرى يتمثل في « الحتمية العلمية للثورة » .

ويقسم الدكتور « الديمقراطية السياسية » في العالم إلى أنواع ثلاثة :

١ — الديمقراطية السياسية في مفهومها الغربي . وهي تعني ديمقراطية « التصادم السياسي » تبعا لطبيعة التناقض الاجتماعي هناك .

٢ — الديمقراطية الماركسية ، وهي تعني ديمقراطية « الإجماع السياسي » تبعاً لصورة المجتمع اللاطبقي .

٣ — أما ديمقراطية الثورة المصرية — كما سجلها الميثاق وقانون الاتحاد

---

(١) ص ١٣ ، ١٤ من كتاب « فلسفتنا السياسية الثورية » : فكرنا المذهبي والأيديولوجيات العالمية . وانظر ص ٤٨ — ٥٣ منه أيضا .

الاشتراكي ... فيسميها « ديمقراطية » التحالُف السياسي » تبعا لتحالف القوى الاجتماعية . بديلاً للتصادم الطبقي المؤدي إلى التصادم السياسي .

هذا ما قاله الأستاذ الدكتور بدوي في محاولة جاهدة لـ « تنظير » سياسة الثورية الاشتراكية المصرية .

وليسمح لنا السيد الدكتور أن نقول له :

إنها محاولة معتسفة ، تريد أن تجعل من هذا الخليط من الأفكار — التي أبرز سماتها الاستيراد والتلفيق — فلسفة مستقلة ، وايديولوجية وطنيـــــة متكاملة .

ويذكرني هذا بما تفعله بعض مصانع السيارات العربية التي تستورد أجزاء السيارة من أوربا ، ثم تقوم بتركيبها محليا ، وتطبع عليها « ماركة » وطنية ، ثم تصدّق نفسها أنها صنعت سيارة ! كما تطلب من الناس أن يصدّقوها في هذه الدعوى ! . .

ومعلوم للدكتور بدوي ولمن هو دونه من الدارسين ، أن « الاشتراكية الثورية » ليست بضاعة مصرية ولا عربية ولا إسلامية ، وإنما هي بضاعة أجنبية لها صنّاعها ومطوّروها . وبعبارة أخرى : لها فلاسفتها ونظرياتها ومصادر إلهامهـــا .

وإطلاق اسم « الحتمية العلمية » على هذا الاتجاه المستورد لا يعطيه صفة « الأصالة » ولا يخرجه عن « التبعية » للإيديولوجيات العالمية ، التي يدّعي كل منها التحلي برداء « العلمية » الزاهي ، سواء في ذلك الليبرالية الديموقراطية التي اتخذت « **العقلانية** » و « **العلمانية** » طابعاً لها في مقابلة الاتجاه الديني والمثالي ، والاشتراكية الماركسية التي سمت مذهبها « **الاشتراكية العلمية** » .

وما أطلق عليه الدكتور اسم ديمقراطية « التحالف السياسي » لا يخرج في

جوهره عن ديمقراطية « الإجماع السياسي » عند الماركسيين ، وتجربة « التنظيم الواحد » — الاتحاد الاشتراكي — لا تختلف في نتيجتها عن تجربة « الحزب الطليعي » الواحد . كما نبهنا على ذلك من قبل .

ولعل مما يؤكد هذا ما اشتهرت به نتائج الاستفتاءات العامة في بلادنا ، وما أصبح مثلا مضروبا في الناس ، وهو « الإجماع » بنسبة ٩٩،٨٩٪ !

إن العيب الرئيسي في هذا التحليل هو محاولة « تبرير » الواقع ، وتكلف مسند عقلي له ، والاستماتة في إعطائه صفة « إيديولوجية » مستقلة عن « الإيديولوجيات » العالمية .

وإن « العلم » ليهبط بقيمته الذاتية حين يرضى لنفسه أن يكون أداة في خدمة سياسة معينة . إن الواجب أن تتبع السياسة العلم ، لا أن يتبع العلم السياسة . ومثل العلم في ذلك « الدين » .

والحق أننا لا نعرف في عالم اليوم إلا إيديولوجيات ثلاثاً :

أ — الايديولوجية الليبرالية الفردية ، التي يمثلها الغرب أو ما يسمى « العالم الحر » على اختلاف مدارسها وتطبيقاتها .

ب — والإيديولوجية الاشتراكية الجماعية . التي يمثلها الماركسيون على اختلاف مدارسها وتطبيقاتها كذلك .

جـ — والايديولوجية الإنسانية المتوازنة : وهي التي يدعو إليها الإسلام . فهذه الإيديولوجية ليست فردية . ولا جماعية . ولا شرقية . ولا غربية . ولكنها إسلامية قرآنية وكفى .

وما عدا هذه الإيديولوجيات الرئيسية المتمايزة ، فهو تلفيق من هنا وهناك وهنالك .

بقيت كلمة ، أود أن أقولها هنا تعقيبا على تحليل الدكتور بدوي .

لنفترض أن الاشتراكية الثورية العربية تخضع فعلاً لمنطق التجربة ، وحتمية العلم كما قال . إذن يكون الواجب عليها الآن أن تغيّر اتجاهها فوراً ، بعد أن أثبتت « التجارب المرة » فشل الاتجاه الثوري الاشتراكي في كل بلادنا العربية ، وفي كل الحقول المادية والمعنوية كما أثبتنا ذلك من قبل مؤيدا بالوثائق والأدلة . وكما أكدت ذلك من بعد ، حرب العاشر من رمضان .

وليس فشل الثورية العربية في تحقيق أهدافها ذاتها ، وأهداف الأمة في تلك المرحلة من تاريخها ، شيئاً طارئاً ، نتيجة لضغوط خارجية قاهرة ، أو لظروف محلية أو شخصية عارضة ، يمكن أن تزول ، بل الفشل كامن في طبيعة الاشتراكية الثورية ، كما بيناه في جزء « الحلول المستوردة » .

ضرورة التغيير والبحث عن بديل :

إن منطق العلم هنا يؤكد ضرورة التغيير ، ويوجب البحث عن بديل ، ترى ماذا يكون البديل ؟

إن الحل البديل المطلوب لا يتصور إلا أحد حلين اثنين : الحل الشيوعي الأحمر الصريح ، أو الحل الإسلامي المتكامل الصحيح .

أمتنا ترفض الحل الشيوعي شكلا وموضوعا :

أما الحل الشيوعي فهو مرفوض شكلا وموضوعاً ، أصولاً وفروعاً . ولكن لماذا نرفض الشيوعية ؟

اما إجمالا فلأننا مسلمون ، والشيوعية تكفر بالإسلام ، وكتابه ، ونبيه ، بل تكفر بالأديان جميعا .

وأما تفصيلاً ، فلأن الشيوعية — أولا — ضد عقيدتنا ، لأنها مذهب مادي ،

ينكر كل ما وراء الحس وما بعد الطبيعة : فلا يؤمن بإله ولا ملائكة ولا وحي ولا رسالة . ولا جنة ولا نار ، ونحن قوم نعتبر الإيمان أساس وجودنا . ومحور حياتنا .

ولأنها — ثانيا — ضد شريعتنا . فهي تنكر التّملُّك الفردي بأي طريق كان . كما تنكر كل ما يترتب عليه من حقوق وأنظمة : كنظام الزكاة والنفقات ونظام المواريث وغيرها . كما تنكر نظام الإسلام في الزواج والطلاق والأحوال الشخصية : ونظامه في المبادلات والمعاملات المدنية . ونظامه في الجزاء والعقوبات الجنائية ، ونظامه في الإدارة والسياسة الشرعية ... الخ . ونحن لا ندع شرع الله لنظام بشري كائناً ما كان .

ولأنها — ثالثا — ضد قيمنا الأخلاقية والاجتماعية ، فهي لا تؤمن بقيم ثابتة . فكل شيء في فلسفتها قابل للتغير ، بل واجب التغير : فما كان فضيلة بالأمس قد يكون رذيلة اليوم ، وما كان حراما اليوم ، قد يكون حلالاً زلالاً غدا : أو بعد غد ! ونحن نؤمن بثبات القيم وأصول الفضائل والرذائل : فما أحل الله فهو حلال إلى يوم القيامة : وما حرمه فهو حرام إلى يوم القيامة .

ولأنها — رابعا — ضد طبيعتنا : فنحن أمة وسط ، أمة العدل والحب ، وهي مذهب متطرف ، يجنح إلى الغلو في كل شيء . نحن نؤمن بالإخاء . وهي تؤمن بحتمية الصراع الطبقي . نحن ندعو إلى الرفق وهي تدعو إلى العنف والدم . شعارنا «كونوا عباد الله إخوانا» وشعارها : «يا عمال العالم اتحدوا» أي ضد الطبقات الأخرى ، وما أعظم الفرق بين الشعارين !

ولأنها — خامساً — ضد كرامتنا وحريتنا ، وبعبارة أخرى : ضد إنسانيتنا . فما قيمة الإنسان إذا فقد الكرامة والحرية والشعور بالذاتية ؟ وأنى له ذلك في ظل فلسفة تلغي قيمة الفرد ، وتقتل حوافزه ، فإنما القيمة كلها للمجتمع ، أي للدولة ، أو للحزب الحاكم ، أو للجنة العليا للحزب ، أو للدكتاتور !

ولأنها — سادساً — ضد سيادتنا القومية ، لأنها استعمار جديد ، بل هي أعلى مراتب الاستعمار . فالاستعمار التقليدي يمكن التخلص منه بالكفاح والمقاومة ، كما حدث لشعوب وبلاد شتى . أما الاستعمار الشيوعي ، فلم نره دخل بلداً ، واستطاع أهلها التحرر منه . وعند المجر وتشيكوسلوفاكيا والجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي — الخبر اليقين ! ونحن نمقت وتحارب الاستعمار كله : أحمره وأسوده . غربيه وشرقيه : قديمه وجديده .

ولأنها — سابعاً — بنت اليهودية العالمية : هي التي صنعتها ، وهي التي روجتها ، فمؤسسو الشيوعية من اليهود ، ماركس من أسرة يهودية ، ولينين يهودي وتروتسكي يهودي . . وغيره وغيره . . وعدد كبير من زعماء الشيوعية في العالم يهود ، حتى في العالم العربي ، نجد مؤسسي الأحزاب الشيوعية فيه يهوداً معروفين .

ولأنها — ثامنا — ضد وحدتنا العربية والإسلامية . فالشيوعية لا تقبل وحدة عربية ، فضلاً عن وحدة إسلامية ، لأنها تعمل وتنشط في الأجزاء المبعثرة . ما لا تعمل في الكتل المتحدة . ولهذا وقفت ضد الوحدة الثنائية بين مصر وسورية ، فكيف بوحدة عربية جامعة ، وكيف بوحدة إسلامية شاملة ؟ .

إن الشيوعية لا تحيا ولا تنمو إلا على الصراع والانقسام . فهي تقسم البلد الواحد إلى طبقات تتعادى وتتصارع . وتقسم أيضا الأمة الواحدة إلى شعوب وبلاد تتخاصم وتتنازع ، ما بين يمين ويسار . ويمين اليمين ، ويسار اليسار !

ولأنها — تاسعا — ضد استقلالنا الذاتي : فهي تفرض علينا التبعية الفكرية والسياسية ، وتوجب علينا أن ندور في فلك غيرنا ، وأن نستمد التوجيه من سوانا . ونحن قوم اختارهم الله ليكونوا «شهداء على الناس» وأساتذة للبشرية . فلا نرضى لأنفسنا بمقام التلمذة ، وجعلنا رؤوساً ، فلا نقبل أن نعيش أذيالاً .
إننا لا نرضى أن يعلو كتاب على القرآن . ولا زعيم على محمد — عليه الصلاة والسلام — ولا مذهب أو فلسفة على رسالة الإسلام . بعد أن أكمل الله لنا ديننا

وأتم به نعمته علينا « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

الحل الإسلامي هو البديل :

الحل الشيوعي الأحمر — إذن — مرفوض من أساسه . فلم يبق إلا الحل الآخر : فهو الحل البديل ، وهو الحل الحتمي ، وهو الحل الوحيد ، ذلكم هو الحل الإسلامي .

ترى ماذا يعني الحل الإسلامي ؟ وما معالمه وملامحه ، وما خطوطه العريضة ؟

هذا ما يجيب عنه الفصل التالي .

معالم الحلّ الإسلامي

ماهية الحل الإسلامي :

عندما ننادي بالحل الإسلامي علاجاً لمشكلاتنا المعاصرة ، يتبادر إلى كثير من الأذهان صورة قاصرة تتمثل في القوانين والتشريعات الإسلامية لا غير .

فالحل الإسلامي — في نظر الكثيرين — يتمثل في قطع يد السارق ، وجلد الزاني أو رجمه ، وجلد السكيرين ، والقصاص من القتلة ، وتطبيق أحكام الشريعة في إقامة الحدود فقط . أو في سائر شؤون المعاملات أيضاً .

ولا ريب أن هذه الأحكام أو القوانين جزء أصيل من الحل الإسلامي لا بد منه ، ولا غنى عنه يكفر من جحده ، ويفسق من أهمله ، ولكنها — مع ذلك — ليست كل الحل الإسلامي . فهذا التصور للحل الإسلامي جزئي وناقص وقاصر .

إن معنى « الحل الإسلامي » أن يكون الإسلام هو الموجّه والقائد للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات مادية ومعنوية .

معنى « الحل الإسلامي » أن تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية ، وأن تصبغ بالصبغة الإسلامية .

معنى « الحل الإسلامي » أن تكون عقيدة المجتمع إسلامية ، وشعاراته إسلامية ، ومفاهيمه وأفكاره إسلامية ، ومشاعره ونزعاته إسلامية ، وأخلاقه

وتربيته إسلامية ، وتقاليده وآدابه إسلامية ، وأخيراً أن تكون قوانينه وتشريعاته إسلامية .

وبعبارة أخرى : الحل الإسلامي هو الذي يبرز به « المجتمع المسلم » إلى حيز الوجود بكل مقوماته ودعائمه وبكل خصائصه ومميزاته ، دون إهدار لشيء منها .. وهذا يحتاج إلى كتاب قائم بذاته . ولكن حسبنا هنا أن نضع — بإيجاز شديد — خطوطاً عريضة ومعالم بارزة للحل الإسلامي المنشود ، كما نتصوره في ضوء تعاليم الإسلام ، وأن نركز خاصة على العناصر الإسلامية التي يفتقدها مجتمعنا القائم في كافة نواحي الحياة.

في الناحية الروحية والأخلاقية :

الإنسان ليس مجرد جسد يأكل ويشرب ويتمتع كما تأكل الأنعام . فالجسد ليس إلا غلافا من الطين لكائن علوي ، يشير إليه قوله تعالى في خلق آدم « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » .. وهذا الروح العلوي هو الشيء الذي ميّز الإنسان وجعله أهلاً للتكريم وخلافة الله في الأرض .

والحل الإسلامي هو الذي يدرك هذه الفطرة الإنسانية ، ويقدرها حق قدرها ، ويهيء لها الغذاء الملائم ، والمناخ الصالح ، حتى تنمو وتزدهر وتثمر بإذن ربها .

ولا يكون ذلك إلا بالعلم النافع ، والإيمان الصادق ، والعبادة الخالصة ، والخلق القويم ، فهذه هي أغذية الروح ، وهي مميزات الإنسان .

ومن المعالم البارزة لهذا الاتجاه :

١ — إحياء المعاني الربانية من الإيمان بالله — وتوحيده وأسمائه الحسنى — تبارك وتعالى — الإيمان برسالاته ، وبالجزاء الأخروي ، باعتبارها أهداف الحياة العليا ، وغايات الوجود الإنساني ، والعمل على دعمها وتثبيتها وحمايتها ، بكل الوسائل والأساليب ، عقلية وعاطفية ، وخاصة وعامة ، ونظرية وعملية ،

ومحاربة نزعات الإلحاد والشك والشرك بكل صوره وألوانه ، القديمة والجديدة ، حتى لا يعبد في الأرض إلا الله . والعودة بالعقيدة إلى المنابع الصافية من كتاب الله وسنة رسوله ، بعيدا عن غلو الغالين وانتحال المبطلين ، وتحريف المحرفين .

٢ — تربية الأمة على معاني التقوى لله والإخلاص له ، والثقة به ، والتوكل عليه ، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله على كل أعمال الإنسان ، واطلاعه على سره ونجواه ، وتغذية الشعور بالمسئولية أمامه يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ، ولا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه ، واستحضار فكرة الخلود في الدار الآخرة ، وأهوال النشور والموقف ، والحساب والميزان ، والجنة والنار .

وبهذه التربية الروحية تتكون « القلوب الحية » أو « الضمائر اليقظة » التي هي أعظم رادع عن الشر ، وأكبر حافز على الخير ، وأقوى مدد لمكارم الأخلاق .

٣ — تثبيت القيم الأخلاقية الأصيلة التي توارثتها هذه الأمة جيلا عن جيل ، مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذي بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديما وحديثا ، فالسخاء والإيثار والعفاف والإحصان والحياء والغيرة ، والصبر على المكاره ، والثبات في الشدائد ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف ، وإغاثة الملهوف ، والصدق في القول ، والأمانة في العمل ، والعدل في الحكم ، والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وخفض الجناح وعزة النفس ، والقصد والاعتدال في كل شيء ، إلى غير ذلك من فضائلنا **الأصيلة** — يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها ، وتمتد فروعها ، كما يجب تطهير المجتمع من الرذائل الدخيلة التي وفدت علينا مع الاستعمار الغربي ، والرذائل التي ورثناها من عهود الانحطاط على سواء ، من المادية والأنانية

واتباع الشهوات ، والميوعة والتحلل ، وتشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال ، والاستغراق في متع الحياة الدنيا ، ومن الثرثرة الفارغة والفخر الكاذب ، والجعجعة بغير طحن ، والاستبداد والنفاق والملق الرخيص . وغير ذلك من أخلاق الضعف ، والسلبية والانحلال .

٤ — الاعتزاز برسالة الإسلام ، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة ونظام حياة . أودع الله فيه الكمال والشمول والتوازن والوضوح والعمق . وغرس هذا الاعتزاز في ضمائر الجميع صغارا وكبارا ، بحيث لا يزاحمه نظام أو مذهب آخر للحياة . ولا يزاحمه كذلك وطن أو قومية أو نعرة من النعرات. فدين المسلم أغلى ما يعتز به ويحرص عليه ، وفي سبيله يضحي بكل ما يغالي به الناس من وطن وأهل ، ونفس ونفيس . ورضي الله عن المسلم الأول الذي قال :

أبي الاسلام لا أب لي سـواه   إذا افتخروا بقيس أو تميـم

٥ — المحافظة على شعائر الإسلام ، وبخاصة عباداته الكبرى ، التي جعلها الرسول — صلى الله عليه وسلم — الأركان العملية التي بني عليها هذا الدين ، من الصلاة والزكاة والصيام وحج بيت الله الحرام ، وتربية جميع المواطنين في المجتمع على احترامها وتوقيرها ، وتربية المسلمين خاصة على حبها والحرص على أدائها بإخلاص وأمانة وإتقان ، وفاء بحق الله الذي خلقنا من عدم ، وأمدنا بكافة النعم ، وتيسير كل السبل المادية والمعنوية لإقامتها ، والإعانة عليها ،وتشجيع كل قائم بها على وجهها ، وتأديب كل مقصر في أدائها ، مفرط في حقوقها .

فإن هذه العبادات والشعائر — مع أنها غاية في نفسها — تعد من أعظم الوسائل التربوية لتكوين الأنفس المؤمنة ، والأخلاق الفاضلة .

ولهذا تجب العناية بإقامة الصلوات واتخاذ المساجد والمصليات في الدواوين والمصالح والإدارات الحكومية ، والمؤسسات والشركات الكبيرة . وكل مجمع للناس ، كالموانىء والمطارات ومحطات السكك الحديدية ، ومواقف السيارات

العامة ونحوها . كما يجب تعظيم حرمة شهر الصيام ، وتعديل مواعيد العمل الرسمي بحيث تلائم ظروف الصائمين وتمكنهم من الإفطار والسحور في الوقت المناسب .

ومثل ذلك تيسير الحج إلى بيت الله الحرام ، وإزاحة العوائق عن طريقه ، وعقد حلقات لتوعية الحجاج ، حتى يؤدوا فريضتهم على الوجه الأكمل ، ويعودوا من رحلتهم أطهر قلوباً ، وأنظف سلوكا ، وأعمق إيمانا .

٦ — إحياء رسالة المسجد ، حتى يعود إلى سالف عهده ، مركز هداية وإشعاع وإصلاح ، جامعا للعبادة ، ومدرسة للثقافة ، ومعهدا للتربية ، وندوة للتعارف ، وبرلمانا للتشاور [١] ، وأن يفسح فيه المجال للمرأة المسلمة ، فلا تحرم من حق العبادة الجماعية ، واستماع الكلمة الهادية ، والموعظة النافعة ، والالتقاء بأخواتها المؤمنات في أطهر مكان ، لأشرف غاية ، وأبر عمل . وفي الحديث « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » رواه مسلم .

٧ — اختيار أفضل العلماء وأقدرهم للوعظ والخطابة والتدريس في المساجد ، وبخاصة الكبيرة منها ، وإعطاؤهم الحرية المطلقة للتعبير عن حقائق الإسلام ، والتصدي لأباطل خصومه ، ومكايد أعدائه . وتنزيه المنبر أن يتخذ مطية للاستغلال ، أو أداة للدعاية لشخص أو أسرة أو حزب أو نظام ، فالمسجد أرفع وأكرم من أن يذكر فيه اسم غير اسم الله ، وأن تقال فيه كلمة غير كلمة الإسلام ، وأن يقدس فيه كتاب غير القرآن (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا [٢]) .

٨ — مقاومة البدع والأباطيل التي ألصقت بالدين — على مر القرون —

---

(١) انظر في تفصيل رسالة المسجد في الاسلام : كتابنا « العبادة في الاسلام » ص ٢٢٢ — ٢٣٤ نشر مؤسسة الرسالة — بيروت — ط رابعة.

(٢) سورة الجن : ٨ .

وليست منه، سواء في مجال العقائد أم العبادات، أم التقاليد[1]، أم غير ذلك من كل ما يتصل بالفكر أو بالسلوك على وجه عام. والرجوع بالاسلام الى وضوحه وبساطته وصفاته الذي كان عليه الصحابة ومن تبعهم باحسان، من أهل القرون الأولى، الذين هم خير قرون هذه الأمة وأجداها سبيلا.

ومن المعلوم أن البدع التي شبّ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير. وتوارثها الابن عن الاب، والحفيد عن الجد، لا يستطاع التخلص منها الا بالرفق والإناب والتلطف، واستعمال الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى.

(١) انظر في ذلك: «الاعتصام» للشاطبي، و «الحوادث والبدع والنهي عنها». و «المدخل» لابن الحاج و «الابداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ، و «ليس من الإسلام» للشيخ محمد الغزالي.

في الناحية التربوية والثقافية :

كرم الله الإنسان بالعقل . والقدرة على التعلم ، وجعل العلم من مرشحات خلافته في الأرض ، لهذا جاء الإسلام يحض على النظر والتفكير . ويحذر من التقليد والجمود . حتى جعل التفكر والتعلم فريضتين إسلاميتين ، وأشاد بالعلم وأهله حتى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وجعل طريق العلم طريقا إلى الجنة ، وجعل من فروض الكفاية على الأمة أن يتخصص عدد كاف من أبنائها في كل علم نافع تحتاج إليه في دنياها أو دينها . ومن هذا المنطلق يجب أن يقوم البناء التربوي والثقافي على الأسس التالية :

أولا : أن يكون التعليم لجميع الأطفال ذكورا وإناثاً — في سن التعليم — إلزاميا ، وأن تزال كل المعوّقات من طريقه ، وتهيأ كل الوسائل لتيسيره ، فإن القيام بأعباء الدين والحياة في هذا العصر لا يتم إلا بحظ معقول من التعلم ، ولو كان هو الحد الأدنى ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وهذا هو اللائق بأمة ، طلب العلم فيها فريضة ، وأول آية نزلت في كتابه « اقرأ باسم ربك [1] ».

ثانياً : وضع خطة مدروسة لمحو الأمية المنتشرة ، اقتداء بالنبي — (ص) — الذي بدأ منذ السنة الثانية من الهجرة في معركة بدر بمحو الأمية ، ويعمل على نشر الكتابة .

---

١ — سورة العلق آية ١ .

ثالثاً : تنويع التعليم بحيث يشمل كافة المجالات النظرية والعملية . الدينية والدنيوية . الأدبية و «التكنولوجية» . وبحيث يفسح المجال للنبوغ والعبقرية أن تبلغ أعلى مستويات الدراسة والتخصص . دون عائق مادي أو معنوي . وقد أشار القرآن إلى وجوب التخصص حين قال « وما كان المؤمنون لينفروا كافة (أي إلى الجهاد) فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون [1] » كما أمر القرآن بالازدياد من العلم بقوله : « وقل : رب زدني علماً [2] » .

رابعاً : أن يكون الإسلام مادة دراسية أساسية في جميع المراحل ، من المرحلة الأولى إلى الجامعة ، في جميع أنواع التعليم : العام والفني ، المدني والعسكري . على أن يكون أساس هذه المادة : القرآن والسنة ، وأن يرجع في فهمهما إلى هدي السلف المتقدمين. لا إلى تعقيدات المتأخرين، وأن توجه العناية فيها إلى المبادىء والأصول قبل التفريعات والتفصيلات ، وأن تعطى كل مرحلة تعليمية من هذه الدراسة ما يلائمها سعة وعمقا ، وعلى هذا الأساس يراعى ما يلي :

أ ـــ تعرض العقيدة ـــ في ضوء القرآن والسنة الصحيحة ـــ بيسر وبساطة بعيدا عن تقعرات المتكلمين .

ب ـــ يعرض الفقه كذلك بعيدا عن اختلافات المذاهب ، مع بيان الدليل وحكمة التشريع ، وربطه بالحياة .

جـ ـــ تعرض الأخلاق كذلك بعيدا عن غلو المتصوفة وتعقيد الفلاسفة .

د ـــ يعنى بالسيرة النبوية الثابتة وسير الصحابة ورجالات الأمة الإسلامية من القادة والعلماء والصالحين .

هـ ـــ يجب أن تعنى كليات التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ونحوهما

---

١ ـــ سورة التوبة آية ـــ ١٢٢ ـــ

٢ ـــ سورة طه آية ـــ ١١٤ ـــ

بالتعمق في دراسة « الاقتصاد الاسلامي » وأن يكون « الفقه الإسلامي » أساس الدراسة في كليات الحقوق .

خامساً : إعادة النظر في مناهج التعليم في كل المراحل ، وفي شتى المواد ، بحيث تنقى من الأفكار اللادينية ، والأفكار التبشيرية ، والمفاهيم الدخيلة على أمة الإسلام بصفة عامة .. وتوجيه عناية خاصة إلى العلوم الإنسانية : (التاريخ وعلوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد ونحوها) لما تحتوي عليه من كثير من الأفكار المناوئة للإسلام .. حتى مناهج العلوم الكونية لا تخلو نفسها من سموم فكرية ، ولا بد أن تصبغ هذه المناهج كلها بالصبغة الإسلامية وتشبع بالروح الإسلامية ، بغير تزمت ولا تكلف ، كما يجب أن تعمل هذه المناهج على تكوين العقلية العلمية ، والروح العملية ، والنفسية الإيجابية ، والشخصية المتميزة التي لا تحيا مقلدة ولا إمّعة .

سادساً : تأليف كتب تستجيب لهذه المناهج في محتواها وأساوبها وطريقة عرضها ، بحيث تغرس العلم والإيمان والأخلاق جميعا في أنفس الناشئة ، وتخاطبهم باللغة التي يقدرون على فهمها كما جاء في القرآن « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم (١) » .

سابعا : إعداد معلمين صالحين قادرين على تحويل المنهج الصالح ، والكتاب الملائم ، إلى واقع ملموس ، يتمثل في بشر يفهمون ويهضمون ويتذوقون ويعملون وفقاً لما تعلّموه . وذلك بما لديهم من كفاية ومقدرة فنية ، وما يحملون في صدورهم من ضمائر مؤمنة ، فهم في الحقيقة معلمون ومربون ودعاة في الوقت ذاته . وفي الحديث : « إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ، ليصلون على معلمي الناس الخير (٢) » .

---

(١) سورة ابراهيم : ٤ .

(٢) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح . وفي بعض النسخ : غريب .

ويتبع ذلك إبعاد كل فاسد الفكر أو الضمير عن مجال التربية والتعليم .

ثامناً : وقبل كل ما ذكرناه ، يجب أن تتضح لدينا غاية التربية وفلسفتها ، أعني أن تكون فلسفة التربية قائمة على هدف واضح منذ البداية . فلسنا نريد تربية الإنسان الثوري أو اليساري ، ولا الإنسان الرجعي أو اليميني ، ولا الإنسان الطبقي أو البروليتاري ، ولا الإنسان الليبرالي أو الاشتراكي ، ولا الإنسان العربي أو الإقليمي ، ولا الإنسان القديم أو الجديد . إنما تقوم التربية على تكوين « الإنسان الصالح » وكفى .

والإنسان الصالح هو الذي حددت سماته الأساسية سورة « العصر » حيث قال الله تعالى : « والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

أ ــ فهو إنسان مؤمن صاحب عقيدة ، وليس شخصا سائبا ممن غفل قلبه عن ربه ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا .

ب ــ وليس إيمانه مجرد فكرة نظرية ، أو دعوى كلامية ، فإنه يتجسد في « عمل » وليس أي عمل ، بل عمل « الصالحات » . وهو تعبير قرآني ، يعني كل ما « يصلح » به الفرد والجماعة ، و «يصلح» به الدين والدنيا .

جـ ــ وهو لا يكتفي بصلاحه في نفسه متقوقعاً على « الحق » الذي آمن به ، بل يجتهد أن يمد شعاع هذا الحق في المجتمع ، موصيا به وداعيا إليه ، ومتقبلا من غيره ، من أهله وحملته وصيّتهم به ، ودعوتهم إليه ، متعاونين معا في سبيل نشره وحمايته وهذا معنى « وتواصوا بالحق » .

د ــ ثم هو بعد ذلك مستعد أن يحمل ــ مع أهل الحق ــ أعباء التواصي به ، مهما تكن التضحية ، صابرا على مرّ البلاء ، وطول الطريق ، وكثرة المعوقات ، موصياً بذلك غيره ، وقابلا الوصية منه « وتواصوا بالصبر » .

تاسعاً : يجب أن توضع للبلاد الإسلامية خطة لنظام ثقافي إسلامي ، يبنى

على الأسس التالية [1] :

١ ـ وضع نظام ثقافي إسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر . بحيث ينشىء عقلية واحدة لكل أبناء الأمة ، هي العقلية الإسلامية ، فلا ينقسم أبناء المجتمع المسلم بين تعليم قديم وتعليم حديث ، بين تعليم ديني ، وتعليم مدني . وإنما هنالك تعليم واحد هو التعليم الإسلامي .

٢ ـ صبغ التعليم في جميع درجاته وأنواعه ، بالصبغة الإسلامية . أي أن يكون الجو العام للثقافة والتعليم هو جو العقيدة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية .

٣ ـ إحداث وعي إسلامي عام . بحيث يكون هذا الوعي ـ العقلي والنفسي ـ وعيا لمبادىء الإسلام وتعاليمه ، وقضايا الإسلام الكبرى في العصر الحاضر . ووعيا لوحدة العالم الإسلامي ، ومصادر قوته ، وما يجابهه من أخطـار .

٤ ـ الوقوف أمام الأنظمة الثقافية الأخرى التي غزت العالم الإسلامي من ليبرالية ديمقراطية غربية ، ومن اشتراكية ماركسية شرقية .

٥ ـ وصل ما بين الدين والحياة بعرض المشكلات الحاضرة ـ على اختلاف أنواعها ـ على أساس الإسلام ونظرته ، وسد حاجات المجتمع الإسلامي عن طريق التعليم بمختلف تخصصاته ودرجاته .

٦ ـ اختيار الطرق والأساليب الصالحة المناسبة لتعليم الدين وإدخاله في النفوس ، فيراعى في ذلك السن والمستوى العقلي مع العناية بالأصول والمبادىء وتقديم القضايا الهامة ، والعودة إلى القرآن والسنة ، ووصل ما بينهما وبين الآراء الفقهيـة .

---

(١) انظر : كتاب « الفكر الإسلامي المعاصر » للأستاذ محمد المبارك ، فصل « المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي واقعها وعلاجها » ص ١٣١ وما بعدها .

عاشرا : وضع خطة لعمل موسوعات إسلامية عامة وخاصة ، في مستوى الموسوعات العصرية العالمية . لخدمة الثقافة الإسلامية بمختلف جوانبها . ومن ذلك :

أ — موسوعة إسلامية عامة ، يكتبها علماء مسلمون من شتى ديار الإسلام في مختلف التخصصات المتعلقة بالمعارف الإسلامية ، على غرار « دائرة المعارف الإسلامية » التي كتبها المستشرقون ، مع تلافي ما فيها من قصور أو تقصير أو تحامل .

ب — موسوعة للحديث النبوي : — تشمل صحاح الحديث وحسانه ، مما ثبت سنده ، وسلم متنه من الشذوذ والعلة ، مع تبويب جديد ، وفهرسة حديثة ، ومع شرح مركز ، يعين على فهم كنوز السُّنة وأسرارها ، وبهذا يستريح الناس من التعلق بالأحاديث الموضوعة والواهية ، التي طالما أفسدت العقول ، وكدرت منابع ثقافتنا .

ويتبع ذلك موسوعة لرجال الحديث تضم شتات ما تفرق في كتب الرجال ، وتيسر للباحثين التحقيق والتمحيص .

ج — موسوعة للفقه الإسلامي : — تعرض الفقه الإسلامي في مختلف مذاهبه وأقواله المتبوعة اليوم وغير المتبوعة ، مع بيان مآخذها وأدلتها من الكتاب والسنة والاعتبارات الشرعية الأخرى ، كما تعرض لأصول الفقه وتاريخ الفقه وتطوره ، وتعرض كذلك لكل جديد أصيل من بحوث المعاصرين مع بيان معاصرته ، مرتبة على أحدث الأساليب العلمية في كتابة الموسوعات ، ليسهل على كل باحث الانتفاع بها وبخاصة مع حسن الطباعة والإخراج والفهرسة .

وقد بدأت في ذلك محاولة في دمشق انتقلت إلى مصر والكويت . وخرج من كل منهما أجزاء نافعة . وإن لم تخل من ملاحظات عليها . ولا بد من تجميع الجهود لإخراج موسوعة واحدة شاملة . تليق بمكانة الفقه الإسلامي .

د — موسوعة للتاريخ الإسلامي . وتاريخ الإسلام يبدأ بالسيرة النبوية . فعصر الخلفاء الراشدين فمن بعدهم . وهذا التاريخ في حاجة إلى أن تعاد كتابته في ضوء منهاج جديد ، يحسن تقويم المصادر ، وتحقيق الأسانيد ، وتحليل الحوادث والشخصيات ، مستفيدا من كتابات المستشرقين لا معوّلا عليها ، على أن يعنى هذا التاريخ بالشعوب عنايته بالملوك والحكام . وأن يهتم بالعلماء والصالحين ، عنايته بالقادة والفاتحين ، وأن يوجه همه للدين والفكر . كما يوجهه للحرب والسياسة . وأن يكون محور الكتابة هو الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ونظام حياة .

حادي عشر : وضع كتب إسلامية ملائمة لروح العصر ، ذات مستوى رفيع ، صالحة للترجمة للغات العالم الإسلامي . وللغات الحية ، على أن تمتاز بسلامة المادة ، وبوضوح الفكرة ، وجمال العرض ، وبلاغة الأسلوب ، والبعد عن الحشو والفضول . وذلك عن طريق التكليف أو المسابقة ، على أن تقرها لجنة من كبار المختصين ، المرموقين في العالم الإسلامي .

ثاني عشر : إنشاء مجامع علمية لخدمة الثقافة الإسلامية ، على مستوى العالم الإسلامي كله ، وفي مقدمتها : (مجمع للفقه الإسلامي) يُعنى بالدراسات الفقهية ، ويعمل على إبراز التراث الفقهي وتحقيقه وتطويره ، ويشرف على الموسوعة المنشودة ، كما يقدّم مشروعات لتقنين الفقه الإسلامي من مذاهبه المختلفة ، بعد الموازنة والتمحيص ، لاختيار ما هو أرجح وألْيَق بمقاصد الشريعة ، وأوفق بتحقيق المصالح التي هي مُناط التشريع . ويصدر حكمه في القضايا الجديدة التي تحتاج إلى اجتهاد جَماعي من رجال غير مغموزين في علمهم ولا تقواهم .

ثالث عشر : التخطيط لإنتاج فني أدبي متكامل ، يشترك فيه المفكرون والعلماء والأدباء والشعراء وكل من له إسهام في الجانب الفني ، وذلك لتغذية أجهزة الإعلام والتوجيه — من إذاعة وتلفاز ومسرح وصحافة وخيالة وغيرها —

بالأصيل والجادّ من القصص والمسرحيات والتمثيليات وغيرها من البرامج المتنوعة . وبخاصة تلك التي تتعلق بالإسلام ودعوته وكتابه ونبيه وتاريخه ورجاله وحضارته ، لإعطاء صورة صحيحة ومشرقة عن الرسالة الإسلامية ، والبطولة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، والروح الإسلامية ، بحيث يلتقي في رسم هذه الصورة الصدق التاريخي ، والجمال الفني .

في الناحية الاجتماعية :

الإسلام دين اجتماعي ، فهو يسعى إلى إنشاء المجتمع الصالح ، سعيه إلى تكوين الفرد الصالح ، بل يرى أن صلاح المجتمع لازم لصلاح الفرد ، لزوم التربة الخصبة لإنبات البذرة ونموها .

لا يتصور الإسلام الفرد المسلم إنساناً منعزلاً في خلوة ، أو راهباً في صومعة ، بل يتصوره دائماً في جماعة ، حتى عبادته لربه ، فقد دعاه إلى أن تكون في صورة جماعية ، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام وتأكدت أهميتها .

ولو تخلف المسلم عن الجماعة وصلى وحده ، فإن روح الجماعة تظل متمثلة في ضميره ، جارية على لسانه حين يناجي ربه ، قارئاً داعيا « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » .

والزكاة والحج كذلك عبادتان اجتماعيتان .

والقرآن يخاطب المكلفين بصيغة الجماعة فيقول : « يأيها الذين آمنوا » ليشعرهم بأنهم متضامنون في تنفيذ الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأداء التكاليف .

والرسول يرغب دائماً في الجماعة ، وينفر من الشذوذ والانفراد ، ويقول :

« يد الله على الجماعة ، ومن شذّ شذّ في النار » « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

ومن روائع ما ورد عنه قوله : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » حتى أمر من صلى خلف الصف أن يعيد صلاته . كراهية للشذوذ والانفراد ولو في الصورة والمظهر .

ويدعو الرسول بأبلغ الأساليب إلى كل عمل ينفع المجتمع ، ويجعله أرجح عند الله من نوافل العبادات ، فاعتبر إصلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام والصدقة لأنّ فساد البين هي الحالقة . ومثلها الحسد والبغضاء . إنها لا تحلق الشعر . بل تحلق الدين .

ويفرض على كل مسلم ، بل على كل عظم في بدنه « صدقة » يومية يؤديها خدمة للمجتمع ، ولو كانت إماطة للأذى عن الطريق ، أو كلمة طيبة . أو تبسّم الإنسان في وجه أخيه .

ويعنى الإسلام أكبر العناية بالأسرة . حتى تقوم على أسس متينة ، وتستمر في أداء رسالتها ، بعيدة عن الهزات والقلاقل . فهي المدرسة الأولى التي يتخرج في رحابها الأبناء الصالحون . والبنات الصالحات . وإنشاؤها من أفضل الأعمال المقربة إلى الله ، وتهديمها من أقبح الذنوب البغيضة إلى الله . حتى عدّ القرآن من أعمال السحرة الكفرة « التفريق بين المرء وزوجه » .

وعني الإسلام بالمرأة خاصة . فكرّمها بنتاً . وكرمها زوجة ، وكرّمها أما . وكرّمها إنسانا ، وعضواً في مجتمع . وتحدث عن المسلمات والمؤمنات حديثه عن المسلمين والمؤمنين . ليعلم الجميع أن النساء شقائق الرجال « بعضكم من بعض » .

وعني بتربية الأطفال ورعاية الشباب . لأنهم أسلم فطراً . وأقرب إلى نصرة الحق « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

فلا عجب أن يعنى الحل الإسلامي بالنواحي الاجتماعية ، ويوليها اهتماماً يليق بهـا .

وبحسبنا أن ننبه في هذا الجانب مع أهميته القصوى على النقاط التالية :

١ — الاهتمام بشأن المرأة المسلمة بحيث تعود إلى فطرتها الأصيلة ، ورسالتها الجليلة ، فتاة مهذبة ، وزوجة صالحة وأماً فاضلة تعنى بالبيت قبل الشارع ، وبالمخبر قبل المظهر ، وبأداء الواجبات قبل طلب الحقوق ، وبالدين قبـل الطين .

٢ — العناية بالطفولة : صحيا ونفسيا ودينيا ، ومعونة كل أسرة عاجزة عن رعاية أطفالها رعاية كاملة ، والعمل على إيواء المشردين ، بحيث لا يوجد « ابن سبيل » إلا ويصبح ابن بيت ، وأن تهيأ لهم سبل التعلم والريـاضة والفروسية ، ومنع تشغيل الأطفال الذين لا تبلغ أعمارهم اثني عشر عاما ، ليتاح لهم حق التعلم والتمتع بالطفولة المرحة .

٣ — العناية بالشباب الذين هم عدة الحاضر ، وذخيرة المستقبل ، والعمل على إعدادهم إعداداً متكاملا : بدنيا بالرياضة ، وروحيا بالعبادة ، وعقليا بالثقافة ، وخلقيا بالفضيلة ، وعسكريا بالخشونة ، واجتماعيا بالخدمة العامة .

٤ — مقاومة موجة التخنث والتحلل والتقليد الأعمى الذي أفقد الشباب المسلم شخصيته في زيه ومظهره ، وفي سلوكه ومخبره ، بحيث يتوارى من المجتمع أولئك المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات مـن النسـاء بالرجال .

٥ — منع الاختلاط المثير بين الجنسين في مجالات التعليم والعمل والترفيه ، إلا ما اقتضته الضرورة ، فيقدّر بقدرها ، مع مراعاة الأدب والاحتشام .. وتشديد النكير على استغلال أنوثة المرأة في القيام ببعض الأعمال التي هي أليق بطبيعة الرجال .

٦ — مقاومة التقاليد الدخيلة الوافدة مع الاستعمار ، من مساخر «الأزياء» وبدع « الموضات » ومظاهر التعري والتبذل وتبرج الجاهلية ، وتهتك الإباحية ، ونشر الآداب والتقاليد الإسلامية العريقة ، التي لا تسمح بظهور الكاسيات العاريات المائلات المميلات .. وتطهير المجتمع من أسباب الإغراء ، ودواعي الإثارة ، ووسائل التحريض على الفتنة .

٧ — تشجيع الزواج المبكر ، وتهيئة الأسباب المعينة عليه ، والتغلب على التقاليد الاقتصادية والاجتماعية التي تعوقه ؛ من غلاء المهور ، والغلو في التأثيث والإسراف في متطلبات الأعراس ، والاستجابة لتعقيدات العادات مثل وجوب الاستغلال الاقتصادي لكل متزوج ... إلى آخر ما عقّده الناس وعسّروه على أنفسهم ، فعسر الله عليهم .

٨ — إعطاء عناية بالغة لدراسة أسباب كثرة الطلاق ، للعمل على تضييق نطاقه ، واعتباره عملية جراحية أليمة لا يلجأ إليها إلا للحاجة الملحة ، تفاديا لما هو أكبر منها ، واتخاذ ما أمر به القرآن من التحكيم « حكما من أهله وحكما من أهلها » عندخوف الشقاق ، رأباً للصدع ، ومداواة للجرح قبل استفحاله .

٩ — الارتقاء بالفن بشتى أنواعه ، وفي مختلف مجالاته ، بحيث يؤدي رسالة في خدمة أهداف الأمة وقيمها العليا ، بالتوجيه والترفيه ، بعيدا عن إثارة الغرائز ، وتلويث الأفكار ، سواء في ذلك الكلمة المكتوبة والمسموعة والصورة المرئية ، واللوحة المرسومة ، وكل ألوان الفنون التي تقوم عليها الكتابة والصحافة والإذاعة والتلفاز ، والمسرح والسينما وغيرها وبذلك يغدو الفن أداة للبناء والإعلاء ، لا معولاً للهدم والتدمير .

١٠ — تحريم شرب المسكرات بكل أصنافها ، وإغلاق حاناتها ، ومنع صنعها واستيرادها والتجارة فيها ، حفظا للعقول والأجسام والأخلاق من ويلات أم الخبائث ، وسوء أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع كله . ولا معنى — في مجتمع إسلامي — لتحريم المخدرات ومطاردة مدمنيها وتجارها إلى

حد الحكم بالإعدام عليهم في بعض الأقطار الإسلامية، على حين تباح المسكرات جهرة محادّة لله ورسوله .

١١ ــ إغلاق أندية القمار « الميسر » بكل ألوانه كذلك ، فهو أخو الخمر وقرينها في كتاب الله ، فكلاهما رجس من عمل الشيطان . وصدق الله العظيم « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

١٢ ــ إغلاق دور اللهو الحرام التي تشيع الفاحشة ، وتنتهك فيها الحرمات ، وتنشر وباء الفساد والانحلال : من مراقص و « كباريهات » وغيرها من بيوت الليل ، ولا عبرة بما يقال من جلب السياح وكسب العملات الصعبة ، فإن إثمها أكبر من نفعها ، وأخلاق الأمة أولى من كسب رخيص « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

١٣ ــ القضاء على الرّشْوة بدراسة أسبابها، والعمل على تلافيها، وتشديد العقوبة على المرتشي والراشي والرائش جميعا . وتشديد الرقابة على الجهاز الإداري كله ، ومحاولة إصلاحه ، وتطهيره من العناصر الفاسدة ، والاجتهاد في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وتقديم القوي الأمين على غيره « إن خير من استأجرت القويُّ الأمين » وليس أضر على الأمم من تقديم أهل الضعف والخيانة ، وتأخير أصحاب القوة والأمانة . فهذا هو الذي يقرب الأمة من ساعة هلاكها . وقد جاء في حديث البخاري عن النبي ﷺ : « إذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة . فسئل : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله . فانتظر الساعة » ...

في الناحية الاقتصادية :

يتوهم الكثيرون أن الدين لا يعنى بالاقتصاد ، فهما ضدان لا يلتقيان . فالاقتصاد يعنى بالجانب المادي في الحياة ، والدين يعنى بجانبها الروحي .الاقتصاد استغراق في المادة ، والدين استعلاء عليها .

بيد أن هذا إن صح في أديان أخر ، لا يصح في الإسلام ، فقد اعتبر القرآن المال قواماً للحياة حين قال « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » كما اعتبر الغنى نعمة يمتن الله بها « ووجدك عائلا فأغنى » ومثوبة يجزي بها المؤمنين من عباده » « ويمددكم بأموال وبنين » . ولم يغلق الرسول — ﷺ ملكوت السماء في وجه الغني كما رووا عن المسيح عليه السلام ، بل قال « نعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح » .

وأشار القرآن والسنة إلى أهمية المؤثرات الاقتصادية في السلوك البشري ، في مثل قوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » وفي مثل قوله — ﷺ — « إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ، ووعد فأخلف » .

وكان أحد الأركان الخمسة في الإسلام عبادة مالية هي «الزكاة» . وأحد الموبقات السبعة كبيرة مالية هي « الربا » .

رغب الإسلام في الصناعة والاحتراف . وضرب لنا القرآن مثلاً بعدد من

الأنبياء والصالحين من أهل الحرف ، فنوح نجّار يصنع السفن ، وإبراهيم وإسماعيل بناءان يرفعان قواعد البيت . وداود حداد يصنع الدروع السابغات ، وذو القرنين باني السدّ العظيم من زبر الحديد والنحاس المذاب .

ودعا كذلك إلى الزراعة والغرس والتشجير ، بشرط ألا يكتفوا بالزرع ، ويتبعوا أذناب البقر ، ويتركوا الجهاد .

وحث كذلك على التجارة ، ونوّه بالتاجر الصدوق الأمين ، ونهى عن الغش والاحتكار : والتلاعب بالأسعار .

وأقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقرار الملكية الفردية ، لما فيها من إشبـــاع الدافع الفطري في نفس الإنسان ، ولما تثمره من الشعور بالسيادة والقدرة ، فمن شأن السيد الحر أن يملك ويتصرف . أما العبد فلا يملك ولا يتصرف .

ولكنه وضع للملكية أسبابا لاكتسابها وقيوداً لتنميتها ، وحقوقاً دورية وغير دورية عليها .

وقبل ذلك كله اعتبر المالك الحقيقي للمال هو الله تعالى ، والناس أمناء عليه ، أو وكلاء فيه ، وبتعبير القرآن « مستخلفين فيه » .

ومن هنا كانت عناية الحل الإسلامي بالناحية الاقتصادية .

وأبرز ما يراعى فيها الأمور الآتية :

١ — إتاحة العمل الملائم لكل مواطن قادر — باعتبار العمل حقا له وواجبا عليه — وتهيئة التدريب الكافي لكل ذي مهنة . لتحسين مستوى كفايته الفنية ، و بذلك يستطيع كل قادر على العمل أن يكفي نفسه بنفسه . وتحريم الصدقات والمعونات الاجتماعية تحريماً باتاً على كل متعطل عن العمل الملائم له باختياره ، اهتداء بما جاء عن النبي — ﷺ — في قوله : « لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي . » .

٢ — إعطاء الأجر العادل لكل عامل بما يكافيء عمله . ويعطي حاجته بالمعروف ، فالنبي — ﷺ — أعطى في الغنائم الراجل سهما . والفارس سهمين أو ثلاثة أسهم ، لأن كفاية الفارس في الحرب فوق كفاية الراجل .. ثم إنه في الفيء أعطى العزب حظا والآهل — المتزوج — حظين ، لأن حاجة الآهل أكثر من حاجة العزب (ويقاس على الآهل صاحب العيال) وبهذا وذاك يكون النبي — ﷺ — قد اعتبر العمل والكفاية ، كما اعتبر الحاجة أيضا . ولهذا قال عمر في شأن مال الفيء ؛ والله ما أحد إلا وله في هذا المال حق . فالرجل وبلاؤه . والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته .

وبهذا يكون الإسلام قد خالف النظرية الشيوعية التي تعطي كلا حسب حاجته فقط . والنظرية الاشتراكية التي تعطي كلا حسب عمله فقط .

٣ — جباية الزكاة من كل الأموال : ظاهرة (الثروة الحيوانية والزراعية وزكاة الفطر) وباطنة (أموال التجارة والنقود) بوساطة جهاز قوي أمين من « العاملين عليها » كما سماهم القرآن الكريم ، مع وجوب توسيع قاعدتها بحيث يشمل كل مال نام ، وكل دخل فاضل عن الحوائج الأصلية ، وتوزيعها على المصارف الثمانية ، أو السبعة — بعد إلغاء الرق في عصرنا — عملاً بتوجيه القرآن « خذ من أموالهم صدقة » وبقول الرسول « تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » وسنته العملية وسنة خلفائه الراشدين في بعث السعاة والعاملين إلى مختلف البلدان والقبائل لجمعها وتفريقها — كما أمر الله رسوله —

وبذلك تسهم هذه الفريضة في تمويل التكافل ، وتحقيق العدل الاجتماعي ، ومحاربة الكنز ، ومقاومة الاستقراض بالربا ، وانتشال المدينين من ذل الدين ، كما تسهم في تنشيط الدعوة إلى الإسلام ، بما يصرف عليها من سهمي «المؤلفة قلوبهم » و « في سبيل الله » .

٤ — كفالة المعيشة الكريمة ، التي تتوافر فيها « الحاجات الأصلية » — حسب تعبير فقهائنا — ، لكل مواطن عجز عن العمل ، عجزا أصليا أو طارئا ،

عقليا أو جسميا . أو كان قادراً عليه ولكنه لم يجد عملاً . ولم تستطع الدولة أن تهيء له سبيل العمل المناسب لمثله .. أو وجد عملاً ولكن كان دخله منه لا يكفيه ، لكثرة أعبائه العائلية . أو لظروف عارضة زادت في معدل نفقاته ، كمرض ألم به ، أو بأحد من أسرته . أو لغلاء الأسعار أو نحو ذلك .

فمن واجب الدولة المسلمة أن توفر لكل إنسان يعيش في كنفها — مسلماً أو غير مسلم — الغذاء الصحي اللازم ، والملبس الواقي للجسم في حالتي الحر والبرد ، والمسكن الذي يكنّ صاحبه ويستره ويشعره باستقلاله عن غيره ، والعلاج الذي يزيل عنه آلام المرض وييسر له الشفاء وفقاً لسنن الله تعالى .. والتعليم المجاني الذي يخرجه من ظلمة الأمية والجهالة إلى نور المعرفة والثقافة ، وتتيح للذوي المواهب أن يبلغوا أقصى درجات التعلم المستطاع للبشر ، وأن يسدوا كل الثغرات التي تحتاج إليها الأمة في مختلف النواحي والتي عدها العلماء من فروض الكفاية . .

ومن حق كل مواطن في دولة الإسلام أن يطالبها بهذه الحاجات الأساسية إذا قصرت في توفيرها لمستحقيها ، فإن النبي — ﷺ — قال : « **الإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته** [1] » فجعل مسئولية الإمام — رئيس الدولة — عن الأمة كمسئولية رب البيت عن الأسرة . وهذا ما بدأ النبي — ﷺ — بتطبيقه بوصفه إمام المسلمين في عهده ، وذلك حين قال « أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا أو ضياعا (يعني أولادا صغارا ضائعين لعدم ما يكفيهم ومن يكفيهم) فإليّ وعليّ [2] » .

ولهذا كان — ﷺ — يقضي من بيت المال ديون من مات ولم يترك وفاء .

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر .
٢) متفق عليه وا للفظ لمسلم .

وجاء عمر من بعد — وقد اتسعت ثروة الدولة الإسلامية — فبلغ بالتكافل مبلغا لم تحلم به الإنسانية من قبل ، ففرض عطاءً لكل مولود في الإسلام ، وأمر بإجراء معاش أو راتب لكل عاجز عن العمل من أهل الذمة من اليهود والنصارى .

٥ — مصادرة كل مال حصل عليه حائزه بطريق من طرق الحرام وأكل أموال الناس بالباطل — كالغصب أو الاختلاس أو الرشوة أو استغلال النفوذ ونحوها — سواء كان هذا المال عقارا أم منقولا ، بشرط أن يثبت ذلك بتحقيق نزيه ، وأن يفصل فيه قضاء عادل. وما ينتج عن هذه المصادرة المشروعة يوضع في المصالح العامة ، أو في مصالح الفئات الضعيفة خاصة .

٦ — أن يخضع موظفو الدولة — وبخاصة الكبار منهم — لقانون « من أين لك هذا ؟ ! » بحيث يعاقبون على كل كسب غير مشروع ، بمصادرته كله أو بعضه بحسب قوة الشبهة في الملك أو ضعفها ، اقتداءً بما بدأ به النبي — ﷺ — من محاسبة ابن اللتبية . وما سار عليه عمر من بعده في محاسبة ولاته ومشاطرتهم أحياناً نصف ما كسبوا أثناء ولايتهم .

٧ — محاربة السرف والترف في المجتمع بالتشريع والتوجيه ، توفيرا للطاقات المادية والبشرية التي تذهب هدرا من جراء التسابق المجنون في اقتناء الكماليات بل المحرمات ، وحفاظاً على المجتمع من التفسخ والانحلال الذي ينذر به الترف كل من غرق فيه ، ووقاية للأمة من الحقد الطبقي والانقسام إلى أكثرية كادحة شبه محرومة من الحاجات الأساسية للحياة ، وأقلية متنعمة مترهلة تسمن على هزال غيرها .

٨ — تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات . بالعمل الدائب على الحد من طغيان الأغنياء ، والرفع من مستوى الفقراء ، وتصفية الامتيازات التي توارثها بعض الناس بغير حق ، وإزالة المظالم التي يرزح تحت نيرها آخرون بالباطل ، وتضييق الفروق — ما أمكن ذلك — بين أعلى الرواتب

وأدناها ، بحيث يختفي منظر الثراء الفاحش ، إلى جانب الفقر المدقع .

٩ — ومن ذلك : تقريب الفوارق بين القرية والمدينة . بحيث لا تستحوذ المدينة وسكانها على جل اهتمام الدولة وجل خدماتها . وتترك القرية في زوايا النسيان أو الإهمال . فلا بد من مزيد من الاهتمام بالقرية ورفع مستواهـا صحيا واقتصاديا وعمرانيا واجتماعيا وثقافيا . فلولا القرية ما أكلت المدينة !

١٠ — تطهير كل المؤسسات الاقتصادية من رجس الربا . ومن كل معاملة تخالف شريعة الإسلام . وإنشاء مصارف «بنوك» إسلامية تتعامل على غير أساس الربا ، وإلغاء كل البنوك التي لا تخضع لهذا الاتجاه ، وبذلك تحرر الأمة من نجاسة الخبث ، ومن شر آثار الرأسمالية . ومن أخطبوط اليهودية العالمية المتصرفة في ذهب العالم وبنوك الدنيا . ولا تأذن الأمة بحرب من الله ورسوله .

وفيما كتبه أساتذة الاقتصاد الإسلاميون في مصر وباكستان وغيرها[1] مجال رحب لمن يريد تحويل النظريات إلى واقع عملي . وإذا صدق العزم وضح السبيل .

١١ — وضع خطة — على أساس علمي وإحصائي — لزيادة ثروة الأمة وتنمية إنتاجها كمّا ونوعا ، والاستفادة من التكامل الاقتصادي بين البلدان الإسلامية للعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما بينها ، واتخاذ الوسائل الفعّالة مادية ومعنوية ، لدفع عجلة التنمية . وتنظيف المجتمع من كل الآفات النفسية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية التي تعطل طاقـات الشعب . وتحطم منجزاته . وتعوق مسيرته نحو التقدم .

---

(١) تراجع في ذلك كتابات الأستاذ عيسى عبده والدكتور أحمد النجار تحت عنوان « بنوك بلا فوائد » وبحث الدكتور محمد عزيز « عوامل النجاح في البنوك اللاربوية » وبحث المرحوم الدكتور محمد عبدالله العربي عن الاقتصاد الإسلامي في كتاب « المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر وكتاب « البنك اللاربوي في الإسلام » للأستاذ محمد باقر الصدر وكتاب « بعض النواحي الاقتصادية في الإسلام » الذي أصدرته أمانة المؤتمر الإسلامي في كراتشي . وهو يشمل على عدة بحوث في الاقتصاد الإسلامي ، وبعض بحوث أخرى للشيخ محمد أبو زهرة ، والسيد أبي الأعلى المودودي ، والأستاذ محمود أبو السعود وغيرهم .

في الناحية العسكرية :

وأهم ما تجب ملاحظته فيها ما يأتي :

١ ــ تجنيد كل الكفايات والاستعانة بكل الخبرات ــ الإسلامية أولاً ، والعالمية عند الضرورة ــ لإعداد أقصى قوة حربية إسلامية مستقلة ، ترهب أعداء الله وأعداء المسلمين ، وقادرة على صد المغيرين ، وتأديب المعتدين ، ومساندة المستضعفين ، وعلى استرداد الأرض الإسلامية المغتصبة ، وعلى الذود عن دعوة الإسلام ، وعن دار الإسلام ، مهما اتسعت أطرافها ، استجابة لأمر الله تعالى في كتابه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم [١] » .

٢ ــ والاجتهاد في وضع خطة جادة متكاملة ــ بالتعاون مع كافة المسلمين المخلصين ــ للاستغناء نهائيا عن استيراد العتاد والسلاح من دول تخالف فلسفتها وعقيدتها « ايديولوجيتها » عقيدتنا وفلسفتنا في الحياة ، وقد تخالف سياستها سياستنا أيضا ، وبهذا تتحكم في سياستنا ، وتوجهنا جبراً إلى سياستها ، فلا تبيعنا من السلاح ما نريد بل ما يوافقها ، من حيث الكم والنوع ، والطاقة ، وشروط الاستعمال ، فضلا عن حاجتنا إلى خبراء من غير أمتنا ، يطلعون على أوضاعنا ويكشفون عوراتنا .

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

٣ — إشاعة « روح الجهاد » في الأمة ، وتقوية الروح المعنوية بين أبنائها ، وإعدادهم ماديا ومعنويا ، ليكون كل منهم « مقاتلا في سبيل الله » لا مزاحما في سبيل الشهوات ، وذلك إنما يتم بأمور :

أ — فرض التجنيد الإجباري على كل شباب الأمة ، وتدريبهم على أحدث أنواع القتال بأحدث أنواع الأسلحة ، فإن القوة الحربية ليست في السلاح وحده ، بل في حسن استعماله ، كما أشار إلى ذلك النبي — ﷺ — في تفسيره لقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » حيث قال « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي [١] » ...

على أن يستمر هذا التدريب بين حين وآخر بحيث لا تطول فترة انقطاع المدرَّب عن سلاحه فينسى . وفي الحديث : « من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها [٢] » .

ولا يعفى من هذا التجنيد إلا ذوو العاهات والعجزة ممن أعفاهم الله في كتابه « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » .

ب — الإعداد الفكري والنفسي المستمر للترغيب في الجهاد والتشويق إليه ، بحيث يكون أبناء الأمة مستعدين للجهاد في أي وقت ، وأية حالة طارئة . ولهذا جاء في الحديث « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق [٣] » « من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة [٤] » .

جـ — محاربة أخلاق الضعف والخنوع ، ومظاهر الميوعة والتخنث ، التي

---

(١) رواه مسلم وغيره عن عقبة بن عامر .
(٢) رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط بإسناد حسن كما في الترغيب للمنذري .
(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة .
(٤) رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة وقال الترمذي : حديث غريب .

تفسد الرجولة ، وتقتل معاني العزة والكرامة ، وتشيع الطراوة والرخاوة ومعاني الانحلال . التي تأتي على الأمة من القواعد فتدمرها تدميرا. ولهذا حرم الإسلام على الرجال بعض ما باح للنساء كالذهب والحرير ، ليحفظ على الرجل رجولته وخشونته اللازمة لقيامه بعبء الجهاد .

د — وأخيراً — وهذا أهم من كل ما سبق — ربط الجهاد بالعقيدة التي تؤمن بها الأمة وتعيش لها ، وتستعذب الموت في سبيلها ، فإن الجهاد من غير عقيدة يفقد معناه وروحه . وعقيدة أمتنا هي الإسلام . ولهذا لم تتجمع في تاريخها إلا على «الجهاد في سبيل الله» . وقد فسر رسولنا معنى «سبيل الله» فقال :

« من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله [1] » .

وليس هناك أقوى تأثيرا في تاريخ معارك أمتنا من مثل هذه الكلمات : « الله أكبر » أو «واإسلاماه» ، أو هبي يا ريح الجنة !

---

(١) رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري .

في الناحية السياسية (الداخلية والخارجية) :

في السياسة الداخلية :

أولا : تستبعد الفكرة الغربية الدخيلة ، القائمة على الفصل بين الدين والدولة ، والعودة إلى الفكرة الإسلامية الأصيلة التي لا تعرف إلا « الإمامة » التي هي منصب ديني وسياسي معا ، فهي رئاسة عامة في الدين والدنيا ، أو نيابة عن رسول الله — ﷺ — في حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، كما عرفها علماؤنا .

ثانيا : لا تنفصل السياسة في الإسلام عن العقيدة ولا عن الشريعة ولا عن الأخلاق، وإنما ترتبط بها كلها ، وتلتزم بها كلها ، ولا يقر الإسلام المبدأ القائل : إن الغاية تبرر الوسيلة ، فهو لا يرضى اتباع الباطل لنصرة الحق ، ولا يرى إلا الوسيلة النظيفة للغاية الشريفة .

ثالثا : يجب تجنيد الكفايات الإسلامية (الفقهية والقانونية والسياسية) المخلصة ، لتقوم بوضع دستور إسلامي [1] يحدد نظام الحكم والعلاقة بين

---

(١) قامت عدة محاولات متفاوتة فردية وجماعية ، لوضع دستور إسلامي ، لا تخلو من ملاحظات واستدراكات ، تقل في بعض وتكثر في بعض ، منها « صياغة موجزة لمشروع دستور إسلامي » للأستاذ المودودي ، ومحاولة الأستاذ أبي بكر الجزائري المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كتابه « الدستور الإسلامي » ومحاولة الشيخ النبهاني في كتاب =

الحاكم والشعب ، كما يحدد الحقوق والواجبات للمواطنين في الدولة المسلمة ، ويفصل اختصاصات السلطات ، مستفيداً من تجارب التاريخ والواقع ، ومستهدياً قبل كل شيء بقواعد الشريعة ونصوص الكتاب والسنة .

رابعا : يجب أن يتم اختيار رئيس الدولة بالبيعة ورضا الشعب ، وعلى أساس من الشورى وأن يكون للأمة وممثليها في ذلك الكلمة العليا .. وأن يخضع هذا الرئيس لرقابة الشعب ، ولا يعلو على كلمة الحق تقال في وجهه ، كما لا يعلو على المثول أمام القضاء ، إذا ارتكب أي مخالفة ظاهرة .. وأن يتضح ذلك كله في صلب الدستور .

خامساً : يجب أن يؤكد هذا الدستور حق الفرد — الإنسان أو المواطن — في الحرية ، فقد ولدت الناس أمهاتُهم أحرارا ، فلا يجوز أن يُستعبدوا لأمثالهم من الخلق .

ولسنا نعني بالحرية : اتباع الشهوات وانطلاق الغرائز السفلى ، فهذه بهيمية لا حرية ، ولا نعني بها اتباع الشبهات ، وبلبلة الأفكار ، وإثارة الفتن ، فهذه فوضى لا حرية .

إنما نعني بحرية المواطن أو الإنسان هنا : خلاصه من كل سيطرة تتحكم في تفكيره أو وجدانه أو حركته ، سواء كانت سيطرة حاكم مستبد ، أم كاهن متسلط ، أم إقطاعي ورأسمالي متجبر .

وحرية الإنسان أو المواطن لها هنا مجالات شتى :

أ — حريته في أن يفكر ويعمل عقله الذي آتاه الله إياه ، وفضّله به على كافّة الحيوانات . وليس من المقبول أن يمنح الإنسان هذه الجوهرة ثم يعطلها ويجمدها ، ليفكر له غيره .

=« نظام الإسلام » ومحاولة « جبهة الميثاق الإسلامي » في السودان قبل ثورة مايو ١٩٦٩ ولعلها أقرب هذه المحاولات إلى الاعتدال والواقعية وإن لم نرها منشورة في كتاب .

ب ــ حريته في التعبير عما يجيش به صدره ، أو ينتهي إليه فكره ، بالقلم أو اللسان ، بالكتاب أو بالصحيفة أو بالخطابة ، فإن الله تعالى يقول « خلق الإنسان . علمه البيان [1] » . فلا بد أن يسمح له بأن يبين عن نفسه ، وإلا كان كالحيوان الأعجم أو الحمار الأصم .

جـ ــ حريته في اعتقاده ــ فلا يكره على اتخاذ دين بعينه ، أو نحلة بعينها ، أو على تغيير دينه بدين آخر ، أو العيش بغير دين ، أو على تعطيل شعائر دينه ، أو غير ذلك مما يقلق ضمير الإنسان « لا إكراه في الدين [2] » .

د ــ حريته في نقد الأوضاع الجائرة والاتجاهات المنحرفة ، والتصرفات الخاطئة ، مهما يكن مركز من صدرت عنه ، فليس أمام الحق كبير « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [3] » على أن يكون الحكم في ذلك والمقياس الأوحد هو الإسلام .

هـ ــ حريته في الاجتماع بغيره ممن يرى رأيه ، ليكوّنوا معاً هيئة أو جماعة أو حزباً ، ما دامت هذه المؤسسة تقوم على أساس فكري سليم ، مبني على احترام عقائد البلاد ونظام حياتها الشرعي . قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » [4] .

و ــ حريته في كسب عيشه ، ليعف نفسه ، ويكفي أهله ، ويعود على من حوله ، فلا يجوز أن يغلق عليه باب العمل رأساً .. أو يضيق عليه الخناق في تدبير أمر رزقه ، حتى يعمل في غير اختصاصه أو فيما لا يلائمه .. أو يفصل من عمله اضطهاداً وعقوبة على غير جريمة اقترفها ، تستحق أن يحرم هو ومن يعول .

---

(١) سورة الرحمن : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة البقرة : [illegible]

(٣) سورة التوبة : [illegible]

(٤) سورة المائدة : [illegible]

ز — حريته داخل مسكنه الخاص ، فلا يقتحم عليه بغير إذنه ، ولا يُتجسس ولا يُتسمع عليه ، ولا تتبع عوراته ، قال تعالى « ولا تجسسوا » « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وفي الحديث « لا تتبعوا عورات المسلمين » « من استمع حديث قوم وهم له كارهون . صب في أذنه الآنك يوم القيامة » .

ح — أن يأمن على حرماته كلها من أي عدوان عليها من السلطة والموالين لها ، وهذه الحرمات هي :

١ — الدين ، فلا يستخف به أو يهان .

٢ — النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق .

٣ — البدن ، فلا يجوز تعذيبه أو إيذاؤه إلا في عقوبة شرعية قامت أدلتها وانتفت شبهاتها ، فإن ظهر المؤمن حمى .

٤ — العرض — بمعنى الكرامة الشخصية للإنسان — فلا يجوز أن يشتم أو يسخر به في حضرته ، أو يؤذى ويذكر بسوء في غيبته ، أو يحقر من شأنه . فإن الله حرم الأعراض ، كما حرم الدماء والأموال .

٥ — الأهل ، فلا يجوز الاعتداء على زوجه أو أولاده أو أحد أبويه أو محارمه .

٦ — المال ، فلا يجوز مصادرة مال جمعه من حلال ، ولم ينفقه في باطل ، ولم يبخل به عن حق .

سادسا : كما أكد الدستور حق الفرد في الحرية والأمن على نفسه وأهله وماله وسائر حرماته ، يجب أن يؤكد حق المجتمع في الحفاظ على كيانه ووجوده من انحرافات الأفراد وطغيان الأنانيات ، وفي حماية عقائده وآدابه من دعاة التحلل والإباحية ، وفي حماية شريعته ونظامه من دعاة التبعية للغرب أو للشرق ... ومن وسائل ذلك إقامة الحدود والعقوبات الشرعية على مستحقيها ،

سابعا : يضمن هذا الدستور للأقليات غير المسلمة أن يعيشوا في كنف الإسلام أحراراً في التمسك بعقائدهم ، وأداء عباداتهم ، وإقامة شعائرهم ، بشرط أن يحترموا مشاعر الأغلبية ، ولا يجرحوا أحاسيسهم بما لا حاجة إليه ، من افتعال التحديات والتظاهرات التي لا تثمر إلا إيغار الصدور ، وأن يكون لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، إلا ما اقتضته ظروف دولة ايديولوجية ، تقوم في الأساس على فكرة الإسلام .

في السياسة الخارجية :

ثامنا : أما السياسة الخارجية فتقوم على ما يأتي :

أ — اعتبار المسلمين حيثما كانوا أمة واحدة ، جمعت بينهم عقيدة الإسلام وشريعته وأخوته ، لايفرق بينهم اختلاف جنس أولون أو لغة أو وطن أو طبقة . يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

ب — وكل أرض استوطنها المسلمون ، وقامت فيها شعائر الإسلام وشرائعه ، وارتفعت فيها مآذن تنادي بالتكبير والتهليل ، هي وطن إسلامي يجب حمايته والذود عنه .

ج — وكل بلد مسلم اعتُديَ عليه ، له حق المعونة والنصرة والمساندة ، المادية والأدبية ، حتى يحرر أرضه وينتصر على عدوه .

د — الأقليات المسلمة في شتى بقاع الأرض هم جزء منا بحكم أخوّة الإسلام ، فلهم حق المعاونة ، والمعاضدة ، وعلينا مناصرة المستضعفين — والمضطهدين منهم بكل ما نستطيع من قوة ، ولو أدّى ذلك إلى حمل السلاح لإنقاذهم من طغيان الكفرة ، وعدوان الفجرة ، استجابة لقوله تعالى « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .... »

هـ — العمل على إزالة الحواجز المفتعلة بين بلاد المسلمين بعضهم وبعض

أو تخفيفها على الأقل ابتداء ، لتقوى بينهم الصلات ، وتتوثق عرا الأخـوة والتعارف .

و — زيادة التعاون بين المسلمين في شتى المجـالات بدءا بالمجـالات الاقتصادية والثقافية والإعلامية والدفاعية ، استجابة لأمر الله بالتعاون على البر والتقوى .

ز — مناصرة الحركات التحررية في العالم كله ، انطلاقا من الفكـرة الإسلامية التي ترفض استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، أيا كان دينه وجنسه .

ح — الترحيب بالسلام بين الدول والشعوب ، إذا كان قائماً على أساس من العدل والمساواة واحترام الحقوق ، ورفع الظلم عمن وقع عليه وإن طال الأمد ، قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

تاسعاً : العناية البالغة باختيار العناصر التي يوكل إليها سياسة الأمة ، وقيادة سفينتها ، فإن كل المبادىء والدساتير ، تظل حبرا على ورق ، ما لم تجد الرجال الأقوياء الأمناء الذين إذا حدثوا صدقوا ، وإذا وعدوا أنجزوا وإذا ائتمنوا أدّوا وإذا عاهدوا وفوا .

ومن ضرورة ذلك : وضع شروط ثقافية ودينيـة وخلقية للمرشحين للمجالس النيابية والشورية وسائر المناصب الكبرى ، حتى لا توضع قيادة الأمة في أيدي الجهلة أو الملاحدة أو الفسقة .

في الناحية التشريعية :

كان التشريع الإسلامي هو الموجّه الفذ ، والمرجع الأوحد لحياة المجتمع الإسلامي في كل العهود السابقة ، ومنه استمدت كل الأحكام ، وعلى أساسه قامت كل العلاقات في كافة النواحي المدنية والجنائية والدولية والأسرية التي يطلق عليها الآن اسم « الأحوال الشخصية » .

كان الجميع — حكاما ومحكومين — يستفتون هذا التشريع ويحتكمون إليه في كل أمورهم ، معتقدين قدسيته وبلوغه إلى الدرجة العليا في رعاية الحق والعدل وتحقيق مصالح الفرد والجماعة ، بلا إفراط ولا تفريط .

ولم يدر بخلد أحد في أمة الإسلام أن يحتكم أبناؤها يوما إلى أحكام غير أحكامه ، ومباديء غير مبادئه . كيف ؟ ! والله تعالى يقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »

ولكن الذي حدث أن الاستعمار الغربي الصليبي زحف على بلاد الإسلام منذ القرن الماضي ، وأوائل القرن الحالي ، فاحتل أكثر هذه البلاد ، وتحكم في رقاب أهلها ، وأصبحت في يديه مقاليد الحياة كلها ، من سياسة إلى تشريع إلى تعليم ، إلى تنفيذ .

فلا عجب أن أدخل قوانينه ومبادئه ونظرياته التشريعيه ، فأصبحت هي السائدة على كثير من المجتمعات ، ولم تدع للشريعة إلا ركنا ضيقا في الحياة هو ما يسمى بالأحوال الشخصية .

ومن هنا وجب — في نظر الحل الإسلامي — إعادة البناء التشريعي من جديد مراعيا الأمور الآتية :

١ — النص في الدّستور على أن المصدر الفذ للقوانين في كافة جوانب الحياة هو الشريعة الإسلامية بمصادرها الأصلية والتبعية .

٢ — النّص على أن كل قانون يخالف النصوص القطعيّة أو الإجماع اليقيني المتيقّن واجب البطلان

٣ — يمكن — مرحليا إلى أن توضع قوانين إسلامية خالصة — أن تراجع القوانين المعمول بها حاليا ؛ لتنقيتها من كل ما يخالف أحكام الشريعة ، وإقرار مايتفق منها مع هذه الأحكام ، على أن يربط بالشريعة وفلسفتها بكتابة مذكرات تفسيرية من وجهة نظر الشريعة وتكملة البناء التشريعي بما يفرضه الإسلام من أحكام وقواعد غفل عنها القانون الوضعي .

٤ — يلغى كل قانون يشتمل على امتياز لبعض الطبقات بغير مسوّغ ، أو على ظلم لبعض الفئات بغير سبب ، أو جور على حريات الأفراد بغير ضرورة

٥ — أن تكوّن هيئة عليا من الفقهاء المتضلعين في أحكام الشريعة وأدلتها ومقاصدها ، والمطلعين على أحوال العصر وتياراته لمراجعة كل قانون جديد يصدر من الجهات المختصة ، لإقراره بمقتضى الشرع أو إلغائه إن خالف نصاً أو قاعدة .

٦ — النص على إقامة الحدود والعقوبات الإسلامية التي شرعها الله ، حفظاً للمجتمع ، وردعاً للأشرار ، وقطعاً لشأفة الجريمة ، كحدود السرقة والحرابة والزنى والقذف والسكر وقتل العمد ، والرِّدة : تلك التي ثبتت بالقرآن والسنة ،

مع مراعاة التشدد في أركان الجريمة وشروطها ، ودرء الحدود بالشبهات ما وجد إلى ذلك سبيل .

٧ — اختيار أحج الآراء الفقهية من شتى المذاهب الإسلامية المعتبرة ، وأليقها بتحقيق مقصود الشارع ، وأبعدها عن التزمت والتعسير ، ليُبنى منها قانون إسلامي يجاري روح العصر ، ولا يتجاوز أحكام الشرع .

٨ — أن يكون الفقه الإسلامي أساس الدراسة في كليات الحقوق ، في كل الجامعات .

شروط الحلّ الإسلامي

شروط الحل الإسلامي

نحن نؤمن بحتمية حل واحد لكل المشكلات التي تعانيها هذه الأمة ، سواء كانت مشكلات اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية أم عسكرية أم فكرية وخلقية .

إنه حل واحد ، ولا حل غيره . هو الذي ينقذ هذه الأمة من تخبطها واضطرابها وحيرتها وعذابها وذلها وعارها .

إنه « الحل الإسلامي » الذي يتمثل في قيام مجتمع إسلامي صحيح الإسلام مجتمع توجهه وتحكمه وتسوده عقيدة الإسلام ، ومفاهيم الاسلام ، وشعائر الإسلام ، ومشاعر الإسلام ، وأخلاق الإسلام ، وتقاليد الإسلام ، وقوانين الإسلام .

ولكن من الناس من يدّعون الأخذ بالإسلام ، ويتمسحون به ويزعمون أنهم موالون له ، وليسوا غرباء عنه ، وأن ما يطبقونه فعلاً ، أوما يدعون إليه نظرا ، هوالحل الإسلامي .

لهذا أردت أن أضع هنا جملة شروط أساسية لا يعدّ الحل المنشود « حلا إسلاميا » إلا برعايتها وتوافرها فيه . كما لا تتهيأ له أسباب النجاح إلا بوجودها .

١ — ضرورة الدولة المسلمة :

أولا : إذا كان الحل الاسلامي يعني قيام مجتمع إسلامي خالص للإسلام تتمثل فيه مقومات المجتمع المسلم وخصائصه ، فإن الشرط الأول لذلك أن يقوم في رقعة ما من الأرض حكم إسلامي خالص ، يقود المجتمع بكلمات الله وهداية الله .. حكم يرى الناس في ضوئه نموذجا لفضائل الإسلام في وضوحه وشموله وتوازنه وتكامله وعمقه ، مجسدة في مجتمع . حكم يرى الناس في ظله نموذجا للمجتمع المسلم ، وللأمة المسلمة ، التي تقوم على عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام ، وأخلاق الإسلام ، ومفاهيم الإسلام .

لابد من قيام هذا الحكم أو هذه الدولة ، لتعمل على تكوين المجتمع المسلم المنشود ، وبعبارة أخرى : إعادة مجتمعنا إلى حظيرة الإسلام ، إلى حقيقة الدين الذي يؤمن بأنه من عند الله ، وتنقية هذا المجتمع — فكريا ونفسيا وسلوكيا — من « **الأجسام الغريبة** » التي تسللت إليه ، والجراثيم الخفية التي أضرّت به : من لوثات العلمانية والقومية والسلبية ، وتوجيهه نحو « **القبلة الواحدة** » التي تلتقي عندها — وحدها — أفكاره وعواطفه ، وتذوب أمامها كل الفوارق المصطنعة التي تخالف بين الناس . تلك القبلة التي يمثلها شعار هذا الدين ، كلمتا الشهادة « لاإله إلا الله ، محمد رسول الله » .. ثم قيادة هذا المجتمع — بالتربية والتثقيف والتشريع — نحو الإسلام الحق : إسلام الفكر ، وإسلام النفس ، وإسلام السلوك

حتى يتأسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، ويقوم تشريعه وتوجيهه كله على قواعد الإسلام : وتشيع القيم الإسلامية في نواحيه ، وتسري في كيانه كله كالدم في العروق ، والعمل على تثبيتها وتركيزها وحراستها من كيد أعداء الله وأعداء الإسلام .

ومن تصوّر قيام المجتمع المسلم — بكل مقوماته وكل خصائصه — بدون حكم إسلامي يوجهه ويرعاه ويحرسه ، فقد أخطأ خطأين كبيرين :

أخطأ **أولا** : في فهم المجتمع المسلم ، الذي يعتبر الحكم فريضة من فرائض دينه ، ويعتبر التقاء الدين والدولة فيه خصيصة من خصائصه .

وأخطأ **ثانيا** : في ظنه إمكان قيام مجتمع إسلامي يوجهه حكم غير إسلامي : حكم علماني ، قومي أو اشتراكي أو ليبرالي ، وخاصة في هذا العصر الذي مكنت فيه التكنولوجيا الحديثة الدولة من القدرة الهائلة على التأثير في الشعب بوساطة الأجهزة الجبارة التي وضعها العلم في يديها . من الكتاب والمجلة والصحيفة ، إلى الإذاعة المسموعة والمرئية ، — التلفزيون — إلى المسرح والخيالة — السينما — إلى المؤسسات التعليمية والتربوية التي تشرف الدولة عليها من مدارس المرحلة الأولى إلى الجامعة . وبهذا كله أصبحت قدرة الحكومات على التأثير في الشعوب وتغيير أفكارها وأذواقها واتجاهاتها من مميزات هذا العصر . كما ذكر ذلك الفيلسوف الانجليزي المعاصر برتراند رسل .

حاجة الإسلام إلى دولة :

ثم إن الإسلام — لو لم تجئ نصوصه المباشرة — بايجاب اقامة دولة له ، لكانت حاجته إلى دولة لاريب فيها . فهو يحتاج إلى دولة وحكم لأكثر من سبب ، وأكثر من موجب .

أولاً : لحماية عقائده وتثبيتها ، وإزاحة كل ما يشوه جمالها ، ويطمس نورها . ولهذا بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — علياً ؛ ليسوّي القبـــور ، ويحطم الأوثان . **إن عقيدة الإسلام عقيدة انقلابية شاملة ، لا ترضى أن تعيش على هامش الحياة** ، أو ترضى بالمكان الهون في صدور الناس وعقولهم ، بل من شأنها أن تسود الحياة كلها . وتوجه الأفكار والمفاهيم ، والأقوال والأعمال ، والأخلاق والسلوك ؛ وتصبغ وجه المجتمع كله صبغة الإيمان وصبغة الله «ومن أحسن من الله صبغة » .

وثانياً : لإقامة شعائره وعباداته ، والإعانة عليها ؛ فإن عبادات الإسلام لا يمكن أن تؤدى حق أدائها إلا في ظل دولة ترعاها ، وتقوم عليها .

(أ) فالصلوات الخمس التي فرضها الإسلام كل يوم وليلة ، وشرع أداءها في جماعة ، وشرع لها **الأذان** ، وبنى لها المساجد . لا بد أن تشرف الدولة على ذلك كله ، فتنشيء المسجد ، وتنصب الإمام ، وتهيء المؤذن ، وتراقب إقامة الفريضة ، وأبرز ما يكون ذلك في صلاة الجمعة .

وعليها كذلك أن ترغب في إقامة هذه الصلوات ، وتشجع عليها ، وتقدم

أهلها على غيرهم . كما كان عمر — رضي الله عنه — يبعث إلى ولاته وعماله يقول لهم : إن أهمّ أموركم عندي الصلاة ، فمن ضيّعها فهو لما سواها أكثر تضييعا .

وعليها بعد ذلك تأديب المستهترّين بهذه الفريضة بما يردعهم ويردهم إلى سواء السبيل .

ولقد اتفق فقهاء الإسلام على أن المسلم إذا ترك الصلاة جحودا أو استهتاراً بما فرض الله ، يخرج بذلك عن الإسلام ، وعلى الحاكم المسلم أن يستتيبه حتى يعود إلى حظيرة الإسلام ، أو تضرب عنقه .

فإذا تركها عمداً كسلاً . فإن إجماعهم منعقد على ضرورة تأديبه وعقوبته وإن اختلفوا في مدى هذه العقوبة . فالإمام أحمد يوجب قتله ؛ لأنّه يعتبر ترك الصلاة كفراً ، كما صحت بذلك الأحاديث.

والشافعي يوافقه في عقوبة القتل ، وإن لم يعتبره كافراً . ومثله مالك . وأبو حنيفه يكتفي بإيجاب ضربه ضرباً شديداً ، وحبسه حتى يصلي ، كتارك صوم رمضان . .

وكذا لو ترك أهل بلد الأذان ، أو تركوا الجماعة أو الجمعة ، فلا بدّ من تدخل الإمام أو نائبه — أي الدولة — لعقوبتهم . بما هو إجماع علماء المسلمين في شتى الأزمان والأقطار .

وكل ذلك يدلنا بوضوح على أن وجود الدولة أمر مفروض ومفروغ منه لإقامة فريضة دينية كالصلاة .

(ب) والزكاة وهي العبادة المالية الاجتماعية في الإسلام ، لا يمكن أداؤها — كما شرع الله ورسوله — إلا في ظل دولة .

فالأصل في هذه الفريضة أن يتولى تحصيلها وتوزيعها الإمام أو نائبه ،

وبتعبيرنا الحديث « الدولة » فليست الزكاة إحسانا فرديا يقوم به من يرجو الثواب ، ويخشى الدار الآخرة فحسب ، بل هي ضريبة منَظّمة تشرف عليها الحكومة المسلمة بواسطة الجهاز الإداري الذي سمّاه القرآن « العاملين عليها [1] » وجعل لهم سهماً في مصارف الزكاة ، مما يدل على أن للزكاة حصيلة قائمة بذاتها غير مخلوطة بخزانة الدولة العامة [2] .

ولهذا خاطب الله رسوله بقوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها [3] » . وقد امتثل رسول الله أمر ربه ، وأخذ الزكاة ، وبعث السعاة إلى مختلف الأقاليم محصلين وموزعين ، وأمرهم أن يأخذوها من أغنياء كل بلد ويردوها في فقرائه .

ولما تمرد بعض العرب في خلافة أبي بكر على أداء الزكاة ، أبى إلا قتالهم حتى يؤدوا حق الله ، وحق الفقراء في مالهم ، وأجمع الصحابة معه على ذلك وقال كلمته المعروفة « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

(ج) وصيام رمضان وقيامه لا يتحقق كما ينبغي إلا في ظل دولة تعين الصائمين على صيامهم ، وتشجع القائمين على قيامهم ، وتعاقب المتعمّدين للإفطار على إهانتهم لشعائر الله ، وتحديهم لمشاعر المسلمين .

(د) والحج ، وهو تلك العبادة الفريدة التي فرضها على المسلم المستطيع في العمر مرة — لا يمكن أداؤه إلا في ظل دولة ، تيسّر وسائل هذه الرحلة المقدسة ، وتحمي المسافرين إلى البيت العتيق ، وتخلفهم في أهليهم وأموالهم حتى يعودوا .

---

(١) في الآية : ٦٠ من سورة التوبة .

(٢) انظر في تفصيل ذلك وأدلته من الكتاب والسنة وهدي الصحابة ، كتابنا «فقه الزكاة» — باب « علاقة الدولة بالزكاة — الجزء الثاني .

(٣) الآية : ١٠٣ من سورة التوبة .

ولكي نعرف هذا جيداً ، يجب أن نذكر أن هناك عشرات الملايين من المسلمين في الاتحاد السوفيتي . في بلاد البخاري وغيره من الأئمة ، ظلوا عشرات السنين لا يحج منهم أحد ، ومثلهم كذلك المسلمون في تركيا في عهد « أتاتورك» وأتباعه .

ثالثاً : والإسلام في حاجة إلى الدولة لغرس آدابه وأخلاقه في أنفس أبنائه والناشئة خاصة .

إن مناهج التربية والتعليم ، ووسائل التثقيف والإعلام ، وأدوات التوجيه والترفيه ، يجب أن تسير كلها وفقا لمفاهيم الإسلام ، وآداب الإسلام، وأن تعمل كلها على غرس فضائل الإسلام ، وتنظيم حرمات الاسلام .

يجب أن يكون الكتاب والرسالة ، والمجلة والصحيفة ، والقصة والمسرحية والفيلم والأغنية . وكل ما ينتجه العلم والأدب والفن في خدمة الإسلام ومثله العليا .

أما أن يكون المسجد والمنبر في جانب ، والمدرسة والجامعة ، والصحافة والإذاعة ، والتليفزيون والسينما والمسرح ، وكل أجهزة التأثير والدعاية والتوجيه في جانب آخر ، جانب التحلل من الدين ، والإزراء بقيمه والسخرية بتعاليمه ، فهيهات أن يغني صوت المنبر شيئا ، وهذا إذا افترضنا أن تتاح له الحرية ليقول كلمة الحق .. وما تغني كلمة خافتة في ساعة من الأسبوع تضيع وسط الضجيج والصخب الهائل الذي تخرجه الإذاعات والصحف والأبواق الهدّامة هنا وهناك ؟ !

متى يبلغ البنيـــان يومـــا تمامـــه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدِم ؟

رابعاً : ثم هناك التشريعات والقوانين التي جاء بها الإسلام ، لينظم بها جوانب هامة من الحياة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسيـــة . كقوانين الأسرة والميراث والنفقات في الأحوال الشخصية . وكتحريم الربا

والقمار والخمر والاحتكار في القانون المدني . وكقطع يد السارق ، وجلد الزاني والقاذف وشارب الخمر ، والقصاص من القاتل المتعمد ، وقتل الزاني المحصن والتارك لدينه ، المفارق للجماعة في قانون العقوبات .

من الذي يقوم على تنفيذ هذه التشريعات . ونقلها من نصوص نظرية إلى واقع تطبيقي إلا الدولة ؟ .

من الذي يرعى الحقوق ، ويحرس القوانين ، ويقيم الحدود ، ويحفظ الأمن إلا الدولة ؟ . إن النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول : « لحد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا [1] » . لأنه لا خير في أمطار السماء ، ولا إنبات الأرض إذا انتهكت الحرمات ، وأهدرت الحقوق ، وسيطر على الأرض الظلمة الفجرة ، والزناة والسكيرون . فلا بدّ من قوة مادية رادعة تكف المجرم عن إجرامه ، وتزجر غيره عن تقليده .

لابدّ من قوة الحديد بجانب هداية الكتاب والميزان . كما قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ؛ ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس [2] »

قال ابن تيمية : « فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد ، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف » وقد روي عن جابر قال : أمرنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن نضرب بهذا (يعني السيف) من عدل عن هذا (يعني المصحف) [3] .

خامساً : وأخيراً هناك فريضة الجهاد لحماية دعوة الإسلام وأرض الإسلام وتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين ؛ حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

---

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة بهذا اللفظ ، ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة وفيها « أربعين » صباحا ، بدل « ثلاثين » .

(٢) من الآية ٢٥ من سورة الحديد .

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية .

٢ — الاستمداد من مصادر الإسلام :

ثانياً : والشرط الثاني — لكي يكون الحلّ إسلاميا — أن تستمد عناصره من منابع الإسلام الصافية . من كتاب الله تعالى . وسنة رسوله الصحيحة الثابتة. من الإسلام النقي المصفى من الشوائب والتشويهات . والفضول والانحرافات التي لحقت به ، وأضيفت إليه على مختلف العصور .

لابد من الرجوع إلى الإسلام الصحيح ، الإسلام كما أنزله الله ، وكما دعا إليه رسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — وكما فهمه الصحابة وتابعوهم بإحسان ، بعيدا عن تزمت المتزمتين . وتحلل المتحللين . بعيدا عن غلو الغالين . وتقصير المقصرين .

لا يستحق حل شرف الانتساب إلى الإسلام . ما لم يكن مصدره الإسلام الخالص ، لا الماركسية ولا المادية . ولا الديمقراطية ولا الرأسمالية ، ولا الليبرالية وغيرها من مذاهب البشر ، وفلسفات البشر أيا كانوا .

الحل الإسلامي إذن هو الذي يطوع كل الأوضاع . وكل الأنظمة لأحكام الإسلام ، وليس هو الذي يطوع أحكام الإسلام لأوضاعه وأنظمته . فالإسلام يعلو ولا يعلى . ويقود ولا يقاد . ويوجِّه ولا يتوجه ، لأنه كلمة الله . وكلمة الله هي العليا .

إن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من النفاق [١] » .

فهل يمكن أن يتم هذا الجهاد بدون دولة ، تهيئ الأمــة له بالتدريب ، وإعداد ما استطاعت من قوة . وتوزيع أبناء الأمة على الأعمال العسكرية والعلمية والاقتصادية وغيرها بالقسط الذي تمليه المصلحة العامة ، واستنفار الناس جميعا عند الضرورة ، وهو ما يعرف اليوم بالتعبئة العامة. ونحو ذلك ، مما لا يتــأتى تحقيقه إلا في ظل دولة مسئولة ؟ .

ومن هنا نعلم أن قوله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة ، منهم طائفة ليتفقهوا في الدين [٢] » . وقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً [٣] » . وقــوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عــدوّ الله وعدوكم [٤] » . وقوله : « مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض [٥] » ونحوها من الآيات لا يتيسر تنفيذها إلا في ظل سلطان دولة .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة التوبة : ١٢٢
(٣) سورة النساء : ٧١
(٤) سورة الأنفال : ٦٠
(٥) سورة التوبة : ٣٨

الحل الإسلامي هو الذي يتخذ الإسلام وحده مصدر الإلهام ، ومصدر الإلزام . مصدر الإلهام في الشئون الفكرية ، ومصدر الإلزام في الشئون العملية .

لو ذهبت فلسفات الأرض كلها — فرضا — إلى أن الإنسان لا حياة له بعد هذه الحياة ، وقال الإسلام : إن الإنسان خلق للخلود ، للأبد ، لحياة أخرى بعد هذه الحياة ، فماذا يتبنى الحل الإسلامي ؟ ليس له أن يتبنى غير كلمة الإسلام ، وفكرة الإسلام . عليها يبني فلسفته ، ويقيم حياته ، وينشيء مؤسساته التربوية والثقافية والإعلامية كلها . ويصدر في كل أموره عن هذه الفكرة .

ولو قالت كل شرائع الأرض — افتراضا — إن منافع الخمر أكبر من إثمها وإن شربها لازم للتقدم البشري . وقال الإسلام : إنها رجس من عمل الشيطان وإن إثمها أكبر من نفعها ، وإنها أم الخبائث . فالحلّ الإسلامي هو الذي ينقاد لكلمات الله ، وحكم الإسلام ، ويبادر إلى إغلاق الحانات ، وتحريم الخمر : شربها وصنعها واستيرادها ، وبيعها وشرائها ، وكل ما يعين على تناولها أو ييسره .

ومثل ذلك : إذا قال الإسلام : إن إباحة الربا إيذان بحرب من الله ورسوله فالحل الإسلامي ليس له إلا أن يمنع الفوائد الربوية . وأن يجند كل الطاقات الفنية والمادية لإنشاء « بنوك » إسلامية ، تحل محل « البنوك » الرأسمالية التي نجّسها خبث الربا .

وإذا قال الإسلام : إن الناس سواسية كأسنان المشط ، وأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وأن لا مجال في الإسلام لطبقات يستعلي بعضها على بعض ، أو يقهر بعضها بعضا . فالحل الإسلامي هو الذي يقيم نظامه الاجتماعي ونظامه السياسي على أساس هذه المساواة . فلا امتياز لفرد على فرد ، ولا امتياز لأسرة على أسرة ولا امتياز لطبقة على طبقة ، بل كلهم سواء في المغانم والمغارم في التكاليف والعقوبات ، حتى رئيس الدولة نفسه ، يكلف بما يكلف غيره من الفرائض ، ويزيد على غيره بما حمل من أمانة المسئولية عن الأمة . كما قال

عمر بن عبد العزيز بعد أن ولي الخلافة : « إنما أنا واحد منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حملا » . كما أنه يخضع لقانون الشرع وحكم القضاء ، ويطالب بالبينة . كما يخضع سائر الرعية ؛ حتى رأينا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه ، يقف مع نصراني في دعوى مدنية ، أمام القاضي شريح ، فيعجز علي عن إقامة البينة ، فيحكم شريح للنصراني على أمير المؤمنين ، وهو يوقن أنه صادق ، كما أقرّ النصراني نفسه بعد ذلك ، وأعلن إسلامه . ولكنه عدل القضاء الإسلامي ومساواته حتى بين أمير المؤمنين وأحد رعاياه من غير المسلمين !

وإذا أمر الإسلام بوجوب التكافل بين الأغنياء والفقراء ، وفرض الزكاة على ذوي الغنى — باعتبارها الحد الأدنى الواجب في المال — وبرىء ممن بات شبعان وجاره جائع . ومن أهل عرصة بات فيهم امرؤ جائع ، وأوجب تخصيص الفئات الضعيفة — مثل اليتامى والمساكين وأبناء السبيل — بالحظ الأعظم من الفيء : ما يفيئه الله من أموال على الدولة المسلمة « كيْ لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم [1] » .

فالحل الإسلامي هو الذي يقيم سياسته الاقتصادية والاجتماعية على الدعائم الإسلامية الواضحة : محاربة الفقر والجوع ، وفرض التكافل بسلطان الدولة وأوله جباية الزكاة ، وتوزيع الثروة ، وخيرات الدولة بالعدل ، بحيث لا يأخذ الأغنياء والحكام ومحاسيبهم نصيب الأسد ولا ينال الضعفاء إلا الفتات ؛ بل الحل الإسلامي هو الذي يعمل جهده ليرفع من مستوى الفقراء ، ويحدّ من طغيان الأغنياء .

وإذا قال الإسلام : إن المسلمين أمة واحدة ، وإن المؤمنين إخوة ، وإن الرابطة الإسلامية فوق الرابطة القومية والوطنية — بل فوق رابطة الأبوة والبنوة والأخوة النَّسَبية — فالحل الإسلامي هو الذي يقيم سياسته العملية على الولاء

---

(١) سورة الحشر آية -٧-.

لأمة الإسلام ، والعداء لأعداء الإسلام ، والعمل الجاد المخلص المستمر على إعادة الوحدة الإسلامية والخلافة الإسلامية .

وإذا قال الإسلام : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم [1] » فالحل الإسلامي هو الذي يقول : سمعنا وأطعنا يارب ، ويقيم فقهه وفكره وتشريعه وقضاءه على أساس حكم الله ، الذي لا يتصور أن يوجد حكم أعدل منه ، ولا أرحم منه ، ولا أجدر بتحقيق مصلحة المجتمعات البشرية منه . فينفذ حد الله على اللص الكبير ، كما ينفذه على اللص الصغير ، على وفق الحديث الشهير : « وايم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » ..

وإذا شرع الإسلام الطلاق عند تعذر الوفاق ، وفشل وسائل التقريب والإصلاح .

فالحل الإسلامي هو الذي ينقاد لشرع الله ، فيحلّ ما أحله ، كما يحرم ماحرّمه ، غير مصغ إلى مطاعن الأفاكين ، وأكاذيب المفترين ، الذين يريدون إدخال الشرائع المسيحية في قلب المجتمع المسلم .

وإذا أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة ، لاعتبارات ومبررات رآها ، وبقيود وشروط أوجب رعايتها . فليس للحلّ الإسلامي أن يستدرك على الله ، ويحرّم ما أحل الله ، سيراً في ركاب الذين لا يؤمنون ، واتباعاً لأهواء الذين لا يعلمون . وقد قال تعالى : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون [2] » .

---

(١) سورة المائدة : ٣٨ .

(٢) سورة الجاثية : ١٨ — ٢٠ .

ليس بحل إسلامي ذلك الذي يبيح الخمور ، ويفتح الحانات بدعوى تنشيط السياحة . والحاجة إلى العملة الأجنبية . فإن الله حرّم على المسلمين السماح للمشركين بدخول المسجد الحرام ، مع ما كان في دخولهم إليه حاجّين من مكاسب اقتصادية . ولكنه ضرب بهذه المكاسب عرض الحائط ، حفاظا على عقيدته ومثله قائلا : « يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم [1] » .

وليس بحل إسلامي ذلك الذي يبيح الربا ، ويقر « البنوك » الربوية ، بدعوى أنها دعامة الاقتصاد الحديث ، ولا يستطاع الاستغناء عنها ؛ فإن الله لم يحرّم على الناس شيئا يتعذر عليهم الاستغناء عنه أبداً . وقيام الحياة الاقتصادية بغير ربا ممكن نظراً ، وواقع عملا ، وإذا صدق العزم وضح السبيل .

وليس بحلّ إسلامي ذلك الذي يقطع الروابط بين المسلمين ، أو يسوي بين أبناء الإسلام وأعداء الإسلام ، بدعوى أن الرابطة الدينية الآن لا تصلح للعصر ، أو أنها تثير الطوائف الأخرى من غير المسلمين . فكل هذه تعلات لا يقبلها مسلم اتخذ الإسلام حكما ومنهاجاً . وفي العالم دول وكتل ضخمة قامت على عقائد وايديولوجيات لا دينية ، فلماذا ترفض الايديولوجية الدينية وحدها ؟ .

ليس بحل إسلامي ذلك الذي يعطل حدود الله وعقوباته المقدرة في كتابه وعلى لسان رسوله ، من قطع يد السارق ، أو جلد الزناة المجاهرين ، والسكيرين أو القصاص من القاتل المتعمد ، أو غير ذلك مما شرعه الله تأديباً للمنحرف ، وزجراً للشرير ، وتطهيراً للمجتمع كله من أسباب الفساد والإجرام .

ليس بالحل الإسلامي ذلك الذي يعرض وينأى بجانبه عن أفكار الإسلام

---

(١) سورة التوبة : ٢٨ .

الثابتة ، وقيم الإسلام الخالدة ، ونصوص الإسلام الصحيحة الثبوت ، الصريحة الدلالة ، ثم ينحني خاشعاً أمام أفكار ومناهج وقيم وأنظمة تأتي بها حضارة أجنبية ، أو فلسفة أرضية ، أو شريعة مبدّلة منسوخة ، انحناء العابد لمعبوده . فإذا ووُجه بالنصوص الإسلامية ، والقواعد الشرعية ، أخذ يلف ويدور ، جريا وراء بعض المتشابهات التي لا تشفي غليلا ، ولا تهدي سبيلا .

هناك في بعض البلاد العربية — على سبيل المثال — طائفة من النساء المحترفات بالقضية النسوية ، وإن شئت فقل : هناك طائفة من الرجال الذين يحركون بعض النساء العصريات . هؤلاء وأولئك يريدون أن يفرضوا على المجتمع الإسلامي في الزواج والطلاق قوانين غير إسلامية . إنهم يحاولون أن يدخلوا على هذا المجتمع المسلم الزواج والطلاق على الطريقة الأوربية ، التي تأخذ شكل النصرانية ، وهي في الواقع إباحية لا دينية ، يريدون أن يحرموا تعدد الزوجات ، ليبيحوا من ورائه تعدّد الخليلات . يريدون أن يقيدوا الطلاق ليباشر الرجل في الحلال من يكره ، ويبحث في الحرام عمن يحب . وهؤلاء لا يبالون بالحرام ولا ينكرونه ولا يسخطون عليه . كل ما يهمهم أن ينقلوا التقاليد الأوربية الانحلالية إلى البيئة الإسلامية ؛ إرضاء لسادتهم أو لشعور خفي في أنفسهم .

والمجتمع المسلم يقاوم هذه التقاليد الدخيلة ، ويأباها ويرفضها ؛ لأنه لم يزل حريصاً على دينه ، وخاصة في هذه البقية التي بقيت له من شريعة ربه ، والتي تترتب عليها عِشْرَةٌ دائمة ، ونسب وميراث ، إلى غير ذلك . ولهذا يستفتي الناس علماء الدين في كل صغيرة وكبيرة في هذا الشأن .

هذا هو موقف المجتمع المسلم من هذه القوانين التي يراد أن تفرض عليه ؛ فماذا يصنع تلامذة التبشير الاستعماري ، والاستعمار التبشيري أمام هذا الإباء أو الثبات كما نسميه ، أو التزمت والجمود كما يسمونه ؟ ! .

إنهم يبحثون حينئذ عن بعض الفارغين — الذين فرغت رؤوسهم من العلم

وقلوبهم من اليقين ، ممن ينتسبون إلى الدين شكلا — يبحثون عنهم لينتزعوا منهم بعض الفتاوى المنحرفة ، والأقوال المرفوضة، ليطيّروها في الآفاق ، وينفخوا فيها وفي أصحابها ، ويوهموا الشعب المسلم أن الذي يجرّ إليه من الشرائع والتقاليد لم يخرج عن الإسلام .

هل يعد هذا الحل المستورد من الغرب « حلاً إسلامياً » حقاً لما نعانيه من سوء استعمال بعض الرجال المسلمين لحقوقهم في الطلاق أو في الزواج بأكثر من واحدة ؟ .

لا ثم لا. ليس هذا الحلّ من الإسلام في شيء. وإن أفتى المُفْتُونَ المخادعون والمخدوعون .

متى يجوز لنا الاقتباس من غيرنا ؟ وكيف ؟ :

لست أدعو إلى العزلة وإغلاق كل النوافذ على المجتمع المسلم ، وتحريم أي اقتباس من أية حضارة . فما إلى هذا أردت . فإنّ من « خصائص المجتمع المسلم » الجمع بين الثبات والمرونة . فهو مجتمع تلتقي فيه صلابة الحديد . ورقة الماء السلسبيل ، كما قال الشاعر الفيلسوف إقبال

يجب على المسلمين اقتباس كل ما أمكنهم من العلوم المادية والتطبيقية . وما يتعلق بها ؛ ليكونوا في مركز الأقوى دائما . فهذه العلوم — كما حقق علماؤنا — من فروض الكفاية . كما أن واجب الجهاد الإسلامي . والسيادة الإسلامية . لا يتمّان إلا بإتقانها والتفوق فيها. وعلماء الإسلام متفقون على أن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب .

على أن هذه العلوم قد ظهرت من قبل في ظل الحضارة الإسلامية ، وبإيحاء المنهج الإسلامي في المعرفة وتوجيهه . ثم انتقل قبس من هذا النور إلى الغرب المسيحي في غفوة الشرق المسلم ، فاستفاد من هذا القبس ونماه ووسّع دائرته

فإذا عاد المجتمع المسلم يأخذ من الغرب ثمرات هذا المنهج من العلوم التقنيّة ، فهي بضاعته ردّت إليه ، وضالته رجعت إلى حظيرته .

ولا حرج على المسلمين أن يقتبسوا من غيرهم أي نظام جزئي ، يرى ذوو الرأي وأهل الحلّ والعقد فيهم أنه نافع لمجتمعهم ، ملائم لطبيعتهم وحضارتهم كنظام للسير والمرور ، أو لتوزيع البريد ، أو لتخطيط المدن أو لتنظيم الجيش وتدريبه أو غير ذلك ، بشرط ألا يخالف نصا ثابتا ، ولا قاعدة شرعية . وعليهم أن يحوروا ويعدلوا في أي نظام يقتبسونه حتّى يصبح ملائما للوضع الإسلامي الصحيح .

أنا أعلم أن فريقا من المسلمين المتشردين يرفضون أي اقتباس لأي وضع أو نظام جزئي من خارج دائرة الإسلام . ولهم في ذلك شبهات يذكرونها بوصفها أدلة وأسانيد . كحديث « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ[1] »

وغفل هؤلاء عن المقصود بكلمة « أمرنا » في هذا الحديث . إنه أمر الدين من العقائد والعبادات والتكاليف . فهذا أمر توقيفي لا يقبل فيه الاقتباس ولا الابتكار . لأنه لا يؤخذ إلا من الله وحده ، وإلا كان شرعا في الدين بما لم يأذن به الله !

وقد صرحت بعض الروايات بذلك فقالت : « من أحدث في ديننا .. الخ»

أما أمور الحياة والمعاملات بين الناس أفرادا ودُوَلاً حكاما ومحكومين ، فالأصل فيها الإباحة ، إلا ما منع منه الشارع بنص ثابت صريح . ولهذا اتسع باب السياسة الشرعية أمام أولي الأمر من المسلمين ، الذين علموا أن من هدي الرسول وخلفائه الراشدين — أن السياسة الشرعية كل ما يقرب المجتمع إلى الصلاح ، ويبعده عن الفساد ، وإن لم يجيء به نص . فالمهم ألا يصادم نصا . وهذا ما جعل ابن عقيل — وأقره ابن القيم وغيره — يقرر أن السياسة مالم يخالف

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة .

الشرع . لا ما نطق به الشرع [1] .

فنحن مع الإمامين : ابن عقيل وابن القيم في فهمهما الواسع الأفق للسياسة الشرعية . ولسنا مع الفريق الآخر المتشدد المضيّق كل التضييق .

الحل الإسلامي هو الذي يؤخذ من نصوص الإسلام وقواعده نفسها ، وعلى طريقته في استنباط الأحكام للوقائع التي لا تتناهى جزئياتها : حتى الأمور الدنيوية التي لا نص فيها ولا إجماع ولا قياس . أعني الأمور التي تركها الإسلام لتقدير أهل الاجتهاد من أبنائه . يختارون لأنفسهم فيها ما يحقق المصلحة . ويدفع الضرر . ولو كان بالاقتباس من غيرهم .

أقول : حتى هذه الأمور الجزئية إذا اقتبست من غير المسلمين ، تعد في هذا الوقت جزءاً من الحل الإسلامي ؛ لأنها إنما اقتبست باسم الإسلام ، وعن طريقه ، وبعد إذنه ، ووفقاً لقواعده في استنباط الأحكام الشرعية لما لا نصّ فيه من الوقائع والتصرفات .

ولا يضرنا أن هذه الجزئية بالذات أخذت من نظام غير إسلامي ، فإنها باندماجها في النظام الإسلامي تفقد جنسيتها الأولى ، وتأخذ طابع الإسلام وصبغته .

فلا يظن ظان أننا ندعو إلى الجمود ، أو نؤيد التقليد وإغلاق باب الاجتهاد على أهله . كلا ، **فإن الحلّ الإسلامي لمشكلات العصر لا يتأتى إلا إذا فتح باب الاجتهاد لكل قادر عليه ، ووجد المجتهدون الأصلاء ، الذين يحسنون فهم نصوص الشريعة ومقاصدها ، وأصولها وقواعدها ، وتطبيق أحداث العصر عليها ، دون تعصب لرأي قديم ، أو عبودية لفكرٍ جديد** [2] .

---

(1) انظر في « سعة المجال أمام السياسة الشرعية » كتابنا « شريعة الاسلام » ص ٢٤ — ٤٤ .

(2) انظر : فصل « ضرورة الإجتهاد » من كتابنا « شريعة الاسلام » ففيه تفصيل لما يجب أن يكون عليه موقفنا من التراث الفقهي ، ومن فهم النصوص القرآنية والحديثية ، إلى جانب الاجتهاد في المسائل الجديدة ، فمن اللازم هنا مراجعته لتكوين فكرة كاملة عن رأينا في الموضوع .

إن شريعتنا الإسلامية خصبة مثرية ، غنية بالأصول والمبادىء ، غنية بالأفكار والاجتهادات ، ولدينا ثروة فقهية لا تملكها أمة من الأمم ؛ وقد شهد لها بذلك الكثيرون من المنصفين من غير المسلمين ، وسجّل ذلك في مؤتمرات قانونية دولية . وهي — بحمد الله — في غنى عن شهادة هؤلاء وغيرهم ؛ فإن صنع الخالق الذي أتقن كلّ شيء لا يحتاج إلى تزكية المخلوق . وإنما نقول ذلك مساهلة وإرخاء للعنان مع الخصوم ، وتنبيها للذين لا يقتنعون بشيء إلا إذا جاء من قبل السادة الغربيين !

فشريعتنا في الحقيقة أكمل وأعدل وأغنى وأسبق من كل الشهادات التي يعترف بها لها المنصفون من غير أتباعها .

ولكن لا يمكننا الاستفادة من هذه الشريعة الكاملة وتلك الثروة الفقهية الطائلة ، إلا بالاجتهاد الأصيل . ولا يؤتي هذا الاجتهاد ثمراته إلا إذا قام على أساس جماعيّ ، لا على أساس فردي. فالاجتهاد الجماعيّ في صورة المجامع العلمية التي لا سلطان للحكومات عليها ، والتي تجمع صفوة العلماء القادرين من أنحاء العالم الإسلامي — هذا الاجتهاد الجماعيّ هو القادر على أن يبرز وجهة النظر الإسلامية ، وموقف الفكر الإسلامي من قضايا العصر ومشكلاته ، وهو الذي يمكن إلزام الأمة بمقرراته ، ونتائج بحوثه ؛ وأن سلطته تشبه أو تقارب سلطة « الإجماع » في القرون الإسلامية الأولى .

هذا هو معنى الحل الإسلامي ، أما أن يستورد نظام من هنا أو هنالك : ليبرالي أو اشتراكي أو مسيحي أو غيره ، ثم تؤخذ نصوص الإسلام من تلابيبها ، وتسحب سحباً لتبرر الأوضاع الجديدة ، وتضفي عليها الشرعية ، أو تترك النصوص الصحيحة المتفق على قبولها ، جريا وراء نصوص ضعيفة السند ، مشكوك في ثبوتها ، أو تترك النصوص المحكمات الصريحة الدلالة ، اعتمادا على المتشابهات المحتملة ، التي لا يركن إليها إلا الذين في قلوبهم زيغ

« فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله [1] » أو تترك النصوص الصحيحة الصريحة بلا برهان ، إلا أن يقال : إننا إذا لم نأخذ بحرفية النصوص فإننا لم نخن روح الإسلام ! .

أقول : أما هذا كله فلا يعد حلاً إسلامياً قط ؛ وإنما هو تزوير على الإسلام ، وإهانة له ، وتغرير باسمه . ويجب أن يرفض رفضاً باتاً باسم الإسلام كل حلٍ من هذا النوع .

(١) سورة آل عمران : ٧ .

٣ — حلٌّ متكامل لا يقبل التجزئة :

ثالثاً : أن يؤخذ الحلّ الإسلامي كله لمشكلات الحياة . وذلك أنه حل متكامل مترابط الأجزاء . فأي إهمال لبعضه ، أو ترقيع فيه . يؤثر على بقية الأجزاء . فهذا أشبه بقطع الغيار الغريبة التي توضع في جهاز لا تلائمه . فمهما تكن صالحة في نفسها فإنها لا تنتج . ولا تغني في هذا الجهاز . لعدم انسجامها مع بقية أجزائه .

ومن هنا حذر القرآن الكريم من أخذ بعض أحكام الله دون بعض . وقرّع بني إسرائيل على ذلك أشدّ التقريع . حيث نفذوا بعض تعاليم كتابهم ، وتركوا بعضها . فقال تعالى : « **أفتؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض**؛ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردون إلى أشدّ العذاب . وما الله بغافل عما تعملون [1] » .

وقال تعالى يخاطب **رسوله** في شأن أهل الكتاب : « وأن **احكم** بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن **يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ، فإن تولوا فاعلم **أنما** يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ؛ وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكماً لقــوم يوقنون ؟ [2] » .

---

(١) سورة البقرة : ٨٥ .

(٢) سورة المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .

فهو إما حكم الله . وإما حكم الجاهلية . ولن ينفي عن الحكم صفة الجاهلية أخذه ببعض أحكام الله ؛ فقلما تخلو جاهلية قديمة أو حديثة من موافقاتها لبعض أحكام الله في بعض الأمور .

فالذين يأخذون بالحل الإسلامي في بناء الحياة الزوجية . ولا يأخذون به في إنهائها (بالطلاق والخلع وغيرهما) ، والذين يأخذون بالحل الإسلامي في تحريم الاحتكار وفي تقريب الفوارق ، دون الأخذ به في احترام الملكيات الحلال ، وتحريم الربا ، وفرض الزكاة الخ ، والذين يأخذون بالحل الإسلامي في إقرار الملكية والميراث . ولا يأخذون به في طرق الكسب والإنفاق والتثمير للمال ، ولا في أداء ما أوجب الله في المال من حقوق لذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل وحاجات المجتمع . والذين يأخذون بالحل الإسلامي في قطع يد السارق ، وجلد الزاني وشارب الخمر . ولا يأخذون به في محاربة الترف والسرف وإقامة العدل الاجتماعي . والذين يأخذون بالحل الإسلامي في إقامة عدالة اجتماعية جزئية ؛ ولكنهم لا يعظمون شعائر الله . ولا ينفذون شرائعه ، ولا يقيمون حدوده . ولا يأمرون بالمعروف ؛ ولا ينهون عن المنكر . والذين يأخذون في إقامة الصلوات ، ولا يأخذون به في إقامة النظم التربوية والتعليمية والتثقيفية والإعلامية والترفيهية . على أساس من تعاليم الإسلام .

كل هؤلاء بعيدون عن الإسلام الحق ؛ الذي لا يقبل الله غيره . ذلك بأنهم آمنوا ببعض الكتاب . وكفروا ببعض . وقد قال تعالى : « ويأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة [1] » أي في شرائع الإسلام كافة .

ولهذا بينا في حقيقة الحل الإسلامي : أنه الحل الذي يبرز به إلى حيز الوجود المجتمع المسلم بكل مقوماته ؛ وبكل خصائصه . دون إهدار لشيء من هذه الخصائص أو تلك المقومات .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٨ .

إنه لا بدّ من أخذ الإسلام كله بعقائده وتصوراته ، وشعائره وعباداته ، وأفكاره ومشاعره . وأخلاقه وفضائله . وآدابه وتقاليده ، ونظمه وتشريعاته ، لأن النصوص الدينية نفسها تحتّم ذلك وتوجبه كما ذكر من الآيات المحكمات ، ولأن طبيعة المنهج الإسلامي تجعله وحدة لا تقبل التجزئة والانفصام .

ولأن طبيعة الحياة البشرية نفسها متشابكة متداخلة يتعذر الفصل بين أجزائها ونواحيها . فبعضها يؤثر قطعاً في بعض . فلا يصلحها إلا منهج متكامل ينظر إليها باعتبارها كلا متماسكاً ، لا أجزاء وتفاريق . وهذا هو منهج الله ، منهج الإسلام . الذي لا يفصل الدولة عن الدين ، ولا الاقتصاد عن الأخلاق ، ولا الوازع القانوني عن الوازع الذاتي .

إن النظرة إلى الاقتصاد منفصلا عن جوانب الحياة الإنسانية الأخرى نظرة قاصرة خاطئة .

فالاقتصاد يتأثر بعقائد الأمة وأخلاقها وثقافتها وتقاليدها وآدابها ، ولا يمكن اعتباره كلا مستقلا ، ووجودا قائما بذاته .

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة توضيحاً لما نقول :

١ — لننظر إلى الأزياء والملابس كم تتطلب من جهود ونفقات من أجل الغلو في تزيينها وترقيقها . وخاصة أزياء السيدات « العصريات » ، التي تتغير في كل سنة أربع مرات ، تبعاً لتغير الفصول . هل يمكن فصل ذلك عن أدب الإسلام في اللباس والزينة ؟ كلا . فقد حرّم الإسلام الإسراف في الملبس ، كما حرّم الإسراف في كل شيء . وكره ملابس الشهرة ، وكره للرجال لبس الحرير والمعصفر ، والتشبه بالنساء . كما كره للنساء أن يلبسن ما يصف ويشف عما تحته ، أو يجسم مفاتن البدن . أو يلبسن لبسة الرجال .

وحظر الإسلام على المرأة التبرج . والتزين للأجانب ، وجذب انتباه الرجال .

إن الإسلام يريد البساطة والاعتدال ، وينكر تلك المساخر في أزياء النساء والرجال . ولا شك أن التزام آداب الإسلام وأحكامه في الزي والزينة وما يتعلق بهما ، يوفر على الأمة نفقات هائلة . تقدر بالملايين ، تذهب لوجـــه الشيطان من المساحيق والأصباغ والتفنن في الأزياء ، وتبديلها ما بين فصل وآخر .

٢ — إن صحة الأجسام شرط أساسي لنمو الإنتاج في شتى مجالاته . وانتشار الهزال والأمراض يضعف من قدرة البدن على الانتاج أولا ، ويوجه مقداراً غير يسير من النفقات إلى محاربة المرض ثانياً .

وأكثر ما يودي بالأجسام هو تناول المسكرات والمخدرات ، وما يلحق بهما من ألوان « التبغ » ، ثم إسراف الناس في الشهوات ، وفي السهر الطويل في ألوان المتع واللهو المحظور أو المكروه .

ولو التزم الناس أحكام الإسلام وآدابه في المآكل والمشرب ، والنـــوم واليقظة ، ونفذت أوامر الإسلام في محاربة الخمر والميسر ، واللهو الحرام ، والمتع الحرام ، لاحتفظ المجتمع بصحة أبنائه ، ووفر الملايين التي تنفق على أم الخبائث والسموم المهلكة ، والشهوات المدمرة ، وما ينفق بعد ذلك على علاج ضحاياها ، وكان من وراء ذلك زيادة في الانتاج ، وانتعاش في الاقتصاد .

ومما يؤكد هذا المعنى ما ذكرته جريدة الأهرام بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٦٥ م : **أن اثنين وسبعين مليوناً في أمريكا يتناولون الخمور ، منهم عشرون مليوناً يكلفون الدولة بليوني دولار كل سنة ، والسبب هو تغيبهم عن العمل .**

٣ — يسرف كثير من الشعوب في تشييد المقابر وتزيينها ، حتى عد بعض أساتذة الاقتصاد الأمريكيين « اللحد المحترم » من الأغراض الأساسية التي يسعى الإنسان إلى تأمينها بجوار الغذاء والملبس والمأوى . وقد سرت هذه العدوى من قديم إلى المسلمين أنفسهم في كثير من البلاد ، فاهتموا بالقبور وبنائها ، والغلو في تفخيمها ، وخاصة إذا كانت لأناس من صلحاء الدين أو كبراء الدنيـــا .

أما تعاليم الإسلام الصحيحة فترفض كل غلو في هذا الجانب . فقد بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — علياً رضي الله عنه إلى اليمن . وأمره ألا يدع قبراً شرفا إلا سوّاه بالأرض ، ولا تمثالا إلا طمسه .

ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، أو إيقاد السرج عليها . حتى تظل على بساطتها ورهبتها فكل ما ينفق في هذه الناحية مال مضيع .

٤ — إن كثيراً من الناس يسرفون في مأكلهم ومشربهم وملبسهم . وفي تناول ما أحلّ الله لهم من طيبات الحياة بصفة عامة .

فترى من الناس من يجمع أمامه مائدة شهية تحتوي من الأطعمة على أضعاف ما يحتاج إليه ، وقد لا يتناول منها إلا القليل . ثم يلقي بهذه الفضلات في سلة القمامـــة .

وترى بعض الناس لا يشبع إلا إذا أبقى فضلة من طعام يقذف بها إلى حيث لا ينتفع بها أحد ، بل حيث تجلب القذر والمرض .

وترى بعض الناس يكفيه لتر من الماء مثلا لغسل يديه ووجهه ووضوئه ، ولكنه لا يبالي أن يفتح الصنبور خمس دقائق . يستهلك فيها عشر لترات أو تزيد .

وترى بعض الناس يتركون المصابيح مضاءة في النهار . تستهلك مقادير كبيرة من الكهرباء بغير حاجة ولا مسوغ .

ويزداد هذا التبذير والإسراف إذا كان الأمر يتعلق بالمال العام . مـــال الجماعة ، مال الدولة ، فهنا يبلغ الإسراف حدّ الإتلاف ، ويبلغ التبذير درجة التدمير !

وغير هذا وذاك كثير ، وكل هذه أموال ضائعة ، ولهذا كان سوء الاستهلاك دائما هو « البالوعة » الواسعة التي تبتلع كل ما تأتي به زيادة الإنتاج ، ومحاولات التنمية . وتذهب بها هباء .

وتربية الأفراد والشعوب على حسن الاستهلاك ، والاعتدال في الإنفاق ، لا يقدر عليه ، ولا ينجح فيه إلا حركة دينية ، تغرس في ضمائر الناس تقوى الله في السر والعلن ، ومراقبته تعالى في كل أمر ، وهذا ما نبّه عليه الاقتصاديون أنفسهم .

والإسلام هو الدين الأمثل ، الذي يعلّم أتباعه الاعتدال ، ويربيهم على احترام كل مالٍ قلّ أو كثر ، للفرد أم لغيره ، وينهى عن الإسراف في كل شيء ..

يقول الله تعالى : « يا بني آدم ، خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين [1] » .

ويقول : « ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً [2] » ، « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً [3] » .

ويصف عباد الرحمن الذين وعدهم الله بالجنة ، يلقون فيها تحية وسلاماً بقوله : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً » [4] .

ويرى الرسول — ﷺ — بعض أصحابه يسرف في ماء الوضوء ، فيقول له : « لا تسرف وإن كنت على نهر جارٍ [5] » . وذلك ليكون الاقتصاد خلقا له وديدنـــا .

ويوصي المؤمنين ألا يزيدوا في غسل الأعضاء على ثلاث مرات فيقول :

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .
(٢) سورة الإسراء : ٢٧ .
(٣) سورة الإسراء : ٢٩ .
(٤) سورة الفرقان : ٦٧ .
(٥) حديث شريف .

« ومن زاد على ذلك فقد أساء وتعدى وظلم [١] » .

ويوصي المسلم إذا أكل ألا يدع فضلة ترمى ، ويصور ثواب هذا العمل الصغير في أعين الناس تصويراً بليغاً أخاذاً ، فيقول : « استغفرت القصعة للاعقها [٢] » .

٥ ــ إن الإيمان والاستقامة لهما أثرهما في تحسين الإنتاج وزيادته ، وإن الشك العقيدي والانحراف السلوكي لهما أثرهما في نقص الإنتاج وإضعافه كماً أو كيفاً .

فالإنسان ــ الذي يتمتع بقوة اليقين وسكينة النفس ، والثقة بالله ، والأمل في عدله ورحمته . ويلتزم بتعاليمه ، ويقف عند حدوده ــ يؤدي عمله ــ ولا شك ــ بكفاية وإحسان ، لا يهمل في أداء واجب ، ولا يخون في أمانة ، ولا يقصر في صيانة « عهدة » أو مال عام . بخلاف ذلك الذي لا يؤمن برقابة الله عليه ، ولا يؤمن بحسابه وجزائه في دار بعد هذه الدار ، ولا يؤمن بشيء إلا بساعته الحاضرة ، ولذته الباطلة ، فمثل هذا لا تسيره إلا رقابة خارجية قوية . ولكن مهما تكن قوتها فلن تبلغ مبلغ الدافع الذاتي الذي يصنعه الإيمان [١] .

٦ ــ وإذا نظرنا إلى الانحراف أو الإجرام ومقاومتهما كم تكلف الحكومات من جهود ومن أموال ، بخلاف ما تكبد الشعوب نفسها من آلام ومخاوف وخسائر منظورة وغير منظورة . نكتفي هنا بمثل نشرته جريدة الأحرار الناصرية في ٥ / ٦ / ١٩٧١ نقلا عن وكالات الأنباء ، قالت :

صرح السناتور جون ماكليلان ــ رئيس لجنة التحقيقات الفرعية بمجلس

---

(١) انظر : فصل « الإيمان والإنتاج » من كتاب « الإيمان والحياة » للمؤلف .

الشيوخ الأمريكي – بأن الجريمة المنظمة تكلف الدولة أكثر من مائة مليون دولار كل عام .

وأضاف ماكليلان في الجلسة الأولى للجنة : أن التحقيق سيتركز – بصفة خاصة – على جرائم السرقة والمخدرات ، والمطبوعات الجنسية والقمار ... والجرائم الأخرى التي ترتكبها عصابات قوية منظمة » .

فإذا كان هذا النوع من جرائم العصابات يكلف الدولة هذه المبالغ الطائلة ، فما بالك بكل أنواع الجرائم ؟

وكم يوفر الإسلام على المجتمع حين يربي الوازع الذاتي في نفس صاحبه ، فيمنعه من ارتكاب الجريمة ، ويدفعه دفعا إلى التوبة إن أغواه الشيطان فارتكبها يوما [١] .

وهذه التربية الفذة المؤثرة إنما يتوافر لها النجاح في ظل الحل الإسلامي ، والنظام الإسلامي .

---

(١) انظر فصل « الإيمان والأخلاق » من الكتاب السابق .

٤ — لا بدّ من عنوان الإسلام :

رابعاً : لا يكون الحلّ إسلامياً إلا إذا أخذ باسم الإسلام ، وتحت عنوان الإسلام ، ولو افترضنا — وفرض المستحيل جائز كما يقال — أن قوماً حَكَموا أو حُكِموا بتعاليم وشرائع توافق تعاليم الإسلام وشرائعه فعلاً ، ولكنهم أطلقوا عليها أسماء وعناوين أخر ، ولتكن الديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية مثلاً ، هل نعد حكم هؤلاء حكماً إسلامياً ؟ . لا ، ثم لا .

إنّ الله — تعالى — تعبّدنا بأحكام هذا الدين ، فلابدّ أن نشعر في كل أمر ننفذه منها أننا نحكّم دينه ، ونعمل بهديه ؛ لنفوز برضوانه — سبحانه — ومثوبته .

ولا بدّ لنا أن نعتز بهذا المنهج الذي أكرمنا الله به ، وهدانا إليه ، ومن هنا قال تعالى : « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، **وقال: إنني من المسلمين** [1] » .

ولا عجب أن يطلب القرآن هذا الإعلان ، فإنه نوع من المغالاة والاعتزاز بالمبدأ ، وهو أمر لازم لتربية الأمم التي تقوم على نظام فكري (إيديولوجي) مستقل .

ولا عجب أن أمر الله رسوله الكريم بهذا الإعلان أيضا فقال : « **قل** :

---

(١) سورة فصلت : ٣٣ .

إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم : ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين . قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين [٢] » .

والأمر المتكرر بـ « قل » يعني إعلان هذه الحقيقة وتأكيدها . إعلان الإسلامية الصريحة الخالصة ، التي لا شرك فيها ولا ميل .

إن وضع عناوين غير إسلامية — كالاشتراكية والديمقراطية — للنظام الإسلامي ، يتضمن عدة مخاطر ومحاذير :

أولها : هو الإعتراف لهذه المبادىء بالسموّ والكمال ، بحيث ينسب الإسلام إليها ، ويدخل تحت عنوانها . فيصبح الإسلام بذلك تابعاً لا متبوعاً ، وذيلاً لا رأساً ، والإسلام من شأنه أن يعلو ولا يُعلى ، لأنه كلمة الله ، وكلمة الله هي العليـــا .

ثانيها : اقتضاء هذه المفاهيم إبراز جانب معين في الإسلام ، وتضخيمه على حساب جانب آخر أو جوانب أخر .

فالاشتراكية تعني إبراز الجانب الإقتصادي ، وخاصة جانب العدالة في التوزيع .

والديمقراطية تعني إبراز الجانب السياسي ، وخاصة جانب الشعب ، وحقه في اختيار حاكمه ومحاسبته وتقويمه وعزله .

ولكن نظام الإسلام ليس اقتصاداً فقط ، ولا سياسة فحسب . إنه نظام شامل متكامل ، يعمل على إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع . ويشمل الماديات والمعنويات ، ويضمّ الدين والدنيا معاً .

ثالثها : تعريض القيم الإسلامية للتغير والهزات ، حيث تصبح كالعملة في

---

(١) سورة الأنعام : ١٦١ — ١٦٣ .

الأسواق الحرة في صعود وهبوط ، فإذا راجت الرأسمالية قام قوم ينادون : بأن الإسلام رأسمالي ، ويجب إباحة الربا ، وتبرير الاحتكار والبنوك وغيرها .

وإذا نفقت سوق الإشتراكية ، قام آخرون ينادون بأن الاشتراكية من الإسلام ، أو الإسلام من الاشتراكية ، ويدعون إلى « التأميم » المطلق وإلى غيره من بدع الإشتراكية .

رابعها : تبني هذه المبادىء أو المفاهيم الكلية ، يتبعه ـ عادة ـ انحراف في فهم الإسلام ، يتمثل في محاولة تطويعه للأفكار الجديدة .

فالذي يتبنى الإشتراكية يجد في الإسلام نقاط التقاء معها ، كمحاربة الترف والسرف ، وإشراك الناس في ضروريات الحياة ، ومنع تملكها للأفراد ، وإنصاف الطبقات الضعيفة ، والحرص على أجور عادلة للعمال ، ونحوها .

ولكنه يجد حرصاً من الإسلام على حماية الملكية الخاصة المشروعة ،وتحريم مصادرة الأموال بغير حق ، فيلجأ من هنا إلى التعسف في تأويل النصوص ، وتحريف الأحكام ، لتوافق مذهبه الذي تبنّاه .

خامسها : إن هذه العناوين والمصطلحات الفكرية والاجتماعية ـ كمصطلح الاشتراكية ليس لها مدلول محدد ، يمكن معرفته وضبطه والرجوع إليه ، ولكنه يفسر بأكثر من تعريف ، ويخضع للتغيير والتحوير ، يقول الأستاذ «تاوني» : « إن الاشتراكية ـ كغيرها من التعبيرات المختلفة للقوى السياسية المركبة ـ كلمة لا تختلف في مدلولاتها من جيل إلى جيل فحسب ، بل من حقبة إلى حقبة » .

ويوضح الأستاذ كول التناقض الظاهر في العقيدة الاشتراكية بين بلد وآخر ، وجيل وما بعده بقوله : « .. ولم يكن التباين في العقيدة نتيجة اختلاف الزمن فحسب ، بل كان هناك تناقض بين الصور المختلفة التي وجدت في عصر واحد»[1] .

---

(١) من كتاب « مستقبل الاشتراكية » ص ٩٢ ـ نقلاً عن « الإشتراكية والقومية » للدكتور يوسف عز الدين ص ٧٤ .

ويقول الأستاذ « نورمان ماكنزي » في « موجز تاريخ الإشتراكية » :

« إن الاشتراكية كلمة عامة ، وإنها تعني أشياء مختلفة ، عند أنـــاس مختلفين ، حتى أن معانيها قد بلغت المائتين في بريطانيا وحدها [٣] » .

ولهذا نجد تبايناً واضحاً ، لاتجاهات الإشتراكية ، ما بين معتدلة ومتطرفة ، وديمقراطية وثورية ، ومثالية وعلميه وثابية وماركسية . بل رأينا دعـــاة الإشتراكية الواحدة يتناقضون ويتصارعون ، كما نشاهد بين الروس والصينيين ، وكلاهما إشتراكي ماركسي لينيني .

سادسها : إن هذه المذاهب ذات العناوين المعروفة لها خط غير خط الإسلام ، وهدف غير هدف الإسلام . فهي إن التقت معه في بعض الأمور الجزئية والفرعية ستخالفه في كثير من الكليات والأصول الجوهرية .

وحسبنا أنها كلها تعنى بأمر الدنيا وحدها ، غير حاسبة أي حساب لأمر الآخرة ، كما لا يعنيها من أمر الدنيا إلا الجانب المادي وما يتصل به ويؤثر فيه ، أما جانب الروح ، فليس له في تقديرها وفلسفتها اعتبار يذكر . حتى المذاهب التي لا تقوم فلسفتها على الإلحاد الصريح ، نراها لا تعير هذا الأمر كبير التفات .

وبهذا نتبين أن من التناقض الذي لا يقبله منطق أن نجعل مثل هذه المصطلحات عنوانا للإسلام ونظامه الفريد ، إلا أن يكون ذلك من باب الرخصة أو الضرورة في مرحلة التحول إلى الإسلام الخالص . فهنا تقدر الضرورة بقدرها .

---

(١) الإسلام ومشكلات العصر - للدكتور مصطفى الرافعي ص ٢٢ .

٥ — أن يكون الإسلام غاية لا أداة ومطية :

خامساً : لا يكون الحل إسلامياً إلا إذا كان الإسلام نفسه هو الغاية ، وإليه المنتهى ، وأن نجند كل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانات لخدمته هو .

أما أن يتخذ الإسلام وسيلة لتثبيت حكم معيّن . أو يستخدم لكسب قضية معينة عسكرية أو سياسية ، أو أداة للدعاية لبلد ، أو لأسرة ، أو حزب ، أو عهد ، أو نظام ، أو مذهب ، فهذا يعدّ إهانة عظمى للإسلام ، وهو انحراف به ، وتمريغ لوجهه في الطين ، حيث جعلناه خادماً ، وهو السيد المطاع ، وجعلناه آلة ، وهو الهدف المنشود ، والوجهة التي تشدّ إليها الرحال .

إنك لتجد قوماً يحتقرون الإسلام في قرارة أنفسهم ، ولا يخطر ببالهم أن يتخذوا تعاليمه منهاجاً لحياتهم ، ولا يفكرون في الاحتكام إليه إذا تنازعوا ، ولا يرضون به دستوراً لدولتهم ، ولا أساساً لمجتمعهم ، بل تجد منهم من يضع للناس المواثيق التي تخط للناس مناهج حياتهم ، وتصنع لهم مفاهيمهم وقيمهم ، وتضع لهم أفكارهم وموازينهم . وتحدد لهم أخلاقهم وسلوكهم ، وبعبـــارة موجزة : تضع لهم « ديناً جديداً » بمناهجه وقيمه وأخلاقـــه ، يجمع خلاصة هذا الدين ومبادئه « كتاب » أو « بيان » أو « ميثاق » ، يحاط بهالة من الدعاية ، وألوان من التعظيم والتقديس ، لينسى الناس به كتاب الله الحق ، ودين الله الحق ، ومع هذا كله نجد منشئي هذا الدين الجديد ، يستخدمون

دين الله السماوي . لتثبيت دينهم الأرضي . وكتاب الله المنزل ، لتأييد كتابهم الوضعي . ويسحبون بعض علماء الدين السماوي من آذانهم ، ليبرروا أوضاعهم اللادينية ، بآيات تحرف عن مواضعها ، وأحاديث يتجلى فيها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين .

ومن عجب أن بعض هؤلاء الحاكمين ، يحاربون كلمة الإسلام في ديارهم ، ويخنقون أنفاس دعاته تحت سلطانهم . ولكن لا بأس بإرسال نوع من الدعاة للإسلام في بلاد أخرى بعيدة ، لا حباً في الإسلام ، بل رغبة في كسب سياسي رخيص ، عند الشعوب التي لم تزل توقد جذوة حماسها ، وتنفخ في روحها كلمة الإسلام ، ودعوة الإسلام .

مكاسبنا من وراء الحل الإسلامي

لماذا ننادي بضرورة العودة إلى الإسلام ؟ وندعو إلى اتخاذ « الحـــل الإسلامي » أساساً لعلاج مشكلاتنا ؟ ومصدراً لتنظيم حياتنا . ومناراً لهدايـــة أمتنـــا ؟ .

إن بعض السذج من الناس يتصورون أن الحل الإسلامي لا ثمرة له ولا كسب من ورائه إلاّ في الآخرة . وأننا نريد الإسلام لننجو فقط من عذاب النار ، ونفوز بدخول الجنة .

ولا شك أن هذا مطلوب . والفلاح في الآخرة أعظم ربح يجب أن يحرص عليه الإنسان . فما ينبغي لعاقل أن يضيع باقياً دائماً بزائل فان . وما يجوز لذي لُبٍّ أن يحرص على السعادة في عمره القصير المحدود وينسى الخلود الأبدي بعد هذه الحياة . وقد قال أحد الصـــالحين : لو كانت الدنيا ذهبـــاً يفنى . والآخرة خزفا يبقى . لوجب على العاقل أن يختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى . فكيف والدنيا هي الخزف ، والآخرة هي الذهب ؟! بل الحقيقة أن النسبة بين الدنيا والآخرة أكبر من النسبة بين الخزف والذهب بكثير .. ولكن الأمثال تضرب للتقريب .

ومع هذا اقتضت حكمة الله أن ينوط بهذا الدين الذي شرعه لعباده — خير هذه الدنيا وأمنها أيضا ، وسعادة الفرد والجماعة فيها ، وضمن لمن آمن به واتبعه

حياة طيبة ، وعصمة من الضلال والشقاء « فمن اتبع هداي فلا يضـــل ولا يشقى [1] » .

ونحن حين ننادي بالحل الإسلامي اليوم نؤمن بأن فيه الخير كل الخير ، والفلاح كل الفلاح لمجتمعاتنا ، في هذه الدنيا التي نعيش فيها .

نحن نؤمن بالحل الإسلامي وندعو إليه ، لأنه — بجوار ما يكفله من سعادة الأبد — يحقق لنا في حياتنا الحاضرة من المزايا والمكاسب والثمرات الماديـــة والمعنوية الفردية والإجتماعية ما لا يحققه حل آخر ، يتسول من الشرق أو الغرب .

ترى ماذا تكون هذه المزايا أو هذه المكاسب ، أو هذه الثمرات ؟ هذا ما نفصل الإجابة عنه في الصحائف التالية .

سورة طه : ١٢٣

١ ـــ تحقيق إيماننا ووجودنا الإسلامي

في الحقيقة أن الحل الإسلامي هو الحل الفذ الذي نحقق به إيماننا ، ونثبت به وجودنا ، ونبرز فيه حقيقتنا . فهو الحل الحتمي الذي لا نملك غيره ولا خيار لنا في قبوله أو رفضه ؛ لأننا رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمد رسولاً .

إن طبيعة الإيمان بالله تحتم على المؤمن الاحتكام إلى شرع الله تعالى مع الرضا به ، والتسليم له ، واعتقاد أنه العدل الذي لا جور فيه ، والخير الذي لا شر معه ، والعلاج الذي لا شفاء في غيره ، وكل شك في عدالة ما شرع الله . وفضله على كل ما شرع البشر وابتدعوا ، معناه الطعن في علم الله تعالى وحكمته ، وخبرته بشؤون خلقه ، وبرِّه بهم ، وإحسانه إليهم ، ومن فعل ذلك فقد ظن بالله ظن السَّوْء ، وظن الجاهلية ، فإنه تعالى بكل شيء عليم وهو بعباده خبير بصير ، وهو بهم رؤوف رحيم ، وهو يريد بهم الخير واليسر ، ولا يريد لهم عنتاً ولا عسراً . وكل مسلم يتلو هذه الآيات من كتاب ربه « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله

أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً [1] » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [2] » « إن الله بالناس لرؤوف رحيم [3] » « والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعنتكم إنّ الله عزيز حكيم [4] » « يبين الله أن تضلوا . والله بكل شيء عليم [5] » « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [6] » .

ومن ثَمّ كان مقتضى الإيمان هو الإذعان لشرع الله تعالى . والإنقياد لحكمه وحكم رسوله مع الرضا والقبول والتسليم . وفي ذلك يقول القرآن في جلاء لا خفاء فيه . ووضوح لا لبس معه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً [7] » . « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون [8] » . ومن لم يرض بحكم الله ورسوله فليس له إلا أن يرضى بحكم الطاغوت أيا كان اسم ذلك الطاغوت وعنوانه ومصدره ، إذ هما طريقان لا ثالث لهما : طريق الله وطريق الطاغوت . يقول تعالى « ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » إلى أن يقول « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما [9] » .

---

(١) النساء : ٢٨ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) البقرة : ١٤٣ .
(٤) البقرة : ٢٢ .
(٥) النساء : ١٧٦ .
(٦) الملك : ١٤ .
(٧) الأحزاب : ٣٦ .
(٨) النور : ٥١ .
(٩) النساء : ٦٥ .

ولا يستطيع أحد – بالغاً ما بلغ من مركز – أن يزعم أن جماهير هذه الأمة قد كفرت بدينها ، أو جحدت بقرآنها ، أو تنكرت لمحمدها ، وهي لا زالت – في مجموعها – تؤدي الصلاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام ، وتتلو كتاب الله ، وتسمع إليه صباح مساء .

ولقد ظلت هذه الأمة ثلاثة عشر قرناً ، تحكم بشرائع الاسلام – على سوء في الفهم ، أو سوء في التطبيق ، في كثير من الأحيان – ولكنها لم تعلن يوما ما تمردها على أحكام ربها ، حتى جاء الاستعمار التبشيري ، أو التبشير الاستعماري فاذا هو يعمل بالقوة حينا ، وبالحيلة أحياناً على زحزحة هذه الأمة من منهج ربها وأحكام دينها وشريعتها في مختلف ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ويفرض عليها أفكاراً وأحكاماً دخيلة عليها ، غريبة عنها ، وكان المفروض والمتوقع أن تتحرر الأمة من نير الاستعمار الفكري والتشريعي عقب تحررها من الاستعمار العسكري والسياسي ولكن مما يؤسف له أن الذي حدث غير ذلك .

فإن شر ما صنع الاستعمار في بلادنا ليس نهب خيراتها ، وامتصاص أرزاقها ، وتعويق نهضتها فحسب ، بل شر من ذلك كله هو العقليات القيادية التي أنشأها في ظل سلطانه وأرضعها من لبانه ، ورباها على كراهية الإسلام واحتقاره ، واعتقاد أنه لا يصلح لقيادة الحياة ، وتنظيم الدولة ، وبناء المجتمع ، وإن أقصى حدوده أن يكون صلة بين العبد وربه فلا يجوز أن يتجاوز سلطانه المسجد أو الزاوية أو الخلوة ، ولا يباح له أن يدخل معترك الحياة قائداً أو موجهاً أو حاكماً . وقد أتاح الاستعمار لهذه العقليات العلمانية أن تسود المجتمع ، وتقود القافلة ، وتحكم الحياة الإسلامية ، وتصبغ وجه الأمة بغير صبغة الله التي رضيها لعباده

فلا عجب إن رحلت عساكر الاستعمار عن أكثر بلاد المسلمين ، ولكن لم ترحل مخلفاته وآثاره الفكرية والنفسية والاجتماعية ، ووجدنا الذين يحكمون

الشعوب الإسلامية — بعد الاستقلال — « خواجات » بغير « قبعات » أي أن الوجوه والأسماء هي التي تغيرت وأما الغاية والوجهة فهي هي ، والطريق هو هو .. الغاية ليست الله ولا الآخرة ولا الإيمان والطريق ليس هو تربية الإسلام ولا ثقافة الإسلام ولا تطبيق أحكام الإسلام .

ولكن هل رضيت جماهير الأمة الإسلامية عن هذا الاتجاه ؟ .

لا والله . إن جماهير الأمة لتنكر هذا كل الإنكار ، وإنها لا زالت تحب الله ورسوله وكتابه . إنها لتعلم حق العلم أن سعادتها — دنيا وأخرى — في اتباع دينها والاهتداء بكتاب ربها ، وسنة رسولها ، وتحكيم أمر الله في شئون حياتها ، وإقامة حدوده عليها . وأن الشقاء والجوع والخوف والمعيشة الضنك — فضلا عن عذاب الله في الآخرة — هو جزاء كل من أعرض عن هدى الله تعالى وحكمه وشرعه ، وانحرف عن طريقه ونبذ كتابه وراءه ظهرياً .

تؤمن جماهير الأمة الإسلامية بذلك أعمق الإيمان ، وتذكره كلما أصابتها الكوارث ، وأطبق عليها البلاء . وكيف لا والله تعالى يقول « فإمّا يأتينّكم منّي هدى ، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى [1] » .

ويقول جل شأنه « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون [2] » « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً ، وعذبناها عذاباً نكراً ، فذاقت وبال أمرها ، وكان عاقبة أمرها خسرا [3] » .

---

(١) سورة طه ١٢٣ — ١٢٤ .
(٢) سورة النحل ١١٢ .
(٣) الطلاق ٨ ، ٩ .

ونحن نتحدى كل حاكم وكل معارض أن يستفتي الأمة المسلمة استفتاء حراً نزيهاً مباشراً على هذا الأمر الجلل ، أنحكم بالقرآن أم بغير القرآن ؟.

هذه أخطر قضية في حياة المسلمين المعاصرة ؛ ولكن مما لا ينقضي العجب منه أن تعزل الأمة الإسلامية ، ولا يرجع إليها في شأنها ، ولم نجد بلداً إسلامياً واحداً في عهد احتلاله أو استقلاله استفتي شعبه — ولو مرة واحدة — في هذا الأمر الخطير ، الذي هو أمر حياة ومصير .

إن الحل الإسلامي وحده هو الذي يزيل التناقض الظاهر في حياة المسلم ، والصراع الداخلي في نفسه وفكره. فهو بحكم التزامه بالإسلام منهجاً من عند الله ، يؤمن بوجوب **الاحتكام** إليه عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقاً وآداباً ، وقيماً وموازين ؛ ولكنه يجد الحياة من حوله توجه توجيهاً آخر ، إن لم يعاد الإسلام صراحة أو خفية ، فهو يسقطه من الحساب ، ويهدر اعتباره في التشريع والتوجيه والتربية والتثقيف ، والمسلم في حيرة واضطراب في داخل نفسه من أجل هذا التناقض **والازدواج** الغريب في حياته .

أليس من العجب العاجب أن يجد المسلم نفسه مضطراً إلى التحاكم إلى قوانين تخالف شريعته ، وإلى مطالعة صحف تضطهد فكرته ، وإلى سماع إذاعات تناقض اتجاهه ، وإلى مشاهدة تلفزيونات و «سينمات» ، هو ساخط عليها في قرارة نفسه ؟ .

إنه يتزوج على كتاب الله وسنة رسوله ، ولكنه يلبس زوجته زياً لا يرضاه الله ورسوله . إنه يدفع ضرائب باهظة للحكومة ؛ ولكنه لا يجد متسعاً لدفع الزكاة المفروضة عليه من ربه . إنه يعتقد أن حرمة الربا ، ولكن عجلة الحياة الاقتصادية — التي صنعت له — ستدوسه إذا لم يتعامل به .

هذا الحل — إذن — هو الذي ينجينا من الإثم ، وينقذنا من سخط الله وعذابه ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويسألنا عما أنزل علينا من كتاب

أحكمت آياته : ماذا كان موقفنا منه : اتخذناه مهجوراً ؟ أم جعلناه لنا إماماً ودستوراً ؟ .

هذا الحل هو الذي نستحق به تأييد الله وبركته ومعونته ونصره ورزقه وتمكينه ، إذ نكون بذلك قد اتقيناه ونصرناه ، واتبعنا هداه ، واستقمنا على طريقه . وقد قال تعالى ، وقوله الصدق ووعده الحق « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب [1] » « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض [2] » « وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً [3] » « ولينصرنّ الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور [4] » .

وقد يكون هذا الكلام غريباً في منطق المادية التاريخية والماديين الجدليين وقد يعد غير « علمي » في لغتهم ، ولكنه في نظر المؤمنين متفق كل الاتفاق والعلم والحق والمنطق السديد « وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون [5] » .

---

(١) الطلاق ٣ .
(٢) الأعراف ٩٦ .
(٣) الجن ١٦ .
(٤) الحج ٤٠ — ٤١ .
(٥) سورة الروم ٦ و ٧ .

٢ — إقامة التوازن في حياتنا

والحل الإسلامي وحده هو الذي يحقق التوازن المقسط في حياتنا الفردية والاجتماعية . فلا تميل به كفة الميزان في جانب من الحياة على حساب جانب آخر . ذلك أن هذا الحل — من الناحية الموضوعية — هو الحل العادل الوسط المتوازن ، الذي برىء من التطرف . والاندفاع الأعمى إلى اليمين أو اليسار ، فسلم من تفريط الرأسماليين الذين جاروا على حق المجتمع من أجل حرية الفرد ، ومن إفراط الاشتراكيين الذين طغوا على حق الفرد من أجل مصلحة المجتمع . وسلم من غلو الفريقين في الاهتمام بالمادة على حساب الروح ، وبالدنيا على حساب الدين . وبالشهوات على حساب الأخلاق .

وسر الانحراف والاعوجاج والطغيان في الحلين الرأسمالي والاشتراكي يرجع إلى أمر واضح بسيط لمن يتدبر . ذلك أن كل حل من هذين جاءنتيجة بيئة معينة . وعصر خاص . وملابسات موقوتة.. جاء نتيجة لانحرافات بارزة . وألوان من الطغيان قاسية . أفضت إلى ثورات واندفاعات بشرية مضادة ، كل همها أن تحطم القديم . الماضي . وتقضي على كل آثاره وتوابعه . ولم يكن القديم كله شراً . ولم يكن كله فساداً . ولكن الثورات — بطبيعتها — لا تبقي ولا تذر . ولا تصبر على التمييز بين ما يجب أن يبقى وما يجب أن يزول . كل

همها هو « التغيير الثوري » تغيير القيم والمفاهيم والأخلاق والأوضاع القديمة بقيم ومفاهيم وأخلاق وأوضاع جديدة . ولو عقلوا لعلموا أن القدم ليس عيباً في ذاته ، والجدة ليست مزية في نفسها . فكم من قديم نافع أعظم النفع ، وكم من جديد ضار أشد الضرر . على أن القدم والجدّة أمر نسبي ، فقديم اليوم كان جديداً بالأمس ، وجديد اليوم سيصير بعد حين قديماً . وعند ذلك تجب الثورة عليه أيضاً ، ومحوه وتغييره بجديد آخر . وهكذا يصبح مرور الزمن وحده هو الحاكم على الأشياء بعدم الصلاحية للبقاء . فليس هناك قيمة ثابتة ، ولا حقائق دائمة . ليس هناك خير وشر ، وليس هناك فضيلة ورذيلة ، وليس هناك حق وباطل ، وانما هناك — فقط — قديم وجديد ، والقديم هو الباطل والجديد هو الحق ! فما أسخف هذا التفكير وما أضله عن سواء السبيل ! !

إن الفرق بين الحل الإسلامي العادل وبين الحلول البشرية القاصرة ، هو الفرق بين الألوهية الكاملة ، والبشرية الناقصة ... الألوهية التي تعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون « إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء [1] » والبشرية التي تعلم من يومها شيئاً وتغيب عنها أشياء ، والتي تجهل ماذا يخبئه الغد القريب فضلاً عن البعيد .. الألوهية الحكيمة العادلة . والبشرية العجول الظلوم ، ولنتدبر قوله تعالى « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً . ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا [2] » .

فالقرآن يهدي إلى أقوم المناهج وأعدل الطرق ، لأنه كتاب الألوهية الحكيمة . أما الإنسان فهو مخلوق ينفعل ويثور ويغضب فيدعو بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا .

---

(١) آل عمران ٥ .
(٢) الاسراء ٩ .

إن الحل الإسلامي هو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، والطريق المستقيم هو أقرب موصل إلى الهدف ، والطرق الملتوية المتعرجة قد تبعد الإنسان عن الهدف نهائياً ، وقد تصل به إليه بعد أن يقطع من المفاوز والمهالك ما يذهب بقوته ، وراحته وهنائه . وطرق البشر ينقصها الاستقامة والاعتدال كلها لا تخلو من انحراف إلى اليمين أو اليسار . كلها يميل إلى الإفراط والتفريط ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك موقف البشر — من قديم الزمان — من الفردية والجماعية (أي الاشتراكية) ، ومن الروحية والمادية ، ومن الثبات والتطور .

فمنذ عصر اليونان — كما ذكر الأستاذ صلاح الدين السلجوقي في محاضرة له [1] — قام صراع فكري بين العقيدة الفردية والفكرة الاشتراكية . إلى درجة التبس فيها الأمر على المفكرين : هل الإنسان في طبيعة حاله ، كائن اجتماعي أو كائن فردي ، أو أيهما أقوى : فردية الفرد أم اجتماعيته ؟ .

« كان أفلاطون يعتقد أن الإنسان اشتراكي أكثر منه فردياً . وحينما حاول أن يضع كتابه عن الفلسفة الخلقية ، لم يجد سوى أن يكتب كتابه المعروف باسم « الجمهورية » لأنه لم يكن قادراً على مشاهدة الإنسان في غير مرآة المجتمع أو الجمهور .

« ولما جاء تلميذه أرسطو لم يخالف أستاذه أفلاطون إلا في شيئين الأول : في مسألة « المثل » ولكنه في آخر الشوط اتخذ من المثل الأفلاطونية أساساً لعلم المنطق . والثاني في اشتراكية الفرد . فأرسطو — خلافاً لأستاذه أفلاطون — يعتقد أن الإنسان فردي أكثر منه اشتراكيا .

« فصراع الفيلسوفيين الكبيرين لم يكن ليحل المعضلة ، بل زاد في شقة الخلاف بين الفكرتين ، ولم يكن هنالك أي مرجح لإحداهما ، لأن أفلاطون كان بطبيعة حاله من طبقة الفقراء المعدمين ، بينما أرسطو ، في تربيته كان من الأمراء المترفين . وظل هذا الصراع مستمراً بين الأكاديمية الأفلاطونية وبين

---

(١) بعنوان «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» ألقيت بقاعة المحاضرات بالأزهر ، ونشرت ضمن الموسم الأول.

مدرسة المشائين لأرسطو .

« وكان هنالك دور اليهود المتشردين في الأرض . لقد جمعوا رؤوس الأموال ، وأخذوا الربا وعملوا على الاحتكار والاستثمار . وكلها أمور تؤيد الفرديسة .

وكان هنالك قياصرة في الغرب وأكاسرة في الشرق ، وأباطرة في مصر واليونان ، دعموا بنظمهم روح الفردية .

حتى جاء المسيح عليه السلام . وكان من بين دعوته « **نجاة الفرد** » وبعد المسيح حذت الكنيسة في تفكيرها حذو أرسطو . فطغت الفردية طغياناً جارفاً . ولكن الله المقسط وضع سنته ونظامه الطبيعي والأدبي بالقسط . فكلما خرج شيء من العالم الطبيعي أو الأدبي عن القسط والاعتدال . أنتج عكس العمل واندفع إلى الضد .

« وهكذا وقع صراع عملي ، بل ودموي . بين الفردية والاشتراكية . كما كان هنالك صراع فكري منذ زمن بعيد . فقام « مزدك » المعروف في فارس بفكرة اشتراكية بحتة على مستوى الشيوعية . وكانت هناك ضجة كبرى وصدام عنيف قبل ميلاد سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام بقليل .

إن المسائل الفلسفية المرتبطة بالطبيعة والعناصر والأجسام والأفلاك . إذا وقع بشأنها خلاف بين العلماء والفلاسفة . فلا يترتب عليه أي أثر اجتماعي . وأما الأمور المتعلقة بالفلسفة الاجتماعية . كمسألة فردية الإنسان واشتراكيته . فهي من المسائل التي تفضي إلى النزاع بل إلى الصدام الدموي ، والدين في ذاته هو الحجر الأساسي للعلوم الاجتماعية . وهو الذي يقرر علاقة الفرد بالفرد وعلاقته بالمجتمع . وعلاقة الإنسان بالمبدأ المقدس الذي هو عين الحق ومصدر الخير وينبوع الجمال .

لهذا بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام ، وأنزل عليه الفرقان الذي قضى

على الافراط والتفريط في الفردية والاشتراكية ؛ وهما اللذان كانا على صراع دائم ولا يعرفان الوسط .

فقد كانت النزعة الفردية L'individualism قوية في القرن الثامن عشر — كما ظهر ذلك في المذاهب الأخلاقية الكبرى . فقد اتجهت إلى ذات الفرد مهملة سلطة المجتمع — ولكن القرن التاسع عشر قد تصدى لمقاومة هذه الفردية وتغليب النزعة الجماعية . وكان من دلالات هذا نهض «كونت» بإقامة علم الاجتماع والانتصار لسلطة المجتمع رداً على الفردية التي اعتقد أنها كفيلة بنشر الفوضى والتحلل . وفي مطلع القرن العشرين ارتد المفكرون إلى الفردية . ونشأ المذهب التاريخي L'historicisme على يد « بندتو كروتشه » ١٩٥٢ ، و « آرون » وبه أصبح نشاط الذات مركزاً يدور حوله كل شيء . فإذا كان « كونت » وأقرانه من مفكري القرن التاسع عشر قد زعموا أن التاريخ يوجه الفرد ، فإن أصحاب المذهب التاريخي يقولون : **إن الفرد هو الذي يحدد معنى التاريخ .**

واشتدت صيحات الاحتجاج على طغيان المجتمع على حرية الفرد ، وتجلى هذا عند القصاصين والفنانين والاقتصاديين ممن رفضوا سيطرة الحكومة والهيئات على النشاط الاقتصادي . ورأوا في حرية التصرف عند الفرد مصدر ثراء لا يخفى . وجرى في التيار طلاب الحرية السياسية والداعون إلى حقوق الإنسان ، وفي ميدان علم الاجتماع تجلى الخلاف بين « دوركايم » و « تارد » في مطلع القرن العشرين . فجاهر تارد — رداً على دوركايم — بإرجاع الظواهر الاجتماعية إلى الظواهر النفسية المتبادلة بين الأفراد عن طريق التقليد الذي يوجد بين الأفراد ويجعل الضمير الاجتماعي مجرد انعكاس لضروب مختلفة من هذا التقليد .

ويقول « إميل برييه » : إننا إذا أخذنا بوجهة النظر التي قال بها « جورج جورفتش » في مؤلفه الحديث « الاتجاه الحالي لعلم الاجتماع » قلنا إن المناقشة في

موضوع العلاقة بين الفرد والمجتمع قد أصبحت اليوم غير ذات موضوع فمن المستحيل أن ننظر اليوم إلى الفرد والمجتمع . كما لو كان كل منهما منعزلاً عن الآخر ومستقلاً بذاته — وقد انتهى « جون ديوي » بعد البحث في آراء الكثيرين من علماء الاجتماع المعاصرين إلى أن لفظي الفرد والمجتمع غامضان غموضاً شديداً ، وأن هذا الغموض سيستمر قائماً طالما اعتبر الفرد والمجتمع لفظين متضادين .

الاجتماع — فرنسيين وأمريكيين — رأي دوركسايم الذي اعتبر فيه الفرد دمية يحرك المجتمع خيوطها ، وتخضع لنظام لا دخل لهـــا في وضعه إطلاقا ، فذهب « مارسل موس » إلى أن الإنسان يتصف بجميع الصفات التي يتصف بهـــا المجتمع بأكمله . وصرح « كيفلييه » في كتـــاب وضعه حديثاً تحت عنوان « محصل علم الاجتمـــاع » بأن الفضل في إيضـــاح العلاقة بين الفرد والمجتمع مرده إلى علماء النفس الذين عالجوا البحث في المشكلة الخاصة بمعرفة الآخرين . فرفضوا الرأي الذي ذهب فيه علم النفس التقليدي إلى أن معرفة الآخرين تتم نتيجة استدلال يقوم على المقارنة . واعتبر شعورنا عالماً صغيراً مغلقاً . فذهب المعاصرون من علماء النفس إلى أن الطبيعة البشرية لا توجد كاملة منذ ولادة الإنسان . بل يكسب الإنسان وجودها بالتدريج أثناء حياته في المجتمع .. وصفوة القول أن الفرد في نظر المعاصرين من الاجتماعيين والسيكولوجيين مركب تركيباً اجتماعياً يتعذر الفصل بين اجزائه (١) .

وهكذا انتهى الفكر المعاصر المعتدل . بعد لأي وجهد . إلى ما جاء به النبي الأمي محمد بن عبدالله منذ أربعة عشر قرنا . من المنهج الوسط الذي وازن بين الفرد والمجتمع . في الحقوق والواجبات بلا إفراط ولا تفريط وأقام على هذا النهج الأمة الوسط التي كانت خير أمة أخرجت للناس .

٣ ـــ علاج المشكلات من جذورها

إنه الحل الوحيد الذي يعالج المشكلة من جذورها ، ويتناولها من جميع زواياها فلا يكتفي بالطفو على السطح ، ولا يعالج البثرات التي تظهر فوق الجلد على حين يمور الجوف بأسباب الداء .

إنه يعنى بالجانب الاقتصادي في الحياة ، والجانب المادي في الإنسان ، ويعنى عناية كبيرة بتدبير المعيشة . وزيادة الإنتاج ، والمحافظة على الأموال التي جعلها الله للناس قياما ، والعمل على تنمية الثروة . والعدل في توزيعها ، ويعمل على تحقيق التأمين الاجتماعي والتعامل الاجتماعي ، كما يهتم بالجسم الإنساني وصحته وقوته . ولكن لا يرتضي ذلك غاية للمسلم ومحوراً لحياته ، ولا يجعله أكبر همه ومبلغ علمه .

الحياة ليست اقتصاداً فحسب ، وليست كل مشكلتها نقص الإنتاج ، أو سوء التوزيع . وليس الإنسان مجرد « حيوان اقتصادي » كما يزعم المتطرفون ، كل همه إشباع رغباته المادية ، وكل عمله البحث عن وسائل إشباعها ، فإذا زدنا الإنتاج ، ونظمنا توزيع السلع والخدمات ، فقد انحلت العقدة ، وارتفعت الشكوى ، وطابت الحياة وسعد الإنسان ! .

لقد نسي هؤلاء أن النفس الإنسانية ، وما تملكه من فكرة عن الوجود

ونظرة إلى الحياة . ومثل للسلوك . هي العامل الأول . الذي بدونه يفشل كل حل . وينتكس كل علاج . ولقد كان الشاعر العربي القديم أدق نظرة وأعمق فكرة . من هؤلاء الذين يدعون العلم والخبرة بشئون الناس والحياة . حيث قال : . .

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلهـــا   ولكن أخلاق الرجال تضيق !

وما أصدق القرآن الكريم حين بيّنَ سنة الله تعالى: أن التغيير المادي للجماعات إنما يتبع تغيير أنفسها (على عكس الماركسية تماماً) . فإذا أردنا تغيير حياتنا الإقتصادية إلى حياة أفضل فلنغير حياتنا النفسية . فلنغير اخلاقنا وأفكارنا وسلوكنا أولاً إلى ما هو أهدى وأقوم . قال تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [1] » .

إن عيب تلك الحلول المستوردة كلها أنها حلول مادية محض ، لا يهمها في الحياة إلا الجانب الاقتصادي . ولا يعنيها من الإنسان إلا دنياه العاجلة ، وإلاّ غلافه الجسدي . وغرائزه الحيوانية . فأما الدار الاخرة وحسابها ، وأما الروح وأشواقها وتطلعاتها إلى عالم الخلود والكمال . وظمؤها إلى الاتصال بالملأ الأعلى . والقرب من رب العالمين . الرحمن الرحيم — فهذا شيء لا يخطر لهذه الأنظمة والمذاهب الجديدة على بال . هذا إن لم تنكره وتطارده وتضطهده وتضيق عليه الخناق فكراً وعملاً .

عيب تلك الحلول البشرية أنها دائماً قاصرة وعاجزة عن النظرة الشاملة ، والنفاذ إلى الأعماق والإحاطة بجميع الجوانب . فهي جزئية ، ووقتية وموضعية وسطحية وناقصة . وهذا شيء « ذاتي » فيها لا أمر عارض لها ، وما بالذات لا يتخلف ، كما يقول أهل المنطق . ذلك لأن هذا القصور يرجع

(١) سورة الرعد : ١١ .

إلى طبيعة الذين وضعوها وإلى حدود طاقتهم وإمكاناتهم . أي يرجع إلى طبيعة الإنسان .

«فالإنسان لأنه أولاً محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان . إذ هو حادث في زمن . يبدأ بعد عدم . وينتهي بعد حدوث . ومتحيز في مكان . سواء كان فرداً . او كان جيلاً . أو كان جنسا . لا يوجد إلا في مكان . ولا ينطلق وراء المكان . كما أنه لا يوجد إلا في زمان — ولا ينطلق وراء الزمان . ولأنه محدود الكينونة من ناحية العلم والتجربة والإدراك . يبدأ علمه بعد حدوثه ، ويصل من العلم إلى ما يتناسب مع حدود كينونته في الزمان والمكان . وحدود وظيفته كذلك . ولأنه — فوق أنه محدود الكينونة بهذه الاعتبارات كلها — محكوم بضعفه وميله ورغبته . فوق ما هو محكوم بقصوره وجهله .

« الإنسان — وهذه ظروفه — حينما يفكر في إنشاء تصور اعتقادي من ذات نفسه . أو في إنشاء منهج للحياة الواقعية من ذات نفسه كذلك — يجيء تفكيره محكوماً بهذه السمة التي تحكم كينونته كلها . يجيء تفكيره جزئياً : يصلح لزمان ولا يصلح لآخر . ويصلح لمكان ولا يصلح لآخر . ويصلح لحال ولا يصلح لآخر . ويصلح لمستوى ولا يصلح لآخر .. فوق أنه لا يتناول الأمر الواحد من جميع زواياه وأطرافه . وجميع ملابساته وأطواره : وجميع مقوماته وأسبابه . لأن هذه كلها ممتدة في الزمان والمكان . وممتدة في الأسباب والعلل ، وراء كينونة الإنسان ذاته . ومجال إدراكه .. وذلك فوق ما يعتور هذا التفكير من عوامل الضعف والهوى . وهما سمتان إنسانيتان أصيلتان .

« لذلك لا يمكن أن تجيء فكرة بشرية . ولا أن يجيء منهج من صنع البشرية . يتمثل فيه الشمول أبداً . إنما هو تفكير جزئي وتفكير وقتي . ومن جزئيته يقع النقص . ومن وقتيته يقع الاضطراب الذي يحتم التغيير . ويتمثل في الأفكار التي استقل البشر بصنعها . وفي المناهج التي استقل البشر بوضعها دوام « التناقض » أو دوام « الجدل » المتمثل في التاريخ الأوربي .

فأما حين يتولى الله سبحانه - ذلك كله .. فإن التصور **الاعتقادي** ، وكذلك المنهج الحيوي المنبثق منه ، يجيئان بريئين من كل ما يعتور الصفة البشرية من القصور والنقص والضعف **والتفاوت**[1] » .

وهكذا كان الحل الإسلامي — وهو رباني المصدر — متميزاً بشمول النظرة وعمقها إلى الحياة بجميع جوانبها ، وإلى الانسان بجميع خصائصه وجميع حاجاته الظاهرة والباطنة ، المادية والروحية ، الفردية **والاجتماعية** ؛ لأنه لا يحيط بجميع خصائص الإنسان ، وجميع حاجاته إلا خالق الإنسان ، ورب الإنسان : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[2] ؟ » .

الحل الإسلامي هو الذي يتجاوز الجانب المادي إلى الجانب النفسي والمعنوي ، **فيوجه** عناية بالغة إلى « **الكائن الداخلي** » في الإنسان ، إلى تلك المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

القلب هو تلك **اللطيفة** الربانية التي بها يحس الإنسان ويشعر ، ويحلّق ، ويدرك بالبصيرة ما لا يدرك بالبصر ، ويفقه من الحقائق ما لا يستوعبه المنطق « فإنها لا تعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور[3] » إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب[4] » « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم[5] » « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[6] » .

ذلك القلب الذي لا يستشعر الطمأنينة إلا بمعرفة الله تعالى وذكره ،

---

(١) خصائص التصور الاسلامي للشهيد سيد قطب ١٠٧ — ١٠٨ .
(٢) الملك : ١٤ .
(٣) الحج : ٤٦ .
(٤) ق : ٣٧ .
(٥) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .
(٦) رواه مسلم .

والاعتصام به ، ولا تهب عليه نسمات السكينة المنعشة إلا من رياض الإيمان بالله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب [1] » « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع ايمانهم [2] » .

الحل الاسلامي هو الحل الوحيد الذي يقوم على أساس من العلم بحقيقة الإنسان **والاعتراف** بالواقع والفطرة . ولهذا يعترف بهذا **الكائن المعنوي** في الإنسان « القلب » أو « الروح » أو « الضمير » ويسعى لري ظمئه ، وإشباع نهمه ، وقضاء وطره ، بذكر الله تعالى وشكره ، وحسن عبادته ، ويعده لحياة الخلود في الآخرة ، فهو حل يصل الدين بالدنيا ، وينير العقل والقلب ، ويبني المسجد مع المصنع ، ويُعلي المئذنة كما يُعلي المدخنة ، وبهذا تتكامل الحياة ويسودها التوازن ، وتسير فيها الروح والمادة جنباً إلى جنب ، **والاقتصاد** والعبادة كتفاً إلى كتف ، والدنيا والآخرة قدماً إلى قدم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار [3] ».

إن أثمن ما على هذه الأرض وما فيها ليس قمحها وفاكهتها ، ولا نفطها وحديدها ، ولا فضتها وذهبها ، إن أثمن ما في الأرض وما عليها هو الإنسان ، الإنسان الذي كرمه الله وجعله في الأرض خليفة ، الانسان الذي سخر كل ما في الارض وما فوقها لخدمته ومنفعته . وأثمن ما في الإنسان ليس هيكله العظمي وما يكسوه من لحم ، وما يحتويه من عصب ، وما يجري في عروقه وشعيراته من دم ، فربما كان لبعض الحيوانات هياكل أقوى وأضخم مما للانسان .

إن أثمن ما في الإنسان روحه وقلبه الذي ميزه الله به على غيره وجعله جهاز

---

(٧) الرعد : ٢٨ .
(٨) الفتح : ٤ .
(٩) النور : ٣٧ .

الاتصال الذي يصله بالسماء ، ويدنيه من ربه الذي فتح له بابه ، ولم يجعل عليه حارساً يرد الطارقين أو يزجر السائلين ، بل يقول في كتابه الخالد : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) ويقول في حديثه القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن اتاني يمشي أتيته هرولة » . رواه البخاري .

قد يقول السطحيون : ما دخل هذا الكلام في علاج المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ؟ .

ونقول : إن أساس المشكلة كلها هو الإنسان ، وكل علاج لها يتجاهل حقيقة الإنسان وحاجات روحه وأشواق قلبه ، إنما هو علاج سطحي ، أشبه بالأقراص المسكنة والأدوية المخدرة ، التي تهدىء الألم ساعات من الزمن ، ولكنها لا تقتلع جرثومة الداء ، ولا تصل بالمريض إلى نهاية الشفاء .

إن الذين نظروا إلى الإنسان باعتباره « حيواناً منتجاً » أو « كائناً اقتصادياً » لا غير [٢] ، كل عمله أن ينتج ويستهلك ، وكل همه أن يأكل ويتمتع ، قد جهلوا الإنسان أكبر الجهل ، وبخسوه حقه أعظم البخس ، وأساؤوا إليه أعظم الإساءة ، وكان من نتيجة جهلهم بحقيقة الإنسان أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا له السكينة والسعادة التي ينشدها ، بل زادوا حياته بؤساً ونكداً ، وزادوا بحلولهم

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

(٢) أقام ماركس نظاريته على أساس أن الانسان حيوان منتج ، وبالتالي أصبح الإنتاج أعظم مقومات الحياة في المجتمعات البشرية ، وأصبح أسلوب الإنتاج الذي يتألف من القوى المنتجة وعلاقات الانتاج هو العامل الحاسم في سير التاريخ وتوجيه أحداثه . ولكن بعض نقاد ماركس قد لاحظوا أن الانتاج نفسه تسبقه صفات للإنسان تجعله ممكنا ، منها : أن تكون للإنسان مطالب غير مطالب الحيوان ، وقدرة تمكنه تدبير مطالبه بالإنتاج ، وإنتاج ما يريد وفقا لمطالبه وكفاياته . وهذه مقدمات ينشأ عنها الإنتاج ، ولا يكون سببا في وجودها ' ! "

النـاصرة مشكلاته تعقيداً على تعقيد .

إذا استشفيت من داء بداء فأقْتَلُ ما أعلك ما شفاك

إن الإسلام . . كما قال عالم هندي مسلم — يذهب إلى أبعد مما تذهب إليه الرأسمالية والشيوعية ، حين ينظر إلى الإنسان نظرة تسمو به عن أن يكون مجرد « محصلة » كيماوية لغدده الصماء . والمفهوم البلشفي (الشيوعي) للفردوس الاجتماعي لا يذهب إلى أبعد من إقامة « حديقة حيوان » يضمن لكل واحد فيها — بعد اعتناقه البلشفية — أن يطعم ويتناسل ، وأمام قضبان كل قفص تصطنع مشاهد فجة للتسلية والترفيه ، بعد أن تجيزها رقابة صارمة .. أما الإسلام فهو يضمن فردوساً كاملاً دون حواجز أو عراقيل مكدرة » .

الحل الأول هو الحل الأخير .

وهذا الذي نقوله قد قاله وأعلنه بعض الزعماء العرب الذين يدعون اليوم إلى الحل الاشتراكي الثوري ، ويرونه حتما لازماً لعلاج مشكلات أمتنا ، وأكتفي هنا بما كتبه الرئيس المصري في مقدمة كتاب « العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد » الذي صدر في سلسلة « اخترنا لك » سنة ١٩٥٤ فكان مما قال : —

« ثم يميل بعضهم إلى هذا الجانب ، ويميل بعضهم إلى ذلك ، وتتعـدد الآراء ، وتتعارض المذاهب ، وتصطرع العقول والقلوب ، وتنشأ الجماعات المختلفة تدعو كل جماعة منها لمذهب ويشتغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترعوا « نظاماً » يفض المشكلة ، ويحل العقدة ، ثم نسمع عن : الرأسمالية والاشتراكية والنازية والفاشية والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم مادية أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع ، لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل

إلى حلها إلا بتربية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير . وتوثيق أواصر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين هذه المذاهب المادية المبتدعة ، ونرقب المعارك الناشبة بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب : فنعجب أشد العجب . من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة : في أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ؛ قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا : منذ ألف وثلثمائة سنة . منذ نزل القرآن على محمد بن عبدالله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ويفصل مبادىء العدالة **الاجتماعية** على أساس من التراحم **والتكافل** الأخوي . والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة ، من غير طغيان على حرية الفرد ، ولا إذلال له ، ولا إنكار لذاتيته « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، **وينهى** عن الفحشاء والمنكر والبغي » .

« ذلك هو النظام .

« فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع .

« إن عندنا الحل .

« الحل الأول الذي نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلثماية سنة ، هو الحل الأخير لمشكلة الإنسان » [1] .

فليت شعري أين من هذا الكلام النابض بالحياة ، الزاخر بالأصالة ، ما يقال اليوم عن « **حتمية الحل الاشتراكي** » وضرورة التغيير الثوري ، والسيطرة الكاملة على وسائل الانتاج ، وتصفية الرجعية ، وأن « الاشتراكية العلمية » أي الماركسية هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم .. وأن أي منهج آخر

لا يستطيع — بالقطع — أن يحقق التقدم المنشود (ص ٧٣ من الميثاق) وأن الصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو إنكاره (ص ٦٣ منه)

ترى هل نسخت الاشتراكية العلمية التي جاء بها اليهودي العريق ماركس — الحل الأول الذي نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة ؟!!

٤ — تكوين الانسان الصالح

إن الليبرالية الديمقراطية غفلت — أو عجزت — عن شيء جد مهم ، وجد ضروري ، وهو : تكوين « الإنسان الصالح » ، الذي عليه يقوم الحكم الصالح الإنسان الذي يحسن اختيار ممثليه إذا كان منتخباً ، ويحسن تمثيل منتخبيه إذا كان نائباً ، ويحسن القيام بأمانة المسئولية إذا كان حاكماً ، وبدون هذا الإنسان الصالح لا تصلح حكومة ولا يصلح مجتمع ، وإن أجرى الانتخابات ، وأقام البرلمانات

لهذا نظر كثير من المؤرخين والمفكرين إلى الديمقراطية باعتبارها وهما لا حقيقة ، حتى قال جان جاك روسو : « إن الديمقراطية الحقيقية هي حكم الآلهة لا حكم البشر [1] » !

وقال جاك مارينان : « إن مأساة الديمقراطيات الحديثة ، هي أنها لم تنجح في تحقيق الديمقراطية [2] » !

وما غفلت ، أو عجزت عنه الديمقراطية ، لم تنتبه له أو تقدر عليه الاشتراكية ، إن لم تكن أكثر غفلة وعجزاً عنه .

أما النظام الإسلامي فإن أول ما يعنى به هو تكوين الإنسان الصالح ، وعلى

---

(١) انظر : الاسلام وتحديات العصر ص ١٢٦ .

هذا الأساس تقوم أجهزته كلها في جوانب التربية والتثقيف والإعلام والتوجيه والتشريع والتنظيم .

ومن هنا نجد « الحل الإسلامي » لا يعتمد على سيف السلطان ، وسوط القانون ، ورقابة الحكومة فحسب ، كما هو شأن الحلول البشرية الاخرى ، انما يعتمد بجوار ذلك على الضمائر الحية ، والقلوب المؤمنة ، التي تحوطه وترعاه وتستجيب لأوامره ، وتنتهي عن محظوراته ، ذلك لأنه ليس حلاً ناشئا من الأرض ، ولكنه منزل من السماء ليس حلاً صادراً عن عقل بشر ، ولكن من عند الله رب العالمين .

والحل الذي لا يقوم إلا على إرهاب السلطة التنفيذية ، حل فاشل عاجز ، فإن الإفلات من قبضة هذه السلطة مع ارتكاب أشنع الجرائم ، امر مستطاع وميسور ، وماذا يستطيع ان يعمل القانون أمام لص أو مرتش أو مزور أو مخرب يتصرف في جريمته بإحكام واحتيال ، بحيث لا تراه عين ، ولا تضبطه يد ، فلا يجد القانون إليه سبيلاً ؟؟ وخاصة إذا كان الأمر أمر عصابة ، متعاونة على الشر ، تدبر أمرها بإحكام ، وتخفي جرائمها بدهاء ومكر ، إن صمام الأمان هنا هو الضمير ، هو الخلق ، ولا ضمير ولا خلق بلا ايمان .

لقد انشأ النظام الاشتراكي في مصر جمعيات تعاونية استهلاكية ، كان الهدف منها — كما قالوا — خدمة الشعب ، وتقديم اجود السلع له بارخص الاسعار ، فماذا كانت النتيجة ؟ .

كانت النتيجة سرقات هائلة ، وخيانات شنيعة ، بارقام مذهلة ، واحتيالات عجيبة ، للاثراء على حساب الشعب . وممن ؟ من القائمين على أمر هذه الجمعيات أنفسهم من المديرين ومن وراءهم ، مما جعل الشعب المصري الساخر يردد المثل العامي القائل « حاميها حراميها » وكما قال الشاعر . —

وراعي الشاة يحمي الذئب منها   فكيف اذا الرعاة لها ذئاب ؟؟

وانشئت مصانع ضخمة واعدت لها افخم المباني ، واحضرت لها أرقى الاجهزة ولم تمض سنوات قليلة حتى سطل كثير من الماكينات ، وخرب كثير من الادوات ، وأصبح المشروع يخسر اكثر مما ينتج ويربح ، وقال في ذلك الرئيس المصري : ماذا نفعل اكثر مما فعلنا ؟ لقد استوردنا المصانع ، واستوردنا الادوات ، واستوردنا الاساليب . فهل نستورد الرجال ايضا ؟ هل نستورد الضمائر والاخلاق ؟ .

ولكن مما لا حيلة فيه ان الضمائر والاخلاق لا تشترى ولا تستورد ، لانها صناعة محلية ذاتية ، ولا يصنعها في ديارنا الا شيء واحد مجرب ، هو الايمان الايمان بالله تعالى ورسالاته والدار الاخرة . وبعبارة موجزة : الايمان برسالة الاسلام .

كثيراً ما كتب الكاتبون عن فقدان الشعور بالمسئولية ، وانه الداء الكامن وراء كل اهمال للواجبات وكل تعطيل للطاقات ، وكل تعويق للمشروعات وكل تأخير للعمل ، وكل خيانة للامانات .

وكثيراً ما كتب الكاتبون كذلك ان دواء هذا الداء المنتشر انتشار النار في الهشيم انما هو في غرس هذا الشعور الراقي في انفس المواطنين وتوجيههم له وتوعيتهم به . .

ولكني اسأل : أي مسئولية تلك التي تريد ان نغرسها في نفس المواطن ؟ أهي المسئولية امام الوطن او المجتمع او التاريخ ؟ ألا ما اجملها من عبارات حلوة الوقع على الاسماع ! ولكنها لاتنتج في مجال السلوك عفافاً ولا امانة ولا فضيلة . فما الوطن وما التاريخ وما المجتمع بالنسبة للفرد العادي ؟ انها الفاظ جوفاء ، لا مدلول لها عنده ولا اثر .

سيقول بعض الناس : ان هذه الاشياء يمكن ان تتجسد في جهاز اداري او قضائي يراقب كل عمل ، ويسأل كل مقصر عن تقصيره . وكل مسرف

عن اسرافه ، وكل معوق عن تعويقه

ولكن هل هذا لايغني ؟ مادام في الناس الشطار والاذكياء الذين يعدون لكل امر عدته ، ويحضرون لكل سؤال جواباً ، ويعفون على آثار كل جريمة ، وفي التمويه مجال ، وفي الكذب متسع وفي القاء التبعة على الغير فرصة ، وخاصة اذا كان وراء الامر عصابة تخطط له وتحكمه وتنظمه .

ثم يزداد الطين بلة ، والداء علة ، اذا عم البلاء وطفح الكيل ، واستشرى الفساد هنا وهناك وهنالك ... حينئذ يستعصي الامر على من يريد اصلاحه من السطح لا من الجذور . لقداقترح احد المحافظين في الجمهورية العربية المتحدة على وزير الاسكان نقل القائمين على شئون الاسكان في محافظته بعد أن كثرت فيهم الشكوى ، وعرف منهم الخيانة ، فقال الوزير للمحافظ بصراحة : اذا كان الكل هكذا ، فمن اين اتيك بالشرفاء والطيبين ؟ ..

لابد اذن من غرس المسئولية امام الله في الاخرة . هذه وحدها هي التي تجدي ، وتصنع الضمائر الزاكية والانفس اليقظة . انه لابد لاستقرار المجتمع من سيادة القانون ، ولا يمكن سيادة القانون الا بسيادة الاخلاق ، ولا يمكن أن تسود الاخلاق الا في رحاب الايمان [1] .

٥ — تحقيق الاستقرار والطمأنينة في حياة الأمة .

ومن مزايا الحل الاسلامي :

انه الحل الذي يحقق للامة الاستقرار والطمأنينة . ويرسي حياتها على دعائم ثابتة لاتهن ولا تتزلزل ، لانها من صنع الله ووحي السماء . وبـذلك نأمن الاضطراب بين المذاهب والنزعات . والتقلب بين اليمين واليسار . والتأرجح بين هذا المعسكر وذاك .

ذلك ان هذا الحل هو الحل الفذ الذي تتلقاه طبقات الامة كلها بالقبول . وتستقبله بالرضا . لانه نابع من روحها . مطابق لعقيدتها ، نابت من ارضها . متجاوب هو ومشاعرها . متصل باعماقها . وليس دخيلا عليها . ولا غريبا عنها . ومن هنا لايجد عداء ولا مقتاً ولا مقاومة ولا سخطا . ما يجده أي حل آخر يستورد من الشرق او الغرب . ويفرض على الامة فرضا بغير اختيارها ولا رضاها . بل بسلطان القوة وقوة السلطان تجر غالباً الى الصراع والعنف . والصدام الدموي بين الشعب والسلطة الحاكمة . وقد تستكين اغلبية الشعب لسلطة الحديد والنار . وتغضي على القذى كرها . ولكن المرجل سيظل يغلي حتى ينفجر بعد حين يقصر او يطول . وهذا هو سر الهزات الاقتصادية المتكررة . والقلاقل الاجتماعية الدائمة والاضطرابات السياسية المتتابعة . والانقـلابات

العسكرية المتوالية ، مما جعل كثيراً من البلاد الاسلامية تخوض بحراً من الدم ، وتعبر جسوراً من الجماجم ، وتجتاز كثباناً من اشلاء الضحايا ، الذين يعدمون أو يسجنون ، أو يطردون ، أو يعزلون ، من مناصبهم ، أو يحرمون من حق المشاركة في توجيه وطنهم ومصير امتهم . واصبحنا لانكاد نسمع نشرة في اذاعة الصباح الا ونتوقع نبأ ثورة او انقلاب يطيح بجماعة ويأتي بآخرين ، يقومون بتكميل الرواية على نفس المسرح ، رواية المادية القومية العلمانية ، ما تغير شيء الا الاشخاص والاسماء ، وقد تتغير قليلا طريقة التمثيل واكتساب اعجاب المتفرجين !

واصبحنا نسمع ونقرأ الحين بعد الحين أنباء ثورة أخمدت ، أو مؤامرة اكتشفت صدقاً او كذباً ، لتكون مبرراً لاضطهاد الالوف وعشرات الالوف وتسجير تنور العذاب عليهم ، وشيّ جلودهم بالسياط والحديد المحميّ .

وما يكاد يمضي وقت يسير على محنة هؤلاء حتى يعلن ضبط فئة اخرى ، ومؤامرة جديدة ، يساق فيها آخرون إلى ما سيق إليه الأولون .

وهكذا دواليك ، لاتزال الرحى دائرة ، ولكنها لا تطحن الحب ، بل تطحن البشر ، وحرية البشر ، وأمن البشر ، وسعادة البشر !

وسيظل العالم الإسلامي كذلك ، مادام القائمون على حكمه يطلبون حلول مشكلاتهم من غير هدى الاسلام ، وشريعة الاسلام . لانهم سيظلون في واد وشعوبهم في واد . فمما لاجدال فيه ان « خامة » هذه الشعوب وأرضيتها «إسلامية» ، ومهما يحاول المتسلطون العلمانيون إخفاء هذه الحقيقة وطمسها بالقوة أو الدعاية ، فلن يفلحوا ، وستنتصر طبيعة الشعوب كما رأينا ذلك في « اندونيسيا » وثورتها على يسارية « سوكارنو » وأعوانه الشيوعيين الذين بلغوا درجة من القوة يخشى خطرها . وأحدث من ذلك مارأيناه من ثورة الشعب والجيش السوداني على حكم الشيوعيين الذي لم يستطع ان يستمر اكثر من ثلاثة

أيام . وهذا أوضح برهان على أن الاسلام في نظرة هذه الشعوب المسلمة اقوى من كل مذهب دخيل .

وهذا ما يوكده المراقبون الاجانب والمؤرخون الغربيون . بالنسبة لكل بلد اسلامي كما نرى ذلك فيما كتبه برنارد لويس :

« حتى في تركيا .. في المجتمع المتغرب العلماني المترفع .. مجتمع الجمهورية الكمالية .. قامت حركات دينية مكافحة تعارض الثورة الكمالية ، وكان على زعامتها الاخوة الدراويش . ولم يكن فيها العلماء لأنهم كانوا موظفين رسميين ففي حياة كمال اتاتورك كانت الحركة النقشبندية رأس حربة المعارضة الدينية اذ قاد عدد غير قليل من افرادها ثورات مسلحة واهمها في المنطقة الجنوبية الشرقية سنة ١٩٢٥ وفي مينمين سنة ١٩٣٠ اما حديثاً فالحركة التيجانية والحركة النورية هما اللتان تبشران وتدعوان لمناهضة الثورة الكمالية .. ولكنهما لم تحملا السلاح بعد ، والسنوات الاخيرة توحي بان المنظمات الدينية هي في طريـــق الزوال ، فلقد منعت في بلاد كثيرة وضغط عليها في بلاد اخرى . ومن غير المشكوك فيه ان هذه المنظمات لاتزال قائمة تعمل في الخفاء وانها تلقى صدى مستحباً عند غالبية الجماهير الشعبية من الطبقات الكادحة في المجتمعات الاسلامية حتى ان الحكومات برغم علمانيتها تجد نفسها مازمة — لمصلحتها — بتقديـــر المشاعر والولاءات الاسلامية فمسايرة الرجعية التركية من قبل عدنان مندريس واقامة المؤتمر الاسلامي في الجمهورية العربية المتحدة هما مثلان على ذلك[1] »

اجل فرغم المؤامرات الضخمة على خنق التيار الاسلامي في تركيا . فقد اصبح اليوم اقوى التيارات الشعبية المؤثرة هناك . فهو يستمد قوته من العقيدة الاسلامية الخالدة . ومن ايمان الشعب التركي المسلم بهذه العقيدة . ولا زال هذا التيار يصارع — بقوته الذاتية — الدعوات الدخيلة التي تحملها الماركسية

---

(١) ص ١٧٧ من كتاب « الغرب والشرق الأوسط للاستاذ برنارد لويس .

والماسونية والعلمانية . التي تساندها من الخارج الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية . والصليبية الاستعمارية .

ولا زالت انباء هذا الصراع تتوالى وتترى . ولا زالت ضحاياه تسقط بين حين واخر : ولا ندري ماذا يخبئه الغد لهذا الشعب الذي يريد العودة الى شريعته ورسالته ومواريثه ويريد المضللون والمشبوهون ان يقاوموا ارادته . ويثنوا عنانه . ؟

والذي يحدث في تركيا يحدث مثله في بلاد كثيرة ، ولشعوب اسلامية شتى من عرب وعجم .

والسبب واحد والنتيجة واحدة .

السبب هو محاولة فئة قليلة مؤيدة من القوى الخارجية السيطرة على الحكم وتوجيه المجتمع وجهة غير اسلامية . والسير به في طريق العلمانية : يمينية او يسارية .

والنتيجة : هي مقاومة الشعب لهذا الحكم : فان لم يستطع المقاومة العلنية فهي الكراهية والحقد والنفور ، والفجوة الواسعة التي تفصل بين الشعب والحكم والصراع الذي لايثمر الا ضعف الفريقين . وتمزيق قوى الشعب كله ، لمصلحة الاعداء المتربصين الحاقدين الطامعين .

ولا سبيل الى الاستقرار — السياسي والاجتماعي والفكري والنفسي — في بلد ما ، الا اذا استمدت الامة من مواريثها العريقة العميقة . ماتقيم عليه بناء حياتها الجديدة ، فيصل حاضرها بماضيها ، ولا يفصلها عن جذورها وفطرتها وخاصة اذا كانت مواريث هذه الامة متميزة بسموها وكمالها وشمولها وتوازنها لان اصولها ليست من ابتكار البشر ، بل من وحي الله اللطيف الخبير ، الذي لا يضل ولا ينسى .

فإن أبت أمة - أو بعبارة أدق : أبى قادتها وساستها وموجهو زمامها — الا

ان تنسلخ من اصولها . وتنقلع من جذورها ، وتتعرى من مواريثها ، فانها صائرة — حتماً — الى بلبلة لا تستقر ، واضطراب لا ينتهي .

يقول الاديب الباحث المعروف الاستاذ محمد فريد ابو حديد في محاضرة له عن « مواريثنا الثقافية » القاها بقاعة المحاضرات بالازهر .—

« قد سبق أن بينا في ثنايا هذا الحديث ، ما ينطوي عليه مبدأ « نبذالمواريث » من مغالطة في المنطق . .

فلننظر الآن الى ما ينطوي عليه هذا المبدأ من الخطر الفعلي في الناحية التطبيقية : من المعلوم أن جماهير الشعوب تميل دائماً الى المحافظة على اتجاهها ، ما لم توجد عوامل قوية تعمل على تغيير هذا الاتجاه .

فقانون القصور الذاتي الذي ينطبق عليها كما ينطبق على كل شيء في الوجود. الساكن يبقى ساكناً ما لم يحركه محرك ، والمتحرك يحتفظ باتجاهه ما لم تصدمه قوة مخالفة لاتجاهه ، فيغير وجهته ، أو يفقد حركته .

وقد تقدم ان العدول عن المواريث الثقافية انما هو هدم وازالة يقتضيان بذل مجهود ضخم لافناء قوتها وتغيير اتجاهها .

ومعنى هذا أن محاولة القضاء على مواريثنا يتطلب بذل جهود النهضة في عملية الهدم . وهذا يؤدي إلى اضاعة الجهود في محاولة سلبية نتيجتها الهدم وحده . . .

ويعقب هذا — لو فرضنا امكانه — مرحلة ذبذبة وبلبلة . يفقد فيها المجتمع ايمانه بمقدساته ، ويفقد فيها مقاييسه جميعا .

ثم هو لم يصل الى اقامة هيكل جديد يحل محل تلك المقدسات ، فماذا ينشأ عن هذا سوى الفوضى في كل شيء ؟

انفراط العقد ، وزوال الرابطة التي كانت تربط الأفراد ، وتحدد علاقاتهم

فيما بينهم ، أو بينهم وبين المجتمع الشامل الذي يعيشون فيه .

فلا يكون لتلك الحال من علاج سوى وجود قوة مسيطرة من فرد واحد أو مجموعة أفراد تسلب حريات الآخرين وتفرض سلطانها على الجميع ، للمحافظة على كيان هذا المجتمع المفتعل .

وليست الأمثلة بعيدة عنا : فان بعض الدول الإسلامية تعرضت لمثل هذا الخطر ، وما تزال تعاني منه أكبر الأحزان .

فسلامة النهضات لا تكون بهدم المواريث الثقافية التي حفظت كيان الأمة في العصور الماضية ، بل تكون باعادة تطبيق تلك المواريث بحيث تلائم ظروف الحياة الجديدة ، وهي هي في جوهرها صافية .

ثم إن التاريخ يدلنا على أن الأمم التي تقاسي مثل هذه المحن لا تصل الى نتيجة ايجابية من وراء نهضاتها ، بل لا تلبث أن تتبين خطاها وتعود لتلتمس النهضة من الموازيث التي نبذتها ، ولكن ذلك يكون بعد فوات الأوان .

لأن النهضة تكون قد استهلكت نفسها في وجود الهدم ، ووجود السيطرة التي يجرها الهدم من ورائه » اهـ .

وهذا كلام واضح كالشمس . وأوضح وأقرب مثل لذلك هو « تركيا » التي كانت أقوى وأعظم دولة في الشرق ، ماذا ربحت من وراء الجمهورية الكمالية العلمانية ، وارتمائها في أحضان الحضارة الغربية ، وتمرغها على عتبة الفكر الغربي ، وضربها عرض الحائط بالثقافة الإسلامية والشريعة الإسلامية ؟ .

انها لم تحقق ــ خلال نصف قرن ــ تقدماً اقتصادياً ولا تكنولوجياً يذكر . ولم تزل من الناحية العسكرية والسياسية ــ ذيلاً مهينا للمعسكر الغربي ..

٦ — حفظ وحدة الأمة والإخاء بين أبنائها

ان هذا الحل هو الذي يحفظ على كل بلد إسلامي وحدة طبقاته وتعاونها ، ويوثق عرا الأخوة فيما بينها ، ويحيي روح الحب فيما بين أفراده وجماعاته .. ويجنبها التسلط والبغي والعلو في الأرض الذي يصحب الرأسمالية ، وتنقسم به الأمة إلى ملاك وأجراء . وطاعمين ومحرومين . أو كما قال الكاتب الساخر « برنارد شو » إلى أناس يبحثون عن طعام لمعداتهم وآخرين يبحثون عن معدات لطعامهم » .

كما يجنبها حرب الطبقات واثارة الأحقاد ، ودموية الصراع الذي تقوم عليه الاشتراكية الماركسية ، وتنادي به سبيلاً فذاً للخلاص ، وامراً لا مفر منه وبذلك ينقسم الوطن الواحد . بل البلدة الواحدة . بل الاسرة الواحدة الى اعداء متنازعين . يكره بعضهم بعضاً . ويحارب بعضهم بعضاً .

واذا كان الصراع والعداء بين الناس حتمية تاريخية في الاشتراكية الماركسية كان من الضروري — عند دعاتها — ان يؤججوا نيرانه ، ويهيئوا لها الحطب والفحم والبترول : باثارة الكراهية والحسد وايغار الصدور والتحريش بين الناس ، تمهيداً للثورة البلشفية التي تريق الدماء وتنتهك الحرمات ، وتدق الاعناق وتقتلع كل شيء من الجذور .

يقول ماركس منكراً على مدعي الاخاء بين الناس والدعاة اليه .ـ

« لم يكن الناس اخوة في حال من الاحوال . بل اعداء طبقيين يتصارعون » ويقول زينوفييف احد الشراح البارزين للعقيدة الشيوعية : « ان صرخة الغضب المشحونة بالحقد هي لذتنا ومتعتنا »

ويقول لينين في كتاب وجهه الى ماكسيم جوركي : انه لاباس بقتل ثلاثة ارباع العالم ليصير الربع الباقي شيوعياً »

ومن قرأ ما صنعه الشيوعيون انفسهم بعضهم ببعض من اضطهاد وتنكيل وتشريد وتعذيب وتقتيل بالالوف وعشرات الالوف ومئات الالوف ، ير العجب العجاب .

اما الاسلام فينكر كل الانكار حتمية الصراع بين الطبقات ، ويعلن الاخوة مبدءاً وينادي بها فريضة ترتقي الى درجة العقيدة . الاخوة بين المؤمنين اولاً وبين الناس كلهم ثانياً . يقول الله تعالى في كتابه « انما المؤمنون اخوة » ويقول مخاطبا الناس جميعاً « يا ايهـــا الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

ويعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الاخوة بين البشر مع اركان العقيدة الاسلامية الصحيحة فكان يقول في دبر صلاته « اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه انا اشهد انك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه انا اشهد ان محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه انا شهيد ان العباد كلهم اخوة [1] » .

واذا كان ماركس تبعاً لفلسفته الخبيثة في تقسيم البشر الى طبقات متعادية ـ يوجه نداءه في ختام البيان الشيوعي المشهور الى العمال وحدهم قائلاً « ياعمال

---

(١) رواه أحمد وأبوداود .

العالم اتحدوا » أي ضد الطبقات الاخرى في المجتمع . فان محمدا صلى الله عليه وسلم يوجه نداءه الى البشر كافة عمالاً وتجاراً وملاكاً وحكاماً ومحكومين فيقول « لاتدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا [٢] »

واذا كان ماركس يرى اشاعة الحقد والعداوة والبغضاء بين العمال وبين سائر الطبقات ويعد ذلك فضيلة بل فريضة فان الاسلام يحرم اشد التحريم اثارة العداوة والبغضاء بين الافراد والطبقات ، ويعد ذلك من ارذل الرذائل واكبر الكبائر . التي يروج لها ابليس وجنوده . لتأكل فضائل الناس وحسناتهم كما تأكل النار الحطب ، وينذر بخطرها الداهم على الافراد والامم ، ويعتبرها داء وبيلاً موبقاً . يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم في ذلك « دب اليكم داء الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة ، لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » ويقول موصياً امته في حجة الوداع « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض » .

واذا كان الاسلام يحرم كل التحريم اثارة الحقد والبغضاء والصراع بين الناس . فانه يوجب آكد الايجاب التدخل بكل طاقة ممكنة . لوقف الخصومة وطرد شيطان العداوة . وزرع الحب بدل البغض . واحلال الوئام محل الخصام والسلام محل النزاع . يقول القرآن الكريم « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » ويقول « لاخير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس » « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الا ادلكم على افضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا بلى يارسول الله قال « اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الحالقة . لا اقول [illegible] . لكن تحلق الدين » بل نجد القرآن يطالب جماعة المؤمنين بالتدخل للاصلاح بين المتخاصمين ولو

---

(١) متفق عليه .

باستعمال القوة ، وان يعملوا على وقف النزاع ، وانهاء الصراع ، وسيادة التفاهم وتحكيم العدل ، فيقول : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . فان بغت احداهمـــا على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا . ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » .

وتجعل الشريعة الاسلامية سهماً في مصارف الزكاة لذوي الضمائر الحية والقلوب الكبيرة الذين يقدمون من اموالهم الخاصة للاصلاح بين الافـــراد والجماعات ، فيعانون من مال الزكاة على سداد ما غرموا ، تشجيعا لهم ولغيرهم على المضي دائما في سبيل الاصلاح بين الناس .

ومن هنا نجد اختلافاً جوهرياً بين الفلسفتين : فلسفة اليهودي ماركس القائمة على حتمية الصراع الطبقي ، وضرورة العداوة فيما بين الناس ، ووجوب الاستعانة بهذا الصراع وتقويته ، لتحقيق الحلم المنشود .

وفلسفة الاسلام القائمة على فرضية الاخاء ، ووجوب تقويته وتوسيع نطاقه وتوثيق عراه . وتحريم التعادي والتباغض وفساد ذات البين ، وسد كل باب يؤدي اليه ، ووجوب الاصلاح بين الناس [1]

واذا كان هذا الحل هو الذي تتلقاه طبقات الامة كلها بالرضا والارتياح والقبول فلا غرو ان يكون هو الحل الذي تضحي الامة من اجله راضية ، وتبذل في سبيله راغبة ، وتدافع عنه بالدم والمال مقتنعة ، وتقاوم كل من يعاديـــه مستبسلة ، وتصبر على الشظف والتقشف لانجاحه مغتبطة .

وذلك انها تعتقد انها تبذل لدينها ، وتضحي لعقيدتها ، تبتغي وجه ربها وتجاهد في سبيله ، و[illegible] الحرمان والحصار اذا كان ذلك في سبيل الله . امّا اذا كان ذلك من اجل ملك او رئيس يدعم سلطانه ، ويقوي مركز

---

(١) انظر بحث الاسلام والصراع الطبقي — للدكتور معروف الدواليبي .

حكومته ، او من اجل مبدأ مستورد من الشرق او الغرب فان الناس سرعان ما يتضجرون ويسخطون اذا شعروا بشيء من الغلاء او ازمة التموين او نحو ذلك ، نتيجة حصار اقتصادي ، او تدهور مالي ، او ضعف انتاجي ، ويشتد الضيق والتذمر وتعلو موجات السخط والاستنكار اذا اضطرت الدولة الى حرب بينها وبين خصومها ، تلتهم المال كما تلتهم الرجال . فما اسرع ما يقول الناس فيم نساق الى حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟ .

نعم ، ان اجهزة الدعاية والاعلام تعمل ليل نهار ، بشتى الاساليب ، مجندة كل الطاقات البشرية والمادية ، مستخدمة احدث الوسائل الفنية والعلمية ، لإقناع الامة بالحلول الدخيلة المستوردة ، عسى ان تستقر في عقلها ، وتنفذ الى أعماق وجدانها ، ولكن هيهات هيهات لما يبتغون . انهم يضيعون هذه الجهود سدى ، وينفقونها بلا ثمرة ، الا ارهاق مالية الدولة بعشرات الملايين التي تنفق في كل عام على هذه الدعاية الفارغة ، التي لاتزيد الشعوب الا تذمراً وغضبا ، وهي اشد ما تكون حاجة الى الدينار والدرهم ، لينفق على الجائعين والعراة ، والمرضى والعاطلين والاميين .

وحقاً ان السلطات الحاكمة ، ستسكت بالعنف كل صوت حر ، وتكسر كل قلم حر ، وتحطم كل قوة معارضة ، وتسخر اجهزة الدولة — حتى جيشها المعد لاعدائها — لتقوم بتصفية المناوئين ، وتجرب فيهم عمليات « غسيل المخ » المستوردة من بلاد الاشتراكية الام . ولكن هذه المحاولات الدموية لاتجدي فتيلا ، ولا تزيد الشعب الا نقمة ، ولا المعارضة الا شدة ولا الحكومة الا فشلاً وستزيد مسافة الخلف بين الامة والسلطة ، فهيهات ان تحصل يوماً على رضاها او تحلم بالتعبير عن ارادتها .—

هي الشمس مسكنهـا في السما فعز الفواد عزاء جميـلا
فلن تستطيع اليهـا الصعـود ولن تستطيع اليك النـزولا

٧ – جمع كلمة الأمة العربية الاسلامية

والحل الاسلامي هو الحل الذي يمكن أن تجتمع عليه الامة العربية والاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، في اسيا وافريقيا ، وهو القادر وحده على انشاء الكتلة العالمية الثالثة التي تحفظ التوازن بين الروح والمادة ، بين الدين والدنيا ، بين الفرد والمجتمع بين الشرق والغرب ، ويبرز للبشرية أمة وسطا ، ومذهبا وسطا .

إن الأخذ بالحلول الأخرى المستوردة ، سيمزق الأمة الاسلامية ، ويفرقها بددا ، ويحول بينها وبين الوحدة المنشودة التي فرضها الله عليها . إن بعض الأمة عندئذ ستتجه الى اليمين الليبرالي وبعضها سيتجه الى اليسار الماركسي واليمين نفسه مراتب ودرجات ، واليسار كذلك مراتب ودرجات ، تختلف وتتنوع وتتقارب وتتباعد ، من يمين اليمين ، إلى يسار اليسار . كما إن القبلة ليست واحدة لا عند هؤلاء ولا عند هؤلاء . فمن ناحية تجد قوما يولون وجوههم شطر لندن وآخرين شطر واشنطن ، وغيرهم شطر باريس.. ومن ناحية أخرى تجد بين اليساريين « الحمر » الذين اتخذوا لعبتهم موسكو ، و « الصفر » الذين اتخذوها بكين !

وهكذا تتعدد ألوان التبعية ، وأنواع الولاء. ومع هذه الألوان والأنواع

يتنوع الصراع ويتعدد الانقسام ، ويتوالى الانشقاق .

وعاقبة ذلك كله ، تفريق الأمة الواحدة الكبيرة إلى أمم صغيرة متنازعة وتمزيق الدولة الواحدة الى دويلات ، وان شئت فقل : الى لقيمات يسهل ابتلاعها وازدرادها .

وهذا الخلاف والتفرق والانقسام نتيجة حتمية لاختلاف المناهج والسبل ، وتبعا للابتعاد عن منهج الله وهداه وهذا ما حذر منه كتاب الاسلام ورسول الاسلام .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال .. «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه [1] » ثم قرأ « وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

فهذه السبل الشيطانية — يمينية كانت او يسارية — لا بد أن تفرق كلمة الامة ، وتمزق شملها ، ومعنى ذلك هو الهلاك والبوار ، الذي لاينجي منه إلا الرجوع إلى المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك[2] »

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة [3] »

ففي ظل الاسلام وحده يمكن أن تذوب العصبيات القومية الإقليمية وتذوب

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده في ابن كثير .

(٢) قال في الترغيب رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة با سناد حسن

(٣) الحديث رواه ابن ماجه في سننه مقدمة ٦ ٧٠

الفوارق اللونية واللغوية والطبقية ، ويجتمع هولاء المئات من الملايين من المسلمين على نظام واحد ، كما اجتمعوا على عقيدة واحدة ، وكما يتجهون جميعا في كل يوم خمس مرات الى قبلة واحدة وكما يجتمع مئات الألوف منهم كل عام في مكان واحد وزمان واحد ، لأداء فريضة واحدة ، هي فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وقد لاحظ كثير من الأجانب قوة الترابط الفكري والعاطفي بين المسلمين ، ومدى الاستفادة منه في مواجهة التطور الاقتصادي والتقدم الاجتماعي.

يقول جاك اوسترّوي في كتابه عن « الاسلام والتنمية الاقتصادية » .—

« هناك حوالي ٤٠٠ [١] مليون مسلم وإذا ذكر أن واحدا من كل أربعة رجال في العالم هو صيني . كذلك بإمكاننا القول أن في العالم الحاضر مسلمـــا واحدا في كل ستة رجال .

« هذه الكتلة التي تجتمع في صلاة واحدة بدأت تعي مدى قوتها والتحامها الذي لفت منذ زمن طويل انظار كل زائر .

« خمس مرات في اليوم في جميع انحاء العالم اربعماية مليون انسان يخرون ساجدين قبلتهم مكة يشكلون دائرة واسعة كوردة كل ورقة فيها تكون كائنا حيا يركعون ويسجدون وأنا اتصور — لو كان بإمكان النظر أن يحدهم جميعا — أن الصورة التي تقدمها هذه الزهرة الجبارة تتفتح ثم تغلق بترتيب نظامي مشكلة في مجموعات غير محدودة من المؤمنين ، زهرة غريبة تنفتح على أكثر من قارة تغمّد أوراقها كل ليلة لتستجمعها عند نداء المؤذن في الفجر زهرة كل ورقة فيها مربوطة إلى الأخرى بوشائج الصلاة المتينة تتجمع كلها في الكعبة ... الكثيفة السواد ، هذا الاحساس العظيم الذي يشير إليه حماس بعض الموجهين في الشرق

(١) الواقع أن المسلمين في العالم اليوم يقاربون ٨٠٠ مليون ، كما تشير الى ذلك احصائية حديثة من الأمم المتحدة ولكن الغربيين دائما يحاولون تقليل عدد المسلمين !

الأوسط يفسر – جزئيا – هذه الوجهة في السياسة **الاقتصادية** ، الوجهة الرامية إلى الأهداف الجسام »[1]

وإن هذه الوحدة الروحية العاطفية الفكرية ، لتزداد قوة وأصالة ووضوحا حين يكون وراءها نظام واحد ، ومنهج واحد ، يلتقي الجميع عليه ، ويتبعون هداه : إن وحدة المنهج بعد وحدة العقيدة – هي التي تجعل الأمة كالبنيان المرصوص ، بل الجسد الواحد ، وتباعد بينها وبين أسباب الفرقة والتنازع .

إنه ليس من الهين ولا الأمر البسيط أن يجتمع ستمائة مليون على نظام واحد يخضعون لقوانينه ووصاياه ، ويقدسون أوامره ونواهيه ، لأنها من عند الله .

إن مجرد خطور هذا الحلم الجميل بالبال لأمر مخوف كل الخوف ، ترتعد له فرائص **الاستعمار** الأسود والإلحاد الأحمر ، والصهيونية الرقطاء .

وكان تعمار الصليبي الذي حكم معظم الديار الاسلامية في العصر الحديث . ان يحول بين مثقفي الامة وقادة التوجيه فيها ، وبين التفكير في الاسلام والعودة الى نظامه وأحكامه ومثله ، وأن يصطنع سدودا فكرية ونفسية تحجب عنهم تعاليم الاسلام الحقة وثقافته الصحيحة .

وكان من أعظم أهدافه ألا تجتمع الامة الاسلامية على منهج واحد تعتصم به ولا تنصرف عنه ، وخاصة إذا كان هذا المنهج هو الاسلام .

وكان من أساليبها في ذلك : –

أ) خلق الاتجاهات القومية الضيقة التي من شأنها أن تجعل من الأمة الاسلامية الواحدة أمما وجماعات ودولا . فهذه قومية طورانية تركية وثانية فينقية سورية وثالثة فرعونية مصرية ، ورابعة أشورية عراقية ، وخامسة قومية عربية وسادسة بربرية وسابعة إيرانية .. وهلم جرا .

---

(١) من ترجمة الدكتور نبيل الطويل

ب) إثارة النعرات الوطنية الاقليمية . فاسيا للاسيويين ، وأفريقيا للأفريقيين ثم سوريا للسوريين ، ومصر للمصريين ، والسودان للسودانيين ، ولبنان للبنانيين .

ج) خلق المدارس الفكرية المتناحرة في الادب والفلسفة والتربية والسياسة وسائر مجالات الفكر والثقافة ، فهنا صراع بين القديم والحديث في الادب ، وبين المدرسة السكسونية والمدرسة اللاتينية في الثقافة وبين الماديين والمثاليين في الفلسفة ، وبين اليمين واليسار في الاقتصاد والاجتماع ، وبين المحافظين والاحرار في السياسة إلى غير ذلك من ألوان الخلاف والصراع .

د) توسيع الهوة بين الثقافة الدينية القديمة التي كانت أساس الثقافة القوميـة الاصيلة ، وبين الثقافة الحديثة التي اتسعت لكل معارف العصر وآدابه وفنونه والعمل بكل وسيلة على عزل القديم عن الحياة ، وإبقائه معصوب العينين عما يدور في الدنيا الجديدة ، وإظهاره بمظهر المتخلف المتحجر الذي يقاوم النور وحركة التاريخ .

ومن جهة أخرى يعمل على تعميم ثقافته الجديدة ، وترسيخها في العقول ، وتحبيبها إلى الأنفس ، وهي ثقافة تحمل في طياتها احتقار كل قديم ، وتمجيد كل جديد . والشك في « الغيبيات » وتشيع في انحائها بوجه عام النظرة القومية والعلمانية والمادية .

٨ — تجديد روح الحياة والقوة في الأمة .

إن الحل الاسلامي هو الحل الوحيد الذي يجدد في الأمة ما بلي من شبابها، ويحيي ما شاخ من عزائمها، ويحرك ماهمد من طاقاتها الخلاقة . وينفخ فيها روح الحياة ، ويجري في عروقها دم البطولة ، ويصب في كيانها كله روح القواعد وقوة الروح .

ذلك أن هذه الأمة أمة مؤمنة بفطرتها وبتجاربها وبتاريخها .. والإيمان هو أول ملامحها . وأبرز المعالم في حضارتها ، وهو صانع أمجادها وصاحب الفضل الاول في تاريخها . وقائدها في معاركها الكبرى إلى النصر ، به فتحت البلاد وسادت العباد ، وحطمت ملك كسرى ، وقصت أجنحة قيصر . وبه شرقت وغربت فاخرجت الناس من عبادة الخلق الى عبادة الخالق . ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

بهذا الايمان انتصرت في حطين .. وعين جالوت ... والمنصورة . وانتصرت على جيوش التتار وحملات الصليبيين ، وبه صمدت في هذا العصر أمام الغزو الاستعماري الصليبي . حتى كان آخر نصرها في الجزائر بعد قرن وثلث من الاحتلال ومحاولة التغريب والتنصير .

إن لكل امة شخصية متميزة . ولكل شخصية مفتاحا خاصا تستطيع به أن تدفعها بلمسة منه الى الامام ما شاء الله . كما يصنع مفتاح السيارة الذي لا تندفع

بغيره ، ولا تتحرك إلا به .

ومفتاح شخصية هذه الأمة هو الايمان ، به تصنع المعجزات ، وتتخطّى المستحيلات وتستهين بالعقبات والمعوقات .

فإذا أرادت أمتنا في طريق تحريرها ووحدتها وبناء نهضتها : الإنسان القوي الذي يدوس الشهوة ، والمنتج الذي يحترم الوقت ، والصابر الذي يتحمل الشظف ، والسخي الذي يبذل المال ، والفدائي الذي يحلم بالموت ، فلن يصنع ذلك كله إلا الإيمان ، إيمان الإسلام .

ذكرنا في كتابنا « درس النكبة الثانية » ماقاله المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي « غوستاف لوبون » عن طبيعة هذه الأمة وتأثير الدين فيها . ولابأس أن نعيد هذه الكلمات تبصرة وتذكرة يقول : —

« تأثير دين محمد في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر ، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا ، أجل قد تجد بين المسلمين عددا قليلا من الزنادقة والاخلياء ولكنك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتثال لتعاليمه الأساسية كالصلاة في المساجد وصوم رمضان الذي يراعي جميع المسلمين أحكامه بدقة مع ماقي هذه الاحكام من صرامة لاتجد مثلها في صوم الاربعين الذي يقوم به النصارى كما شاهدت ذلك في جميع الاقطار الإسلامية التي زرتها في آسيا وأفريقية . ومن ذلك أتيح لي أن أركب سفينة نيلية كان فيها أفراد عصابة عربية مقرنين في الأصفاد ، ومتهمين بأنواع الجرائم . فقضيت العجب حين رأيتهم ، وهم الذين خرقوا حرمة جميع القوانين الاجتماعية مستخفين باقسى العقوبات ، لم يجرؤوا على انتهاك تعاليم النبي ، وحين شاهدتهم يرفعون تلك الاصفاد عنهم وقت الصلاة ليسجدوا لله القهار ويعبدوه .

وعلى من يرغب في فهم حقيقة أمم الشرق — التي لم يدرك الأوربيون أمرها

الا قليلا — أن يتمثل سلطان الدين الكبير على نفوس ابنائها . وللدين — ذي التأثير الضئيل فينا — نفوذ عظيم فيهم . وبالدين يؤثر في نفوسهم ، ولولا الدين ما حرك ساكن المصريين ، منذ الثورة التي ضرجت مصر بالدماء (يعني ثورة ١٩١٩) إلى أن يقول .—

« إن الرجل الذي يخاطب العرب باسم الله يطاع لا محالة ، ما علموا أنه يتكلم باسم الله حقا » .

فعلى الراصد المؤمن أو الملحد أن يحترم هذا الايمان العميق . الذي استطاع العرب أن يفتحوا العالم به فيما مضى . وهم اليوم **يصبرون** به على قسوة المصير[1] »

تلك هي طبيعة هذه الأمة . وذلك هو تأثير الاسلام في أبنائها : العرب وغيرهم من « العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها » .

والمؤرخون قديما وحديثا يتفقون على هذا الرأي .

يقول الأستاذ كايرنج في كتابه عن « الشرق الادنى » مجتمعه وثقافته :

« إن الدين مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب بأجلى صورها وهو للجماعة كالحدقة من العين . ترتسم عليها صور الحقائق التي توليها الاهتمام»

أما الأستاذ أليسون (Alison) فيؤكد استنادا إلى وقائع التاريخ ذاته بأن الاستقرار لدى الاسيويين—على الأخص—في حاجة دائما إلى **الاستناد** إلى الدين .

وهذا موافق لما ذهب إليه ابن خلدون في شأن العرب والترك وغيرهم من شعوب الشرق من حيث فترة تأثير الدين فيهم . حيث يصبح الوازع لهم من أنفسهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة . الوازع عن التحاسد والتنافس[2]

---

(١) من كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون — تعريب عادل زعيتر ص ٤١٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون — الكتاب الأول – الفصل : ٢١ — ٢٧ .

فمن أراد أن يصنع بهذه الأمة العجائب ، ويقتحم بها المخاطر ، ويخوض بها لجج المعارك ، ويعيد بها أيام خالد وصلاح الدين ، فليخاطبها باسم الله ، وليقدها بزمام الإيمان ، وليجمعها تحت راية القرآن وكلمة التوحيد ، وقيادة معلمها الأول محمد عليه الصلاة والسلام ، وليربطها بأيام الإسلام وتـــراث الإسلام ، وأبطال الإسلام .

بهذا تكشف الأمة عن خصائصها وأصالة معدنها ، ويتجلى ما تنطوي عليه أعماقها من إيمان غطاه طلاء الحضارة الزائف ، ومن فضائل ران عليها الصدأ بفعل المذاهب الدخيلة والأنظمة العميلة ، التي أضلتها عن طريقها ، وتركتها في حيرة وفراغ .

إن أمتنا التي تواجه اليوم الصهيونية العالمية العاتية الطامعة ، ومن ورائها قوى الامبريالية الغربية والشرقية ، التي ساندتها في إقامة دولتها « إسرائيل » لهي أحوج ما تكون الى استثار دفائنها المكنونة ، وطاقاتها المذخورة ، واستخراج أقصى ما تملكه من الامكانات النفسية ، لتواجه بها أعداءها ، ولن يثير هـــا ويدفعها ويحركها إلا كلمة الإيمان ونداء الإسلام .

إن مؤلفات فرويد ، ودوركايم وجون ديوي ، أو مؤلفات ماركس ولينين وماو — لا تهز وترا في قلب أمتنا ، ولا ينبض بها عرق في كياننا ، ولن يدع بها أناني أنانيته ، ولا كسلان كسله ، ولا ماجن مجونه ، ولن تحرك جنديا لإقدام ، ولن تقود جيشا إلى نصر ، ولكن كلمة « الله أكبر » أو « لا اله إلا الله ، محمد رسول الله » أو « هبي يا رياح الجنة » تفعل في الأنفس فعل السحر ، وتؤثر في القلوب تأثير الكهرباء ، وتقلب ميزان القوى في المعارك الكبرى .

إن صيحة « واإسلاماه» كانت وراء النصر في « عين جالوت » . وكلمة « الله أكبر » في العاشر من رمضان ، والتي اتخذها الجيش المصري شعارا له ، كانت وراء ما حققنا من العبور الخاطف ، وتحطيم خط بارليف ، وهزيمة الجيش الذي زعم — لفترة طويلة — أنه القوة التي لا تقهر . وستظل كلمة

الإسلام سر النصر في كل معركة حاسمة بين المسلمين وأعداء الإسلام .

إن العودة إلى الإسلام هي ماء الحياة ، الذي يرد على الأمة روحها ، ويجري في أوصالها العافية والقوة ، كما انه المصل الواقي الذي يمنحها المناعة ضد الجراثيم الفتاكة التي يبثها أعداؤها .

العودة إلى الإسلام هي التي تصلح ما فسد من هذه الأمة ، وتنشئها خلقاً آخر [1] ، وتسلمها من جديد زمام التاريخ .

وهذا في الواقع هو ما يخشاه أعداؤها ، وما حسبوا — ويحسبون له دائماً — الف حساب وحساب .

إنهم ساعدوا — ويساعدون — على خلق التيارات العلمانية والمادية التي تعزل الأمة عن دينها ، وتفصلها عن مصدر قوتها ، ثم على تغذيتها بعد خلقهـــا وانشائها ؛ فهذه التيارات والنزعات — ليبرالية كانت أو اشتراكية — كلها من خلق الاستعمار والصهيونية ، بواسطة أو بغير واسطة .

يقول لورنس براون في كتاب صدر سنة ١٩٤٤ هذه العبارات الصحيحة :

« لقد كنا نُخَوَّف بشعوب مختلفة . ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف .. لقد كنا نخوف بالخطر اليهودي . والخطر الأصفر (اليابان) والصين والخطر البلشفي . إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق وما تخيلناه . اننا وجدنـــا اليهود أصدقاء لنا . وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . ثم رأينا أن البلاشفة (الشيوعيين) حلفاء لنا . أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها .. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قوته على التوسع والاخضاع ، وفي حيويته . انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي [2] » .

---

(١) راجع فصل « الايمان والاصلاح » من كتابنا الايمان والحياة » .

(٢) من كتاب «التبشير والاستعمار» للدكتورين مصطفى الخالدي وعمر فروخ ص١٨٤ ط ثانية.

وهكذا يرى الكاتب أن في نظام الإسلام قوة كامنة رغم ضعف أهله وتفرقهم . وأن هذه القوة المذكورة لا يؤمن خطرها على الإستعمار الأوربي ، وأنها هي التي يجب أن يحسب حسابها في السياسة الأوربية . وأن كل ما يخوف به المخوفون من أخطار أخر ليست أخطارا في الحقيقة ، بما في ذلك الخطر اليهودي والخطر الشيوعي . والخطر الصيني ، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام .

كتب المستشرق البريطاني البروفسور « مونتجومري وات » مقالا في صحيفة « التايمز » اللندنية في ٨ مارس (اذار) بعنوان قال في نهايته [(١)] : —

« إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فإنه من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى » .

وبعدها استطرد معبرا عن قلقه ، بتأكيد قول أحد زملائه ، وهو المستشرق السير هـ . أ . جب فيقول : —

« وكما نوه السير هاملتون جب فان هنالك احتمالا — من الحكمة للغرب ألا يقلل من شأنه — ألا وهو ظهور الإسلام من جديد ، كقوة عالمية » .

ولعله يشير إلى تلك الكلمة التي كتبها « جب » من قبل في مقدمته لكتاب « إلى أين يتجه الإسلام ؟ » وكان فيها ما يشبه التنبيه والانذار الى العالم الغربي ليأخذ حذره ويكيد كيده ، وذلك حين قال : —

« ومع أن الوحدة الإسلامية قد انتهت من الناحية القانونية الرسمية . ومع أن الثقافات القومية قد أخذت مكانها في المدارس ، ومع أن الفوارق الاجتماعية

---

(١) الترجمة من مجلة « الغرباء » اللندنية التي تصدرها جمعية الطلاب المسلمين في المملكة المتحدة عدد مايو ١٩٦٨ .

قد أصبحت أكثر وضوحا ، ومع أن الثقافة الدينية التقليدية قد أصبحت محصورة في عدد قليل محدود ، مع ذلك كله فالمعاهد الدينية نفسها لا تزال قائمة ولا يزال حفاظ القرآن ودارسوه كما كانوا لم ينقص عددهم ، ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين . وربما كان تقديس شخصية « محمد » وما يثيره ذكره من حماس في سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم من أهم ملامح النهضة الإسلامية الحديثة » .

ثم يقول جب كلمة المراقب اليقظ :

« إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة ، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا ، قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاستر ابة في أمرها فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد [1] » .

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية للدكتور م محمد حسين ص ٢ وص ٢٠٦ .

٩ — تحقيق الأصالة والاستقلال للأمة :

ومزية أخرى نضيفها للحل الإسلامي . فهو الحل الذي يحقق لأمتنا كرامتها . وشخصيتها ، ويبرز أصالتها واستقلالها . بل يضعها موضع الأستاذية للأمم الأخرى . حيث يحمل إليها حلا جديدا لعقد الحياة . ومشكلات الكون والانسان . حلا غير تلك الحلول اليمينية أو اليسارية التي جرفت الإنسانية إلى شفا الهاوية . وجلبت عليها الشقاء والدمار والقلق والرعب . فباتت في ذعر وأصبحت في خوف . وأمست في اضطراب . ونامت في أحلام مزعجة .

هذا الحل الذي يمزج بين الروح والمادة . ويجمع بين الدين والدنيا . ويوازن بين الفرد والمجتمع . ويعدل بين الرجل والمرأة . ويؤلف بين الغريزة والعقل . ويسوي بين الأبيض والأسود ، ويؤاخي بين الإنسان والإنسان . هو الحل الذي يجعل لأمتنا رسالة فوق هذه البسيطة : رسالة تحمل أمانة تنفيذها في خاصة مجتمعها ، وأمانة تبليغها إلى الناس كافة .

فإنها أمة لم يخلقها الله لتعلق بغيرها كالطفيليات ، ولم يخرجها الله لتنحصر في نفسها كحيوان القواقع . وإنما أخرجها لنفع الناس وهدايتهم . وإقامة الحجة عليهم بتنفيذ رسالة الله أولا ، وإبلاغها إليهم ثانيا . قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله » فهي أمة لم تنبت من نفسها كالنبات البري أو الشيطاني بل أخرجها الله تعالى ؛

وأخرجها لهدف هو نفع البشرية جمعاء (الناس) عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، المرتبطين بالله .

وقال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

إن أي حل آخر نستورده من هناك أو هنالك سيحرمنا من هذه الأستاذية للبشرية وهذه الشهادة على الأمم ، بل سيحرمنا من الأصالة ، والاستقلال ، ويفرغ علينا معنى التبعية ، ويجعلنا أذنابا بعد أن نكون رؤوساء ، فهل يجوز هذا — دينا أو عقلا أو عرفا — ونحن نملك أعظم حل لمشكلات الإنسانية ؟

وإذا كان تسول الأغنياء القادرين شيئاً تستبشعه الأخلاق ، وتعاقب عليه القوانين ، فكيف يسوغ لنا — قانونا أو خلقا — أن نتسول حلا لمشكلات حياتنا من عند غيرنا ، بل من عند خصومنا ، وبين أيدينا الحل الناجع من كتاب الله وهدْي نبيه ، وتراثنا الفكري والتشريعي العريض ؟ وما أصدق ما قال المتنبي :

ولم أرَ في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام !

الحل الذي جرب في هذه الأمة فآتى أطيب الثمرات :

وأخيرا

إن الحل الإسلامي هو الحل الذي جرب في هذه الأمة من قبل ، فأعطى نتائج باهرة ، وحقق نجاحاً منقطع النظير ، وسعدت تحت سلطانه بالطمأنينة والعدل والاستقرار ، وأطعمها الله به من جوع ، وآمنها من خوف ، وأعزها بعد ذل ، وعلمها بعد جهل ، وهداها بعد ضلال ، واجتمعت عليه بعد فرقة ، وتآخت في ظله بعد عداوة وشحناء ، ومن أنكر هذا فقد كذّب التاريخ ، ونفى الواقع ، وجحد نعمة الله ، وتنكر لآيات الله ، فقد منّ الله في كتابه على المؤمنين فقال « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقال سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

وهكذا كانت الأمة العربية على شفا الهلاك والدمار في عقائدها وأخلاقها ومجتمعها ، حتى أنقذها بالإسلام وأخرجها من بين الضلال إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن العصبية إلى الأخوة . ومن الفوضى إلى النظام ، وبعبارة موجزة : من الظلام إلى النور .

يقول الإمام التابعي المفسر قتادة بن دعامة في تفسير « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

إن المجتمعات الإنسانية تحاول اليوم جاهدة القضاء على الفقر ، واغناء الفقراء عن الحاجة ، ولم تستطع أن تحقق ذلك . لا في مجتمعات الرأسمالية ولا الاشتراكية . أما الإسلام فقد استطاع — حين أحسن تطبيقه ، وحين استقر الوضع السياسي للمسلمين ، وتهيأ لهم حكم عادل ، وخلافة راشدة — أن يمحو الفقر المذل . حتى يتحير صاحب الصدقة أين يضعها . مما أظل الناس من عدل الإسلام ، وفضل الإسلام .

روى البيهقي في « الدلائل » عن عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : « إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً ، لا والله ما مات جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : « اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيه فلا يجده ، قد أغنى عمر الناس [1] .

وقال يحيى بن سعيد : « بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيرا ، ولم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس [2] » .

وأسبق من عهد عمر بن عبد العزيز أن بعض الأقاليم التي سعدت بحكم الإسلام وعدله في عهد عمر بن الخطاب ، أدركت حظاً عظيماً من هذا الغنى الذي عمت بركته أهل الأقاليم كافة . فلم يجد معاذ بن جبل مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن والذي أقره أبو بكر وعمر من بعده على ما كان عليه — أقول : — لم يجد معاذ باليمن بعد سنوات قليلة من حكم الإسلام بها

---

(١) أنظر عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ١٣٥ .
(٢) سيرة ابن عبد الحكم .

واحداً يأخذ منه الزكاة ، مما جعله يبعث بها إلى عمر في عاصمة الخلافة ، وحاضرة الدولة الإسلامية بالمدينة [1] . بعد حوار ومراجعة بينه وبين أمير المؤمنين في ذلك .

الرخاء الاقتصادي

في ظل النظام الإسلامي حققت هذه الأمة رخاء منقطع النظير ، لا بزيادة الانتاج فحسب ، بل بعدالة التوزيع أيضاً . فلا خير في تدفق الغنى والثروة على أمة ، إذا نعمت به طائفة أو طوائف ، وحرم منه آخرون .

إن أفضل أنواع العلاج هو ما جرّبه المريض ، فحسم داءه ، وعجل شفاءه . والأحمق من الناس هو الذي يدع الدواء المجرب الموفور عنده ، ليبحث عن دواء جديد ، عند الأجانب عنه ، بل عند خصومه وأعداء دينه وأمته . مع أن هذا الدواء الذي يلتمسه لم يشف أصحابه ، ولم يهيء لهم العافية ، ولم يزدهم إلا خبالا .

أجل إن الحلول الأخرى — سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية — لم تجلب السعادة لأهلها ، ولم تحقق لهم رغد العيش وطيب الحياة ، ولا زال أصحابها بين حين وآخر يغيّرون فيها ويعدلون ، وينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ، وبخاصة « الاشتراكية العلمية » الماركسية التي فتن بها قلة من قومنا ، وأعطوها ما يعطي المتدينون لوحي السماء من القداسة والخلود أو أكثر . ثم لم تمض السنون حتى أصبح دعاتها أنفسهم يتراجعون عن كثير من مبادئها ، على كره منهم ، ومعارضة من متعصبيهم ، ولكن نزولا على حكم الضرورة ، وخضوعاً لمنطق الفطرة ، وانقياداً للغة الأرقام نفسها .

---

(١) راجع كتاب « مشكلة الفقر .. وكيف عالجها الاسلام » للمؤلف .. فصل « انتصار الاسلام على الفقر ».

إن « ماركس » رفض « جنة الأديان » التي وعد الله بها المؤمنين في دار الخلود ، أملا في « جنة دينوية » تقيمها الاشتراكية الشيوعية على هذه الأرض ، ومضى ما يزيد على خمسين سنة على قيام النظام الماركسي في روسيا ، ولم ير الناس من الجنة الموعودة شيئاً ، ولم يذوقوا في ظل « الشيوعية » برداً ولا شراباً ، إلا حميماً وغساقاً .

لقد خسروا نعمة الحرية ، ونعمة الملكية . ونعمة الأمن والسكينة النفسية ، ونعمة الإيمان بالله ورسله ، ونعمة الأمل في جنة الآخرة ، ولم يكسبوا في مقابل ذلك ما كان يتوقع من وفرة الانتاج ، وعدالة التوزيع ، ورفاهية الحياة .

لقد عاشت روسيا أشهُرَ الثورة الأولى في شِبْه حُلُم بالدنيا الجديدة السعيدة ، وغرقت في حماسة غريبة تقارب « الهيستيريا » .

أعلن « لينين » مباشرة بعد تسلم السلطة ، أن المجتمع الشيوعي «اللاطبقي» أصبح في متناول اليد ، ولن يتأخر أكثر من ستة أشهر كي يتحقق ويتبلور .

أما « تروتسكي » فترك التعابير الاقتصادية العلمية جانباً ، وأخذ يتكلم بشكل تجاوز نبوءات الأنبياء حماسة — في وصف الدنيا الجديدة المنشودة ، فتراه يقول : — « إن الكهنة في جميع الأديان يستطيعون أن يقولوا ما يحلو لهم عن الجنة المقبلة التي يبشرون بها في عالم آخر ، ولكننا نحن نعلن بأننا سوف نعطي الجنس البشري جنة هنا على هذه الأرض . لذا يجب ألا ننسى دقيقة واحدة ، المثال الذي نضعه لأنفسنا . إنه أسمى قصد تطلعت إليه الإنسانية في تاريخها ، وهو يعبر عن أشرف وأجمل ما يوجد في جميع العقائد الفائتة » !

ومما قاله « تروتسكي » في وصف المجتمع الجديد : « إن الإنسان سيصبح فيه — سريعاً — أقوى وأذكى وأكثر حساسية عما كان . وإن الجسم سينمو بانسجام أكبر . وإن الصوت ذاته سيصبح أكثر جمالاً . وإن الإنسان العادي نفسه سيرتفع إلى مستوى « أرسطو » أو « جوته » !

ولكن هذه الأحلام اللذيذة سرعان ما تبددت ، وواجه الناس ظلام الواقع وظلمه ، وداهمتهم المجاعات المتعاقبة ، والأزمات المتوالية ، وليت الأمر اقتصر على أزمة الغذاء والكساء ، وجوع البطون ، وعري الأجساد ، ولكن تبع ذلك حملات « التطهير » ، وحمامات الدم ، وكبت الحريات ، وتكميم الأفواه ، وراح ضحية ذلك ألوف وملايين ، منهم « تروتسكي » نفسه !! وبذلك أصيبوا بشر مصيبتين يصيبان البشر في دنياهم ، وهما : الجوع والخوف « فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

ولقد صدم هذا الواقع المرّ بعض الأدباء والمفكرين الذين آمنوا يوماً ما بالشيوعية وقدرتها على حلّ مشكلات البشر ، وتفادي ما ولدته الرأسمالية من شرور وويلات وانحرافات ، فلما رأوا بأعينهم حصاد المذهب الجديد ، وما حفل به من آثام وأضرار ومنكرات ، يندى لها جبين الإنسان ، وتقشعر من هولها الأبدان ، رجعوا يترحمون على الرأسمالية وأيامها [1] ، مرددين ما قال الشاعر : —

رب يـوم بكيت منه فلمـا ... صرت في غيره بكيت عليـه!

والعجيب أن الناس في النظام الرأسمالي الديمقراطي يستطيعون أن يروحوا عن أنفسهم بالاحتجاج والاستنكار ، أو بالتأوه والصراخ على الأقل ، ولكنهم تحت وطأة النظام الماركسي لا يباح لهم أن يتأوهوا أو يشكوا ، فضلاً عن أن يحتجوا أو يقولوا : — « لم » ؟ و « كيف » ؟ فما بالك بـ « لا » ؟ ! .

وقد أراد الشعب المجري يوماً أن يجرب قول « لا » وقالها فعلا ، فردت عليه الدبابات الروسية تدك دياره دكاً ، وتطحنه طحناً !! وبعدها تجربة

---

(١) اقرأ على سبيل المثال : كتاب « الصنم الذي هوى » ترجمة فؤاد حمودة ، وهو مجموعة مقالات لستة من كبار كتاب الغرب آمنوا بالشيوعية أول الأمر ، ثم كفروا بها حين تبين لهم واقعها المر الأليم .

الشعب التشيكي .. وما تجربة بولندا منا ببعيد ! ! .

إن قول « آه » قد يخفف ألم المريض ، وإن صراخ المظلوم في وجه ظالمه ، إن لم يشف صدره ، قد ينقع بعض غلته ، ولا عجب أن حرم الله الجهر بالسوء من القول إلا من المظلوم ينتفض في وجه ظالمه ثائراً شاكياً « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً » .

لقد ذاق الغرب الويل على يدي الرأسمالية الفاجرة ، والماركسية الكافرة ، ومن المحال أن تفشل هذه المذاهب والأنظمة في بلادها ، وتفلح عندنا نحن ، وهي غريبة عنا كل الغربة : عن ديننا وقيمنا وشريعتنا وتراثنا وتاريخنا . فإن ظننا اننا سنحل بمذهب نستورده مشكلات مجتمعاتنا ، ونعالج به فساد أوضاعنا ، فنحن كالذي يريد أن يطفيء النار فيرميها بالخشب ، فيسكت لسانها المندلع لحظات ، ثم يمتد لهيبها فلا يبقي ولا يذر .

إن من حمق الإنسان أن يعالج مشكلة بخلق مشكلات ، وأن يتفادى خطأ فيقع في أخطاء ، فيكون كالذي يقضي الدين بالدين ، أو الذي يستشفي من داء بداء ، وقد قال الشاعر :

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن قضاء ، ولكن كان غُرماً على غرم !

وقال آخر :

إذا استشفيتَ من داءٍ بـــداء فأقْتَلُ ما أعلّكَ ما شَفَاكَ !

إن الحل الوحيد المجرب لهذه الأمة هو الإسلام ، ولا شيء غير الإسلام .

بهذا الحل نحفظ ديننا ، وأعراضنا ، وأموالنا ، وأخلاقنا ، وتقاليدنا .

بهذا الحل نربح دنيانا ونربح آخرتنا ، ونرضي ضمائرنا ، كما نرضي ربنا ، ونرتبط بماضينا ولا ننفصل عن حاضرنا ، كما لا نغفل مستقبلنا .

إنّه الحل الحتمي ، والحل العادل ، والحل الوحيد .

لأنه الحل الذي وصفه الله لعباده دستوراً ومنهاجاً ، وحكم به دواء وعلاجاً .

« ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ ! » .

السبيل إلى تحقيق الحل الإسلامي

السبيل الى تحقيق الحل الاسلامي

اذا كان الحل الاسلامي يعني قيام مجتمع اسلامي متكامل ، فما السبيل إلى تحقيق هذا المجتمع المنشود ، والانتقال به من عالم الأحلام والأماني إلى عالم الحقائق والواقع ؟ .

هناك عدة سبل وطرائق سلكتها فئات من الناس . لكل سبيل منها دعاته وأنصاره . فلنناقش هذه السبل واحداً بعد الآخر .

أولا : سبيل القرارات الحكومية

يتصور فريق من الناس أن الحل الاسلامي — أو المجتمع الاسلامي — يتحقق في عالم الواقع ، اذا قام حاكم ما : ملك أو رئيس أو أمير ، وأصدر قرارات أو أوامر أو مراسيم — سمّها ما شئت — باتخاذ الاسلام أساساً للحياة ، وتكوين لجنة أو لجان لتغيير قوانين الدولة الوضعية ، بما يتفق مع الشريعة الاسلامية ، وان لم يكن لهذا الحاكم أعوان مؤمنون بفكرته ، مخلصون لتنفيذها ، ولم يكن وراءه قاعدة شعبية صلبة تشد أزره ، وتنتصر له . ولا شك ان الحاكم المخلص يستطيع — بما له من سلطة — أن يزيل كثيراً من المفاسد ، وان يمنع كثيراً من المنكرات ، وأن يحقق كثيراً من المصالح . وأن يساعد

كثيراً من دعاة الخير . ولكن إقامة المجتمع الاسلامي . واستئناف حياة اسلامية متكاملة ، شيء أكبر واعمق من ذلك كله .

ولا شك كذلك ان الذين ظنوا ان القرارات الحكومية — وحدها — قادرة على تغيير المجتمعات الانسانية او بنائها من جديد ، — هؤلاء قوم حَسَنُو النِّيَّةِ ، ولكن غابت عنهم حقائق مهمة في هذا المجال وهي :

١ — معنى أو مدلول مجتمع اسلامي ، وسعته .

٢ — مدى التخريب الذي أحدثه الاستعمار في ديارنا وما خلّف من آثار .

٣ — مدى قدرة الحاكم الفرد على تغيير مجتمع ما ، وبنائه من جديد .

٤ — مدى ارادة الحكام الحاليين لتطبيق الاسلام ، واقامة مجتمع اسلامي حقيقي .

٥ — مدى خطورة قيام مجتمع اسلامي حقيقي في عصرنا ، وأثره في العالم ، وكل عنصر من هذه العناصر الخمسة في حاجة إلى أن نلقي عليه ضوءاً .

مدلول « مجتمع اسلامي » :

أ — ليس المجتمع الاسلامي هو الذي ينص في دستوره على أن دين دولته هو الاسلام ، ثم يسير كل شيء له أهمية في الدولة بعيداً عن الاسلام .

ب — وليس هو الذي يعطل دواوينه ووزاراته ومصالحه أيام الجمع . ويحتفل بالأعياد الاسلامية ، ويذيع من اذاعته الأذان والقرآن ، ومع هذا لا يشجع المصلين على اقامة الصلاة ، ولا يعاقب المقصرين على ترك الصلاة ، وهو كذلك لا يحكم بشريعة القرآن ، ولا يأخذ المجتمع بآداب القرآن .

جـ — وليس هو الذي يضع قوانين شرعية اسلامية ، أو يعدل قوانينه بما

يتلاءم مع الشريعة الاسلامية . ثم يدع الحياة الاجتماعية والفكرية والسلوكية تمضي في غير اتجاه الاسلام .

ان المجتمع الاسلامي — كما قلنا ونقول — هو الذي توجهه عقائد الاسلام وتحكمه شرائع الاسلام ، وتقوده مفاهيم الاسلام ، وتسوده أخلاق الاسلام ، وتسيطر عليه تقاليد الاسلام ، وتسري في كل جنباته روح الاسلام ، ويصبغ كل شيء فيه بصبغة الاسلام « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »[1] .

وحسبنا أن نعود إلى ما كتبناه عن « معالم الحل الاسلامي » و « شروط الحل الاسلامي » لنعرف بعض ما يجب معرفته عن حقيقة المجتمع المطلوب .

انه مجتمع عقيدة وفكرة . مجتمع دعوة ورسالة ؛ فلا بد أن يتمثل ذلك في جميع نواحي حياته . روحية ومادية ، فكرية وسلوكية . تربوية وثقافية ، نفسية واجتماعية . اقتصادية وسياسية .

وقد رأينا نماذج من المجتمعات العقائدية في عصرنا ، كما في الاتحاد السوفيتي والصين وغيرهما من بلدان المعسكر الاشتراكي . ورأينا كيف عملوا على صبغ الحياة الاجتماعية كلها بصبغتهم المذهبية في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والاعلام والثقافة والفنون ، وباستخدام شتى الوسائل ومختلف الأساليب التي أتاحها العصر لأبنائه .

٢ — مدى التخريب الذي أحدثه الاستعمار في بلاد الاسلام :

ان التخريب الذي أحدثه الاستعمار في ديارنا الاسلامية ليس هيّنا ولا سطحياً . انه — من غير شك — تخريب هائل وعميق . ولا أعني التخريب في الحياة المادية والاقتصادية ، فهذا يهون بجوار التخريب الآخر .. التخريب في

---

(١) البقرة : ١٢٨ .

الأنفس والضمائر والعقول والحياة الروحية والاجتماعية .

لقد غيّر المفاهيم الأصيلة في الأمة ، مستبدلا بها مفاهيم غريبة مستوردة لا تمت إلى تراث الأمة بصلة ، حتى وجدنا في ابناء الأمة من ينكر أن يكون للاسلام علاقة بالدولة ، وسياسة الحكم أو سياسة المال .

ووجدنا في ابناء المسلمين من يدعو إلى اباحة الربا ، ومن يستنكر تحريم الخمر ، ومن يحرّض على إباحة الجنس . ومن يسمي الفضيلة « تزمتاً » والتدين « رجعية » والانحلال « حرية » والتبعية لهذا المعسكر أو ذاك « تقدمية » .

ووجدنا من بنات المسلمين من تمشي عارية المنكبين والساقين والركبتين ، وما فوق الركبتين متأبطة ذراع رفيق ، لا تخشى من خالق ولا تستحي من مخلوق ولا تتهيّب من شيء .

ووجدنا في ابناء المسلمين من ينادي بالغاء تعدد الزوجات في الحلال ، في حين يبيح القانون الوضعي تعدد الخليلات في الحرام . ورأينا من جرأ على المناداة بالمساواة بين الذكر والأنثى في الميراث .

بل وجدنا من زعماء بعض البلاد العربية من يحمل على فريضة الصيام ؛ لأنها تقلل — في نظره — الانتاج . ويحمل على شعيرة الحج . لأن فيها بقايا من الجاهلية كرمي الجمار . بل يحمل على كتاب الله ، لأنه يحوى أفكاراً لا يصدقها العقل . كقصة أهل الكهف وعصا موسى . ويتهم الأمة الاسلامية بتأليه محمد (صلى الله عليه وسلم) . يقول ذلك علناً وفي مؤتمر . دون أن يحكم عليه بالردة . وينال عقوبة المرتد ! ! .

ووجدنا في بلاد المسلمين كتبا تطبع . ومجلات تظهر . وصحفاً تنشر . وأفلاماً تعرض . وبرامج تذاع . تناوىء الاسلام . وتتحدى شريعة الاسلام . وعقيدة الاسلام ! .

ووجدنا من ابناء المسلمين — ممن اسمه محمد وأحمد ومحمود وعمر وعلي

وخالد وصلاح الدين — دعاة إلى اليسار ، ودعاة إلى اليمين . إلى قبلة الشرق وإلى قبلة الغرب ، وإلى كل جهة وكل قبلة ، الا قبلة الاسلام ! .

ووجدنا من يحاضر في مدينة عربية فيقول : أنا عدوّ الأصالة في الفكر والثقافة ! لماذا ؟ لأن الأصالة تربطه بتراث المسلمين ، وهو لا يريد الارتباط الا بفكر سادته الغربيين ! .

لقد استطاع المستعمر الدخيل الذي سيطر على بلاد الاسلام أن يغيّر القوانين ويغيّر التقاليد ، ويغيّر المفاهيم ، ويغيّر القيم ، وذلك بوساطة وسائل وأساليب استخدمها بمهارة وذكاء حتى نجح إلى حد كبير فيما أراد . وقد تحدثنا عنها في كتابنا الأول « الحلول المستوردة » فلتراجع في الفصل الأول هنالك .

وأهم ما نجح فيه ذلك المستعمر البغيض أنه ربّى أجيالا تؤمن بمفاهيمه وقيمه وتقاليده ، وتعيشها بالفعل : شب عليها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، حتى أصبحت هي « الأصل » وغيرها هو « الطارىء » ، وباتت هي «المعروف» وما عداها هو « المنكر » وهذا شر ما يصيب المجتمع المسلم . أن تنقلب فيه موازين القيم ، فيصبح المعروف منكرا ، والمنكر معروفا . ثم يتفاقم الأمر ، حتى يؤمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف ، بل يكرم الامر بالمنكر . فيكتب في كبريات الصحف ، ويبرز على شاشة التليفزيون ، ويمنح جوائز الدولة . على حين يكون نصيب الداعي إلى الله ، والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر « حبل المشنقة » . فان رفقوا به فـ « زنزانة في السجن » يتمنى أن يعامل فيها معاملة القتلة المجرمين ! .

وفوق هذا كله صنع المستعمر على عينه قيادات فكرية وسياسية ، سلّم اليها الزمام ، وهو مستريح الخاطر ، هادىء البال ، مطمئن إلى أن خطه مستمر ، وأنه إنْ رحل بجسمه فروحه باقية ، بفضل ما غرس من أفكار ، وما خلّف من آثار ، وما ربّى من تلاميذ أوفياء لمبادئه ، أكثر من وفائه هو لها ،

غربيين أكثر من الغرب نفسه .

وإلى جوار هذا الفساد العريض الذي تركه الاستعمار المخرب ، لا ننسى فساداً آخر ، تركته عصور الانحطاط الأخيرة في بلاد المسلمين ، يتمثل في :

الايمان بالخرافات والأوهام من الناحية العقلية .

وشيوع الروح الجبرية والاتكالية والسلبية من الناحية الخلقية .

التزام التشديد والتزمت والتضييق في الناحية الأسرية والاجتماعية .

ورفض الاجتهاد والتجديد الصحيح في الناحية التشريعية والفقهية .

وقبول البدع والغلو والتحريف في الناحية العبادية .

وهذا كله يدلنا بجلاء على أن تغيير مثل هذا المجتمع لا يأتي بجرة قلم ، ولا باصدار قرار . انه يحتاج إلى عملية شاقة مستمرة من الهدم والبناء ، حتى يقوم صرحه المكين على تقوى من الله ورضوان . وان طريق العودة إلى الاسلام ليس مفروشاً بالأزهار ، بل هو طريق وعر المسالك ، مفروش بالأشواك ، محفوف بالمكاره ، مليء بالمخاطر والصعوبات .

٣ — مدى قدرة الحاكم على تغيير المجتمع :

لقد أثبت حكيم المؤرخين ابن خلدون أن الحكم — او الملك على حد تعبيره — لا بد له من عصبية ، اي كتلة أو جماعة قوية تسنده وتحميه ، وبدونه لا يبقى ، بل بدونه لا يصل صاحب الحكم إلى الحكم ابتداء .

وهذا أمر يشهد له قراءة الواقع ، كما يشهد له استقراء التاريخ .

والحاكم لا يصل إلى مقعد الحكم في ظل كوكبة من ملائكة السماء ، بل في ظل كتلة من أهل الأرض . بوساطتها يصل ، وبمساندتها يستمر . سواء

كانت هذه الكتلة أو الجماعة دينية كالمهاجرين والانصار في عهد الراشدين . أو قبلية كبني أمية ومن معهم في عهد الأمويين ، أو عسكرية كالمماليك في العصر المملوكي ، وكالجيوش في بلاد الدكتاتوريات العسكرية إلى اليوم أو فكرية سياسية مثل كثير من رؤساء الدول في الشرق والغرب اليوم . ممن تسندهم أحزاب عقائدية ، أو سياسية .

المهم أن الحاكم لا يصل إلى سلطان الحكم الا بجماعة . ولا يستمر فيه الا بجماعة ، وهذا في حاكم عادي كل همه أن يحفظ أمن البلاد في الداخل . ويحميها من الغزو والانتقاص من الخارج ، ويسير دفة الأمور على ما هي عليه .

فكيف اذا كان الحاكم صاحب عقيدة ، يريد نشرها وسيادتها ، وحامل منهاج يريد تحقيقه في حياة الناس ؟ وكيف اذا كان هذا المنهاج يتضمن مثلا عليا ، يتطلب تنفيذها ارادة وصبراً وجهاداً ؟ وكيف اذا كان لهذا المنهاج خصوم متربصون واعداء كثر سافرون ومقنعون ؟ ! وكيف اذا كان المجتمع الذي تحقق فيه ذلك قد كثر فيه التخريب إلى حد يريد بناءه من جديد ؟ .

ان هذا يجعل مهمة هذا الحاكم مستحيلة ما لم تكن له أسناد قوية تنصره اذا خذل . وتحميه اذا هدد ، وتقويه اذا ضعف ، وترشده اذا أخطأ ، وتقومه اذا اعوج . وما لم يكن معه اعوان مخلصون يؤمنون بما يؤمن به ، ويدعون إلى ما يدعو اليه ، يجمعون القوة إلى الأمانة ، والكفاية إلى الديانة ، يراهم الناس فيرون فيهم فكرة الحكم ماثلة ، وعقيدة الدولة مجسدة .

وبدون هؤلاء الأقوياء الأمناء تظل الأفكار النظرية للحكم المنشود ، والدولة المثالية المرتقبة ، حبراً على ورق مصقول ، أو مواد مرتبة في دستور مجمد ! .

ولقد رأينا دساتير بالفعل ، هي أقرب ما تكون إلى الاسلام ، ومع هذا لم يقم المجتمع الاسلامي المنشود بمجرد وضعها أو اقرارها .

ومن هنا نعلم أن تصور حاكم ما لنفسه ، أو تصور بعض الناس له ، أنه قادر على تغيير صورة المجتمع وحقيقته بقرارات ثورية ، أو مراسيم دستورية ، تصور غير صحيح ، لأنه مبني على عدم الاحاطة بامكانية الحاكم ، وبتعقيد المجتمع .

ان تغيير الاسلحة والاجهزة والادوات وكل ما يتعلق بشئون المادة ميسور .. وإن بناء الحصون والمدارس والمصانع مقدور عليه . ولكن الصعب حقاً هو تغيير الانسان ، وبناء الانسان ! .

٤ — مدى ارادة الحكام الحاليين لتطبيق الاسلام :

وهناك شيء آخر غير قدرة الحاكم على التغيير الجذري المطلوب ، هو مدى ارادة حكام المسلمين الحاليين لتطبيق احكام الاسلام ، وإقامة مجتمع اسلامي حقيقي ، واستئناف حياة اسلامية صحيحة .

هل تتوافر لدى هؤلاء الحكام النية الصادقة ، والارادة الجازمة للعودة إلى الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ؟ .

ان المرء ليشك كثيراً في ذلك ، رغم أن فيهم من يصلي ويصوم ويحج ويعتمر ، ولكنهم لا يذهبون في التدين إلى أبعد من ذلك .

فمنهم من تصور الدين علاقة فردية بين المرء وربه ، ولا صلة له بالسياسة ولا شأن له بالدولة ، فالسياسة مكر ونفاق ، والدين طهر ونقاء ، فكيف يلتقيان ؟ ! .

ومنهم من وقر في نفسه بعض ما قرأه عن الغرب ونهضته الحديثة ، وكيف فصل الدين عن الدولة ، وعزل الكنيسة عن السياسة ، فطبق على الاسلام ما جرى في المسيحية ، وتوهم أن الشرق لا ينهض الا بما نهض به الغرب .

ومنهم من يشك في صلاحية الاسلام لقيادة الدولة المعاصرة ، وتوجيه المجتمع الحديث ، ومواكبة التطور العالمي ، نظراً لضعف معرفته بحقيقة الاسلام ، وربّما كون فكرته عنه من خصومه أنفسهم .

ومنهم من لا ينقصه التفهم للاسلام ، وصلاحيته لقيادة النهضة ، واصلاح الأمة ، وبناء الدولة ، ولكنه اعجز من ان يتبناه منهجاً للحياة ، يدعو اليه ، ويحسر عليه ، ويغالي به ، ويذود عنه ، فهذا التبنّي في الواقع في حاجة إلى مصلح ذي رسالة ، لا إلى مجرد حاكم ذي سلطان .

ومنهم من يخشى عاطفته .

ولهذا يصعب على الدارس أن يصدق أنه يوجد في هؤلاء الحكام القائمين اليوم على أمر الشعوب الاسلامية من يريد — بصدق — الرجعة إلى الاسلام ، فيعيش به ، ويعيش له ، أو يموت في سبيله .

ان الأمر يحتاج إلى تربية واعداد وتكوين ، لم يتهيأ لهؤلاء ، ولم يتهيؤوا له بعد .

٥ — خطورة قيام مجتمع اسلامي حقيقي على القوى العالمية :

وهذا شيء آخر لا ينبغي اغفاله أو التهوين منه ، وهو مدى خطورة قيام مجتمع اسلامي حقيقي في عصرنا ، وتأثيره في ميزان القوى العالمية .

ان قيام هذا المجتمع في أي رقعة من أرض الاسلام ولو صغيرة ، أمر يحسب له ألف حساب وحساب .

من قبل اليهودية العالمية .

ومن قبل الصليبية الغربية .

ومن قبل الشيوعية الدولية .

ومن قبل الطامعين والحاقدين في كل مكان .

انهم يخشون أن يتسع هذا المجتمع ويمتد سلطانه من بلد إلى بلد ، حتى يتطور إلى الشيء الخطر المخوف لديهم : الخلافة الاسلامية .

وهم يخشون ان يجدد هذا شباب الاسلام ، فيفيق العملاق من غفوته ، ويخرج من قمقمه ، ويتصل أمسه بغده ، ويعود من جديد خالد وابو عبيدة وصلاح الدين ومحمد الفاتح وقطز ! .

وهم يخشون ان يعود المسلمون مسلمين ، فيكسد كثير من تجاراتهم المحرمة ، ولا تجد لها في بلاد الاسلام سوقاً .

وهم يخشون أن يتعاون المسلمون فيما بينهم ، على تحقيق الاكتفاء الذاتي ، والتكامل الاقتصادي ، باقامة صناعات ثقيلة ، تسد حاجتهم وتغنيهم عن الاستيراد من غيرهم ، فلا يتحكم فيهم معسكر شرقي ولا غربي . وفي هذا من الخسارة على القوى المصدرة لبلاد الاسلام ما فيه ! .

ولا عجب أن نراهم يقاومون بكل قوة كل حركة اسلامية يخافون أن تتحول يوماً إلى دولة ، ولا يكتفون بالسجن والاعتقال والاضطهاد والتضييق ، بل يصبغون ايديهم بالدم اذا احتاج الأمر إلى الدم . والا ، فلماذا ، قتل حسن البنا ، وعبد القادر عودة ومحمد فرغلي وسيد قطب ، وأحمد وبلو ، ومالكولم اكس ، وغيرهم من رجال الدعوة إلى الاسلام ؟ ! .

وهذا يجعل مهمة أي حاكم يحتضن فكرة الاسلام ، مهمة صعبة للغاية ، لأنه سيواجه مؤامرات على مستوى عالمي ، قد تتفق عليها المعسكرات المختلفة فيما بينها ، ما دام العدو هو الاسلام ، العدو المشترك للجميع ، ووراء هذا أزمات ومضايق ، ومحن ، لا يقدر عليها الا أولو العزم من الرجال ، وقليل ما هم .

فما لم يكن للحكم « عصبية » تحميه وتفديه ، وشعبية تناصره وتعضده ،

تجاه المؤامرات والفتن ، لم يستطع الثبات والصبر طويلا أمام ضغطها وتحديها . وقد قال عنه تعالى لرسوله الكريم : « وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم .. » فكما ايده الله تعالى بنصره بملائكته ، أيده كذلك بالمؤمنين المتآخين من أنصاره وأتباعه . وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية وجود المؤمنين المؤتلفين المترابطين مع كل صاحب دعوة ، وحامل فكرة ، ولو كان هو النبي صلى الله عليه وسلم . فكيف بمن دونه ؟ ! .

هذه هي الحقائق الخمس التي قد تغيب عن ذهن من يتصور قيام المجتمع الاسلامي المرتقب باصدار القرارات أو القوانين .

ثانيا : سبيل الانقلابات العسكرية

ويتصور آخرون أن السبيل إلى الحل الاسلامي ، واقامة المجتمع الاسلامي ، يتمثل في انقلاب عسكري تقوم به فئة عسكرية مسلحة من الشعب أو من الجيش أو منهما معاً ، تنقض على السلطة ، وتستولي على الحكم ، وتسير كل شيء بعد ذلك وفق حكم الله وشرعه .

مستند أصحاب هذا الرأي :

ويستند هؤلاء في تأييد فكرتهم إلى أمور :

١ ـ أن تغيير المنكر باليد ـ أي بالقوة المادية ـ واجب لا يسقط الا بالعجز عنه ، وأي منكر أكبر من استحلال الحكم بغير ما أنزل الله ، وهو كفر وظلم وفسوق بنص القرآن ؟ .

٢ ـ أن القوة هي أضمن طريق لاحقاق الحق ، ومن لم يخضع لقوة المنطق ، خضع لمنطق القوة .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب اجدى على الدنيا من السلم

وكما أن القوة أضمن الطرق ، هي أيضاً أسرعها للتغيير المطلوب .

٣ ــ أن الجهاد لاقامة الحكم الاسلامي فريضة على المسلمين ، بل الجهاد لاقامته في حال فقده أوجب من الجهاد للدفاع عنه حال وجوده . ومن الجهاد استعمال القوة العسكرية .

٤ ــ أن النبي ــ ص ــ استخدم القوة لقهر أعدائه عندما لم يجد مناصا من ذلك ، واذن الله له في قتال من ظلموه وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

٥ ــ أن أحاديث النبي ــ ص ــ تأمرنا بمعصية الحاكم ومقاومته اذا رأينا منه كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان . وكيف يمكن مقاومته بغير القوة ؟ . وفي حديث عن أمراء الجور ، قالوا : يا رسول الله ، افلا ننابذهم السيف ؟ قال : لا ، ما صلوا . ومفهومه : أنهم اذا أضاعوا الصلاة نابذوهم السيف .

٦ ــ أن أهل الباطل نجحوا في استخدام القوة العسكرية ، واستولوا بها على السلطة ، لخدمة باطلهم ونشر كفرهم وعصيانهم . أو ليس أهل الحق أولى باستخدامها لنصرة حقهم منهم ؟ .

٧ ــ أن الحرية السياسية في عالمنا العربي والاسلامي مفقودة تماماً في معظم البلدان ، وشبه مفقودة في البعض الآخر ، وأصبح التحرك او التجمع الاسلامي الصحيح عملا ضد الدولة أو النظام . فلا أمل اذن في الوصول إلى الحكم الاسلامي بالكفاح السلمي وبالوسائل الديمقراطية . ولم يبق أمامنا إلا الحل العسكري ، لتغيير هذا الوضع ، وتنحية هذا الطوق . اما لصالح الفكرة الاسلامية، أو لصالح الحريات « مرحليا » وإذا فرض على القلم أن يسكت وجب على المدفع أن ينطق .

إذا لم يكن الا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها !

٨ ــ أن بلادنا تواجه أعداء من كل جانب ، وتعاني مشكلات لا يفصل فيها غير الحديد والنار ، مثل مشكلة كشمير ، ومشكلة فلسطين ، ومسلمي

الفليبين ، ومسلمي اريتيريا والحبشة وغيرهم . فلا بد من الاعداد والاستعداد لمواجهة هؤلاء الأعداء . استجابة لأمره تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » .

٩ — ان الحركة الاسلامية في حاجة دائمة إلى قوة عسكرية تحميها من بطش الطغاة من الحاكمين ، وهي بدون ذلك ، معرضة لأن تضرب ضربات قاتلة ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ؛ لأنها عزلاء . ولا يفل الحديد الا الحديد . وهذا يتطلب من الحركة اعداد قوة مستعدة للدفاع عن النفس — على الأقل — ان لم يكن للوثوب لتحقيق النصر .

١٠ — ان التدريب العسكري في حد ذاته مطلوب للمسلم ، وخصوصاً عضو الحركة الاسلامية ؛ لأنه ينمي فيه معاني القوة والخشونة والاحتمال والثقة بالنفس وغيرها من الفضائل التي لا تستغني عنها أمة في نهضتها . لا سيما اذا كان لها عدو يهدد أمنها ، أو يحتل جزءاً من أرضها ، كما هو شأن العرب مع اسرائيل ، التي قام كيانها أساساً على الاغتصاب والعدوان .

مناقشة هذا الرأي :

ورغم ما لهذا الرأي من بريق ، وما لبعض الاعتبارات التي استند اليها من وجاهة ، يؤخذ عليه أنه أسقط من اعتباره عدة أمور على جانب كبير من الأهمية ، منها :

١ — أن النجاح في الاستيلاء على السلطة بالقوة ، لا يعني النجاح في تطبيق المبادىء التي قام الانقلاب من أجلها . وكم من فئات حزبية انقضت على السلطة ، وتمكنت من أزمتها ، وظلت تحكم عدة سنين ، ومع هذا ظلت معزولة عن الشعب مبغضة اليه ، وكلما طال بقاؤها ، زادت كراهية الناس لها .

ان ما قلناه في مناقشة الطريق السابق يقال هنا أيضاً ، وزيادة . فالتغيير

الجذري — الذي يقوم على دعائم روحية وعقلية ونفسية واخلاقية — مما لا يتحقق بقرارات حكومية ، لا يمكن أن يتأتى بانقلاب عسكري ، من باب أولى .

٢ — أن تغيير المنكر باليد — أي بالقوة المادية — هو في الأصل واجب كل ذي سلطان في سلطانه ، كالأب مع أطفاله ، والزوج مع زوجته ، والحاكم مع رعيته ، أما العكس ، كالابن مع أبيه ، والمرأة مع زوجها ، والرعية مع حاكمها ، فالأمر يحتاج إلى أناة وحذر وحكمة ، ولا يفتح الباب فيه على مصراعيه لكل أحد ، دون قيد .

ولهذا اتفق فقهاء المسلمين على أن ازالة المنكر وتغييره باليد انما تشرع لمن يملك القدرة على التغيير ، وبشرط ألا يترتب على ازالة المنكر منكر أكبر منه وإلاّ ، فالواجب هو التغيير ، باللسان أو بالقلب حسب الاستطاعة ، وإلى أن تحين الفرصة .

وهذا مبني على القاعدة الشرعية المقررة : ارتكاب أخف الضررين ، وتفويت أدنى المصلحتين ، وهو مبني كذلك على ما جاءت به الأحاديث من الصبر على أمراء الجور . وإنْ ضربوا الظهر وأخذوا المال ، وذلك خشية الصدوع والانشقاقات في الدولة الاسلامية ، نتيجة للثورات المسلحة التي يقوم بها رجال مخلصون متحمسون ينشدون المثل الأعلى ، غير مقدرين للنتائج والعواقب . ولكن هذه الأحاديث استثنت حالة واحدة : « أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » .

٣ — أن هذا الرأي اغفل الأضرار والأخطار التي تنشأ عادة من جراء اعداد قوة شعبية عسكرية مسلحة ، فضلا عن استخدامها في الوصول إلى الحكم .

ومن هذه الأخطار أو الأضرار :

(أ) الخروج على القانون . فالقوانين الوضعية السائدة تحرم حمل السلاح بغير اذن ، وتحظر تكوين أي جماعة عسكرية . وهذا يؤدي عاجلا أو آجلا إلى الاصطدام الحتمي بالسلطة ، وتعريض الحركة لأخطار غير مأمونة العواقب.

(ب) اللجوء الى السرية . فما دام تكوين الجماعات العسكرية ممنوعاً قانوناً ، فلا بد من السرية المطلقة ، التي تقتضي اخفاء التنظيم وقيادته وافراده ، الا في أضيق الحدود . وفي سراديب السرية كثيراً ما تتسرب عناصر غير مأمونة ولا معروفة ، لم تجرب في النور ، ولم تختبر تحت أشعة الشمس .

وكثيراً ما تكون هذه الفئة السرية جماعة داخل الجماعة الكبرى ، وقيادة وراء القيادة الظاهرة العليا . فيؤدي هذا إلى الثنائية والازدواج والتناقض .

على أن « التكنولوجيا » الحديثة قد أمدت رجال المخابرات والمباحث ، بأجهزة للتعذيب ، وأدوات للتأثير على المخ ، وأساليب للحرب النفسية ، جعلتهم أقدر كثيراً على اكتشاف أي تنظيم سري بمجرد العثور على بعض أفراده ولو عشوائيا . ولا سيما اذا تولت ذلك فئة لا تخشى خالقا ، ولا ترحم مخلوقاً .

(ج) — الاستعجال قبل النضوج . وهذه آفة التفكير العسكري غالباً ؛ ان هذا النوع بمجرد أن يملك قدراً من السلاح ، وعدداً من الجنود المخلصين المطيعين ، لا يطيق الانتظار . انه يتهم المتريثين بالتردد ، والمعارضين بالجبن . انه يريد أن يضرب ضربته بسرعة . وليكن ما يكون . وهو يقدر دائماً النجاح ، وقلما يقدر الفشل .

ان الحركة الصبيانية الطائشة التي اذيع عنها في مصر أخيراً — وهي **حركة** الكلية الفنية العسكرية — تدلنا بوضوح على خفة هذا اللون من التفكير ، الذي لا يكاد ينظر إلى موضع قدميه . كما يدلنا على مبلغ ما يمكن أن تجنيه السرية

المطلقة على شباب مؤمنين مخلصين ، يقودهم من لا يعرفون ، إلى ما لا يعلمون !

٤ — إننا اذا غضضنا الطرف عن هذا كله ، وافترضنا تفادي هذه الأخطار ، فإن استخدام القوة العسكرية يجب التضييق فيه إلى أبعد حد مستطاع ، فلا يجوز الا لازالة الكفر البواح ، كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لمجرد تقويم انحرافات جزئية ، أو تغيير منكرات عادية . ولا بد من انسداد كل الطرق الأخرى ، بحيث يكون اللجوء إلى القوة من باب الضرورة التي تقدر بقدرها .

ولا بد من تهيئة الرأي العام لتقبل هذه الخطوة ومناصرتها ، بل للمناداة بها قبل أن تقع . ولا بد من استكمال كل عناصر القوة الأخرى اللازمة : من روحية وأخلاقية وتنظيمية وشعبية ، قبل اللجوء إلى القوة العسكرية .

وما أوضح وأبلغ ما قاله في هذه المعاني مؤسس كبرى الحركات الاسلامية الحديثة في مصر والعالم العربي . الشهيد حسن البنا ، حين قال في « رسالة المؤتمر الخامس » :

« ويتساءل كثير من الناس : هل في عزم الاخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم ؟ وهل يفكر الاخوان المسلمون في اعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة ، بل اني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء ، فليسمع من يشاء .

أما القوة فشعار الاسلام في كل نظمه وتشريعاته : فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ...

فالإخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء ، ولا بد أن يعملوا في قوة .

ولكن الاخوان المسلمين أعمق فكرا وأبعد نظرا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر ، فلا يغوصوا الى اعماقها ، ولا يزنوا نتائجها ، وما يقصد منها وما يراد بها . فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والايمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط . ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح — ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعا . وأنها اذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال . مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الايمان ، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك — هذه نظرة .

ونظرة أخرى . هل أوصى الاسلام — والقوة شعاره — باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال ؟ أم حدد لذلك حدودا واشترط شروطاً ووجه القوة توجيها محدودا ؟

ونظرة ثالثة — هل تكون القوة أول علاج أم إن آخر الدواء الكي ؟

وهل من الواجب أن يوازي الانسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟!

هذه نظرات يلقيها الاخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه — والثورة أعنف مظاهر القوة . فنظر الاخوان المسلمين اليها أدق وأعمق وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها الا ما تعلمون [1] » .

٥ — ونضيف هنا شيئا علمتناه تجارب عقود السنين الأخيرة ، وهو : أن أية قوة عسكرية شعبية . لم تعد تكفي — في عصرنا — لمواجهة قوات الدولة المسلحة . لبعد المسافة بين قدرة كل من الطرفين ومدى امكاناته .

فالجيوش الرسمية اليوم .. بما تملك من مدرعات وطيران واسلحة صاروخية

(١) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ص ٢٦٨ — ص ٢٧٠ ط دار الأندلس — بيروت .

وغيرها — أصبحت قادرة على سحق أية فئة عسكرية مهما يكن تدريبها وتنظيمها.

وأمامنا أمثلة وتجارب عديدة في ذلك قريبة العهد ، لا زال صداها يدوي في الأسماع .

في اندونيسيا تجربة حزب « دار الاسلام » الذي تحصن بالجبال وقاتل رجاله قتال الأبطال سنين عديدة ، صنعوا فيها روائع الأمثلة ، ونوادر البطولة ، ثم دحرهم سلاح الطيران ..

وأقرب من ذلك زمانا ومكانا تجربة الفدائيين مع الجيش الأردني . بعد أن بلغوا مبلغا عظيما من القوة والعدد وتخزين السلاح و « التمركز » في داخل العاصمة (عمان) والانتشار بين أهليها ، مع التأييد المحلي والعربي ، ومناصرة دول كثيرة أخرى . ومع هذا كله استطاع الجيش النظامي الأردني أن يقضي على هذه القوة الهائلة في أيام قليلة . وان في ذلك لعبرة .

وهنالك تجربة جزيرة « أبَّا » في السودان : تجربة « الأنصار » مع جيش الحكومة .

وهناك تجارب أخرى في كل منها دروس وعظات يجب الاستفادة منها . فالسعيد من وعظ بغيره .

وهذا يؤكد لنا أن محاولة القيام بانقلاب عسكري لا يؤيده الجيش ، محاولة محكوم عليها بالفشل .

والواجب — اذن — على دعاة الاسلام ، أن يولوا الجيوش عناية أكبر ، وأن يعملوا بكل سبيل مشروع لنشر الفكرة الاسلامية الصحيحة بين ضباط الجيش وجنوده ، وكسبهم الى جانب الاتجاه الاسلامي ، فما هم الا جزء من أبناء الشعب ، قبل أن يدخلوا الجيش ، وبعد أن دخلوا فيه . واذا كان الانضمام الى الجماعات محظورا عليهم ، فان قراءة الكتب والرسائل ، والمجلات وحضور

الندوات والمساجد ، والاستماع الى الخطب والمحاضرات ، أمر غير محظور على أحد .

ان الواجب أن يكون الجيش في البلاد الاسلامية حاميا للاسلام ، لا أداة تتخذ لضربه .

ولا أقصد بالحماية : إن يقوم الجيش بانقلاب لصالح الاسلام ، بل منع أي انقلاب يقوم ضده .

فكثيرا ما استخدمت الجيوش — للأسف — لضرب الاتجاه الاسلامي الشعبي ، في كثير من الأقطار التي يدين أغلبية أهلها بالاسلام . ومن امثلة ذلك ما حدث في تركيا في زمن حكومة عدنان مندريس ، حين برز المد الاسلامي الشعبي ، وأثبت وجوده في الانتخابات ، وأسقط حزب « الكماليين » وجاء بخصومهم الى الحكم ، بعد أن وعدوا الناخبين بأمور في صالح الاسلام . فما كان من الجيش — أو كبار ضباطه على الأصح — الا أن تحرك ، لإسقاط الحكومة ، والاستيلاء على السلطة ومقاومة الحركة الإسلامية الشعبية .

٦ — أن القول بأن الحل العسكري هو الطريق الاوحد لازالة الاستبداد وفرض الحرية المفقودة — قول غير مسلّم ، وغير واقعي .

فالاستبداد لم يكن ولن يكون طريقا للحرية . والقوة العسكرية لن تفرض الحرية ، بل غالبا ما تكون هي التي تخنق الحرية !

إن الرجل العسكري بحكم تربيته الخشنة وحياته الصادقة القائمة على«الضبط والربط » وبحكم ما تحت يديه من قوة ، لايعتد بالمنطق والدليل ، ولا يفهم لغة الحوار والمعارضة . انما يفهم لغة واحدة هي الأمر والتنفيذ . أو القسوة والتهديد . فاذا تمكنت فئة عسكرية من الوصول الى الحكم كانت هذه هي لغتها الوحيدة في معاملة المعارضين والمحايدين . بل الأتباع والانصار أيضا . لأنها لا تطيق قول « لم ؟ » فضلا عن « لا » !

فالحرية لايفرضها العسكر بل يفرضها الشعب نفسه ، اذا بلغ درجة من الوعي والنضوج لايسمح فيها أن يقاد كما تقاد الأنعام !

٧ — بقي ما يقال من الحاجة الى القوة العسكرية لمقاومة اعداء المسلمين من جهة ولحماية الحركة من جهة ثانية ، ولتدريب أعضائها على معاني القوة والجهاد من ناحية أخرى . فأما مواجهة الاعداء فأمر لايخص الحركة وحدها ويجب أن تقوم به الأمة كلها ، وتدخل فيه الدولة بثقلها .

وأما الحماية فماذكرناه من تجارب السنين الماضية يكفي في الرد على هذه الدعوى . وقد كان للحركة الاسلامية في بعض البلاد في وقت ما ، قوة عسكرية شعبية منظمة مدربة . فلم تغن عنها شيئا ، ولم تستطع الدفاع عنها أمام طغيان السلطة .

ولعلها كانت سببا في عنف الضربات الموجهة اليها . أو — على الأقل — اتخذوها حجة يبررون بها هذه الضربات الوحشية .

وأما التدريب العسكري فلا ننكر أهميته وضرورته لتكوين الشخصيــة الاسلامية المتكاملة . ولكن مع وجود التجنيد الاجباري ، وقيام منظمات للفتوة والحرس الوطني ، وغيرها ، يمكن أن يتم التدريب المطلوب في اطار الأوضاع السائدة ، دون التعرض لمخالفة القانون ، ومعارضة السلطة بغير حاجة ملحة .

٨ — أن الانقلاب العسكري . حتى لو قام به الجيش ونجح في تسلم زمام السلطة ، لايؤمن أن يطيح به انقلاب عسكري مثله . ومعنى هذا أن تعيش الأمة في بلبلة وفوضى ، لامكان معها لطمأنينة أو استقرار ، كما كان هو الحال في معظم عالمنا العربي طوال ربع القرن الماضي ، منذ سنة ١٩٤٩ ، حتى اليوم .

والحركة الاسلامية يجب أن تنكر هذه الظاهرة الخطرة ، لا أن تسهم في بقائها واتساعها . وقد كنت كتبت بحثا عن هذه الظاهرة منذ سنوات ، لأضعه في مكان من كتاب « الحلول المستوردة » ولكن المطبعة سبقته . ولعل وضعه هنا — ببعض تصرف — أليق وأوفق .

ثانياً : ظاهرة الانقلابات العسكرية :

لا يستطيع باحث يتعرض لتقويم هذه المرحلة من تاريخ أمتنا دون أن يتحدث عن هذه الظاهرة الخطيرة التي تميزت بها تلك المرحلة ، تلك الظاهرة التي لم تنبت في أرض المنطقة نباتا طبيعيا ، بل صدرت إليها تصديرا ، والتي كان لها نتائج بعيدة الغور في سياستها واقتصادها وماديّاتها ومعنوياتها . تلك هي ظاهرة الانقلابات العسكرية .

١ — إن الانقلابات العسكرية ، وإقحام الجيوش في السياسة كانت له آثار خطيرة في حياتنا كلها . أول آثاره أن حياتنا — مع اعتياد هذه الانقلابات واستسهالها — لم يعد يرجى لها استقرار . فكلما التقت مجموعة من الضباط المغامرين كان أول ما يفكرون فيه الإطاحة بالنظام القائم ، ليتسلموا منه الزمام ويظهروا هم على مسرح الأحداث ! ولا تمضي مدة طويلة حتى يجتمع آخرون فيفكروا في نفس ما فكر فيه الأولون : أن يقوموا بحركة « تصحيح » للمنحرفين بالثورة ، أو « تأديب » لأصحاب ردة شباط ، أو آذار ، أو تشرين ، أو ما شئت من شهور العام ! وبعد مدة قد لا تطول ، تقوم فئة أخرى تمثل نفس الدور على نفس المسرح .

وهكذا تصبح « الانقلابات » هي « اللعبة المفضلة » في بلادنا ، بحيث أصبح المواطن العربي يتوقع كلما فتح المذياع في الصباح أن يسمع الموسيقى العسكرية

والبيان رقم ١ لمجلس قيادة الثورة ، والأمر بحظر التجول ، واعتقال المتآمرين والمنحرفين ، الذين كانوا بالأمس صناع المجد ، وأبطال النضال !

والأمر بسيط حسبما وصفته « القيادة القومية لحزب البعث [١] » بعد أن طردها العسكريون القُطْرِيّون من أعضاء الحزب واستأثروا بالسلطة . قالت القيادة ساخرة : « قم بتشكيل قوة عسكرية ضاربة سريعة الحركة ، تستولي على الإذاعة ، وتعلن نجاح الانقلاب . والقبض على أعضاء القيادة التي لاتعجبك ثم أبعد عددا من الضباط الذين لا يرون رأيك . وقرّب أولئك الذين يدينون لك بالطاعة والولاء ، وإذا أنت على رأس السلطة ! ! »

لقد أصبحت الانقلابات العسكرية « مودة » العصر في العالم العربي — أو في العالم الثالث — كما يسمونه ، الذي قدر « ادوار لوتواك » أن سبعين بلدا فيه تعرضت لانقلابات ناجحة ، خلال ثلاث وعشرين سنة مضت . وهذا غير الانقلابات التي لم يقدر لها النجاح . وقد كان نصيب العالم العربي والإسلامي منها غير قليل . [٢] حتى أن سورية وحدها قام فيها منذ سنة ١٩٤٩ بضعة عشر انقلاباً ، ابتداء من حسني الزعيم إلى حافظ الأسد .

وأصبح « الانقلاب » فنا خاصا يؤلف فيه مثل « لوتواك » — الذي كان آخر عمل له في حقل الشؤون العسكرية والدفاعية في الولايات المتحدة ! — ليعلم الطامحين والمغامرين كيف يخططون للانقلاب ؟ وكيف ينفذونه ؟ وما شروط نجاحه ؟ وما أسباب فشله ؟ ... الخ ، **خدمة مجانية — لوجه الله — يقدمها خبراء الشؤون العسكرية في الولايات المتحدة ، للدول النامية ، لا تريد منها جزاء ولا شكورا ! ! وهي خدمة للتصدير فقط ، لا للاستهلاك المحلي ، فأمريكا الشمالية مثل أوربّا ، أغنى الناس عن هذه البضاعة « الانقلابية الثورية » فلتقدم شعوبنا**

---

(١) في بيانها الصادر في بيروت في ٣٠ / ٤ / ١٩٦٦ .

(٢) راجع « الانقلاب » لـ « إدوار لوتواك » ملحق جـ ص ٣٢١ وما بعدها ، ترجمة : مأمون سعيد . دار النفائس بيروت .

الشكر إلى « الولايات المتحدة » ورجالها أمثال « كوبلاند » جزاء ما ورّدوه إلى بلادنا من «نعم» بغير مقابل ، بل بغير طلب أيضاً ! !

٢ — ان الانقلابات كثيراً ما تقذف إلى سدة الحكم بأناس ليس لهم « هُويّة » تعرف ، ولا سوابق تذكر ، ولا تاريخ يعلم. يقفزون فجأة من الظلام إلى الأضواء ، وعلى الشعوب أن تسلم لهؤلاء « المجهولين » قياد حياتها ، والتصرف في أخطر شؤونها، والبت في قضايا مصيرها ان «السياسي»عادة لايصل الى القمة إلا بعد أن يبلوه الناس لزمن طويل ، ويسبروا غوره ، ويعرفوا أصله وفصله واتجاهاته وولاءاته وارتباطاته في الداخل والخارج ، وعلى أساس هذه المعرفة يحكمون له أو عليه .

أما « **العسكري** » فهو بطبيعة عمله ، وبحكم عزلته . لايعرفه الشعب ولا يختلط به ، ولهذا لا يستطيع أن يحكم له أو عليه ، إلا بعد سنين من حكمه .

وهذه هي الخطورة في الحاكم الذي يأتي به انقلاب عسكري ، يفرض على الشعب بحكم الثورة . إن الأمر خاضع للمصادفة ، فربما ظهر طيبا و « ابن حلال » وربما ظهر خبيثا و « ابن حرام »

وهذا بخلاف الحاكم الذي يأتي نتيجة اختيار حر ، وبيعة عامة ، بعد أن ترشحه مواهبه وسوابقه لهذا المنصب الجلل . فأقرب مزاياه: أنه شخص معروف للناس .

٣ — ولا يقف الأمر عند الحاكم العام أو رئيس الدولة فقط . إن كثيرا من المناصب السياسية والمدنية تعطى — بحق الفتح والانتصار في ليلة الانقلاب — لضباط أقل ما يقال فيهم : انهم بحكم سنهم وخبرتهم — غير محنكين ، وغير مدربين على العمل في هذه الميادين ، وفي هذا عدة أضرار جسيمة منها :

أ — **إفساد المناصب المدنية والسياسية بإعطائها لمن لا يحسنها .** وفي هذا خيانة للأمة ، وتعريضها للهلكة . وفي الحديث « إذا ضيعت الأمانة فانتظر

الساعة » قيل : وكيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة [1] » .

ب — إغضاب العناصر المدنية التي ترى أن هذا المجال مجالها ، وبذر بذور « النقمة » عندها على هؤلاء « المغيرين على مواقعها » بغير حق .

جـ — فتح باب « التطلعات » لهذه المناصب أمام فئات العسكريين الآخرين ، وإلا غضبوا علانية ، أو حقدوا سرا على الطبقة المدلّلة من زملائهم ، الذين يتمتعون بالحياة الناعمة ، والمكاسب الكبيرة في أجهزة الحكم ، والمؤسسات المؤممة ونحوها .

د — إفساد الجيوش نفسها ، بحرمانها من العناصر القادرة التي تفرغت للسياسة من ناحية ، وزرع الحقد والنقمة لدى زملائهم من ناحية أخرى . هذا الحقد الذي غالبا ما ينتهي بتصفيات وتطهيرات ، يحرم بها الجيش من الكفايات والمواهب والخبرات . وهذا كله على حساب قوة الجيش وتفوقه ووحدته .

وهذا — بلا ريب — من أسباب ضعف الجيوش العربية في عهود الانقلابات العسكرية .

٤ — وأكثر من ذلك وأخطر : **أن يُستخدم الجيش «بوليسا» سياسيا أو جهاز مخابرات ، أو نحو ذلك ، فتغدو صورته هي إرهاب الشعب ، لا الدفاع عنه ضد المغيرين عليه** . وتصبح مهمته هي **حماية « النظام »** وبعبارة أصرح : حماية الفئة الحاكمة **لا حماية « الوطن »** .

وفي دراسة لـ « **هيئة العمل لتأسيس الحركة العربية الشعبية** » بدمشق عن أسباب هزيمة ١٩٦٧ حملت الدول الثورية النصيب الأكبر من تبعتها لما ارتكبته

---

(١) رواه البخاري .

(٢) يراجع في « وثائق النكسة » ص ٩١ — ٩٦ .

من أخطاء وانحرافات أهمها : « دخول الجيوش كقوة سياسية في الأنظمة الجديدة وابتلاعها جميع القوى السياسية الأخرى ، وخروجها — كجيوش — من طبيعتها العسكرية ، وإضفاء هذه الطبيعة بروحها ومظهرها على هذه الأنظمة بحيث أصبحت قطب الرحى ومركز القوى فيها ، ودولة ضمن دولتها ، إن لم تصبح كل الدولة ، وبحيث فرضت سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على الحكم وتسلطها على شؤون البلاد والعباد ، حسب شريعة الفتح وقانون القوة ؛ ونتيجة طبيعية لذلك يأتي تغير طبيعة الجيش ودوره وتحوله من مؤسسة عسكرية منوط بها درء الأخطار الخارجية عن الوطن ، إلى بوليس سياسي وجهاز مخابرات يحصي على الناس داخل الجيش وبين صفوف الشعب حركاتهم وسكناتهم ويسوقهم إلى غياهب السجون وأقبية التعذيب وحتى إلى الموت .

« ونتيجة أخرى لذلك يأتي تغيير بنية الجيش ، بالتصفيات المتعاقبة التي رمت خارجه ألوف الضباط الوطنيين القوميين الأكفاء ؛ وبروز طبقة جديدة — من الضباط الموالين — بيروقراطية وبوليسية ، وجدت في هذه الأنظمة سبيل الهروب من حياة الجندية الشريفة ، ومن واجب الدفاع عن شرف الأمة وتراب الوطن ، إلى حياة ملؤها التمتع بالملذات والنفوذ ونعومة العيش والحفاظ على الامتيازات التي حصلت عليها عنوة واقتدارا ، والحصول على المزيد منها .

« إن حلول هذه الطبقة العسكرية ، وصنيعتها الطبقة البيروقراطية التي خلقتها في أجهزة الدولة وفي القطاع المؤمم ، كان من شأنه تعطيل الحياة السياسية وإلغاء المؤسسات الديموقراطية الشعبية ، وفرض وصاية شاملة وجائرة على الشعب كله ، وقيام دكتاتورية طبقية جديدة ذهبت في توكيد وتبرير وجودها مذاهب شتى : من شرعية ثورية مزعومة مستمدة من الحق المقدس للانقلاب العسكري إلى مذهبية عمياء في عبادة الإرهاب باسم الثورة ، إلى ملء اجواء الأثير بلغو الكلام عن الثورة والاشتراكية وحرب التحرير الشعبية .

« إن هذا الإنحراف الذي وقعت فيه هذه الأنظمة كان له أثره الماحق

في داخل الجيش الذي داهمته حرب حزيران وهو مشغول بكل شيء إلا بأمر الحرب . وسلاحه مشهور بتار في وجه كل مواطن ولكنه معقم ومغلول في وجه العدو ، وألويته خفاقة للحفاظ على نظام الحكم ودولة المخابرات ولو على حساب تراب الوطن وكرامة الشعب [1] » .

٥ — إن الانقلاب العسكري معناه فرض اتجاه معين أو رأي معين أو شخص معين ، بقوة السلاح ، لا بالحجة ولا بالاقناع . فالغلبة للقوة لا للمنطق ، والكلمة للأقوى لا للأصلح ولا للأحق . الكلمة لمن معه الدبابة والمدرعة لا لمن معه الشعب ، ومن معه الحق. ويزيد الأمر خطورة أن بعض العسكريين الذين يشغلون مناصب سياسية يظلون يحتفظون بمناصبهم ورتبهم العسكرية ، فهذا نائب لرئيس الجمهورية أو مدير لمكتبه ، أو نائب لرئيس الوزراء ، أو وزير أو عضو مجلس القيادة ، وهو في الوقت ذاته قائد عام للقوات المسلحة ، أو لواء أو عميد بسلاح المدرعات ، أو سلاح الطيران أو غيرها . .

وإن من شر ما يؤذي الإنسان ويعذبه أن يحكمه من لا يرضى عنه ، وشر من ذلك أن يرغم — تحت تهديد القوة الباطشة — على تأييد من يكرهه ، والتصفيق لمن يلعنه بلسانه وقلبه .

لقد جاء في الحديث : « اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تُودع منهم [1] » .فكيف إذا أجبرت الأمة على أن تقول للظالم : أيها المنقذ ، أو المحرر ، أو ، البطل العظيم ؟ !

٦ — يضاف إلى ذلك أن العقل العسكري — بحكم تكوينه ، وطبيعة عمله وظروف عزلته — يميل إلى الاستعلاء والاستبداد والعنف والسرعة في إصدار القرارات ، ولو كانت مصيرية ، دون استماع إلى آراء الخبراء والمجربين ،

---

(١) وثائق النكسة ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) رواه الحاكم وصححه وأقره المنذري والذهبي

وهذا مما يجعل الحكم العسكري في عزلة عن الشعب ـ وبخاصة الاحرار المثقفون ــ ويحفر بينهما هوة تعمق وتتسع بمضي الزمن . ولهذا كثر الحديث عن « أزمة المثقفين » وموقفهم السلبي من الحكم العسكري الثوري .

وسكوت الشعوب على الحكم العسكري كارهة وعلى مضض ، لا يعني رضاها أو استسلامها للأمر الواقع ، فإن النقمة ستظل تحتمل **وتغلي** في صدورها ، وكلما زاد الضغط زاد الغليان ، حتى تنفجر القدر يوما ، أو تتكسر . ويومئذ يحدث ما لا يعلم إلا الله نتائجه ومداه .

هذا مع أن الحكام العسكريين هم أكثر الناس حديثاً عن « **الشعب** » و « الشعبية » و « الجماهير » وما شابهها من العبارات التي يتخذونها ستارا للدكتاتورية المستبدة ، التي تنفذ ما تراه وما تريده ، بدون التفات إلى أحد .

ولهذا لا يسمح الحكم العسكري للمواطنين بحرية التفكير ، وحرية التعبير . بانشاء صحافة حرة ونحوها ، وحرية التجمع السياسي*، وحرية النقد والمعارضة لسياسة الحكومة ، مستخدماً سلاح الاتهام ــ لكل من يعارضه ــ بالعمالة والرجعية ومعاونة الاستعمار والامبريالية وغيرها من « الاكليشيهات » المحفوظة ! بل رأينا العسكريين من الحزبيين العقائديين ، حين لاحت لهم الفرصة وثبوا على الحكم ، وطردوا منه زمرة المدنيين من « رفقائهم » في الحزب والعقيدة . وعاملوهم معاملة الخصوم الأعداء .

٧ ــ ويترتب على عزلة الحكم الانقلابي العسكري عن الشعب : **شعوره دائماً بالحاجة إلى حماية (من داخل الجيش أو من خارج الوطن في كثير من الأحيان) ضد أي حركة معارضة تنبع من بين الشعب ، تقول للحاكمين : لماذا ؟ أو : لا .**

وهذا يجعل الحاكم نفسه **يعتمد على مراكز القوى في الجيش ، وفي أجهزة المخابرات ، وهو في نفس الوقت يخافها ويخشى من مطامعها وتقلباتها . ولهذا**

يتملقها ، ويتغاضى عن أخطائها ، بل خطاياها وانحرافاتها ، ويرضي أطماعها بما تطلب لنفسها ولأتباعها ومحاسيبها من مكاسب وامتيازات ، على طريقة « أطعم الفم ، تستحي العين » ! !

وهذا ليس أمراً عارضاً ، بل هو كامن في طبيعة الأنظمة العسكرية الثورية ، التي تستند في قيامها وفي بقائها على حماية القوات المسلحة .

٨ — وهذا الذي قلناه يسلمنا إلى خطر آخر من أهم ما يذكر من أخطار الانقلابات العسكرية **وهو أن الانقلاب إذا فشل في تحويل نظام البلد إلى شرعية مستقرة ، لها أصول راسخة في الحكم والمعارضة ، وتغيير الحكام ، وأصبح الانقلابيون مكروهين من الشعب ، فلا تبقى وسيلة لتغيير هذا الوضع إلا أن يقوم انقلاب عسكري آخر . ومعنى هذا أن الانقلاب لا يعالج إلا بانقلاب ، على نحو ما قال أبو نواس :** وداوني بالتي كانت هي الداء ! !

لذلك نرى سلسلة الانقلابات مستمرة ، وخاصة في دول العالم الثالث — مسرح تجارب الامبرياليات القديمة والجديدة : الانجليزية والأمير كية والروسية والصهيونية وغيرها — حيث ينقض فريق من الانقلابيين على فريق سابق ، ويفقد البلد بسبب ذلك عدداً كبيراً من الخبرات والكفايات ، من شبابه ، ورجاله والعناصر النشطة الفعالة فيه ، من عسكريين ومدنيين ممن أنفق عليهم الوطن الكثير حتى تعلموا وتخرجوا وتدربوا ، ووصلوا الى مستوى عال من الكفاية الفنية ، فإذا هم يعدمون أو يسجنون أو يعزلون أو يهربون !

إن بعض العسكريين يندفعون بإخلاص لتحرير وطنهم من حكم ظالم أو فساد عريض ، وقد لا يكون الحكم هو هدفهم في أول الأمر ، ولكن سحر السلطة يشدهم إليه ، وبريق النفوذ والجاه يخطف أبصارهم ، فلا يقبلون التنازل عن السلطة وقد أمست في أيديهم ، وهذا معناه : أن الشعب بقيام أول انقلاب عسكري ، يدخل قمقم الأحكام العسكرية ، فلا يخرج منه ، ولا أمل في خروجه منه لأن كلمة السر — التي يفتح بها « سمسم » غطاء القمقم — في

يد الحاكم العسكري الذي لا يعطيها — طوعاً أو كرها — إلا لعسكري مثله .

ويصدق هنا ما قاله شاعر مجيد في وصف جماعة انقلابية من هذا النوع :

أغاروا على الحكم في ليلـــة   ففر الصباح ولم يرجـــــع !

فكيف النجاة من هذه الحلقة المفرغة ؟

إن من الصعب أن تقوم ثورة شعبية شاملة تسقط الحكم العسكري ، لأنه بقوة الجيش سيسحقها . ولم يتكرر — فيما علمنا — مثل ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ في السودان . تلك الثورة الشعبية الإجماعية التي أسقطت حكم «عبود» العسكري الخامل . ولكن يلاحظ أنه لم يكن ثوريا ولا اشتراكيا ولا عقائديا :

إن الخطر سيظل قائما . والاستقرار سيظل معدوما . **والشرعية** ستظل حلماً بعيد المنال . ما لم يعد إلى الجيش يقينه بأن مهمته الدفاع عن حدود البلاد لا الحكم والسياسه .

ومن الناس من يقبل تدخل الجيش في حالة واحدة : حالة تفريط السلطة القائمة في أرض الوطن أو في وحدته . أو في عقيدة الشعب ودينه ، أو نحو ذلك مما يتعلق بكيانه ومصيره . وعجز القوى المدنية المخلصة عن مواجهة السلطـة وتقويمها . فهنا — من باب الضرورة كما يقول الفقهاء — يتدخل الجيش للانقاذ على شرط أن تكون مهمته رد السلطة إلى الشعب ، أي إلى المدنيين ، ثم يرجع الجيش إلى مواقعه مشكورا .

فالتدخل العسكري يجب ألا يباح الا لضرورة يقدر بقدرها .

ولكن المخوف في مثل تلك الحالة دائماً أن العسكريين بعد أن تصبح السلطة في قبضتهم . ويذوقوا لذة الحكم ، يصعب عليهم أن يسلّموها لغيرهم راضين مختارين ، وهم في رأي أنفسهم ليسوا أقل من غيرهم مواهب ومقدرة على تصريف الأمور .

وهنا تكمن المشكلة . فما لم يكن هناك وعي عام في الجيش كله يؤمن بضرورة الابتعاد عن السياسة . وتركها لأهلها . والحرص على سيادة الشرعية فلا يرجى تراجع العسكريين عن موقفهم .

ولا يتم ذلك إلا بوجود فئة مخلصة من الضباط والقادة العسكريين يؤمنون بأن مهمة الجيش الدفاع عن حدود الوطن فقط . ويؤثرون مصلحته العامة على مكاسبهم الخاصة . فيحاربون فكرة الانقلابات . ولعبة السياسة ، ويعملون لتعميم هذا الوعي بين الضباط . بغية استقرار وطنهم . وعودته إلى الأوضاع الطبيعية والشرعية .

كما أنه لابد بجانب ذلك — من توعية الشعب نفسه . بحيث يرفض الانقلابات والحكم العسكري أيا كان اتجاهه والقائمون به ، ولا بد من تعميق هذا الوعي حتى يغدو عقيدة سياسية توقن بها جماهير الأمة ، ولا تفرط فيها . ولا تبغي عنها حولا ، ومن الشعب تنتقل إلى العسكريين ، ويلتقي الجميع على إقرار الشرعية والولاء لها . وبدون هذا وذاك لا أمل في استقرار .

ثالثا : سبيل الوعظ والارشاد

ويتصور آخرون من المتدينين أن تغيير المجتمع القائم ، وتحويله إلى مجتمع اسلامي ملتزم ، يمكن أن يتم عن طريق الوعظ والتذكير ، والتبليغ والارشاد في المساجد والجوامع ، فعن طريق الكلمة المخلصة ، والخطبة المؤثرة ، ورقائق الترغيب والترهيب ، التي ترطب القلوب بالرجاء . وترقق الأفئدة بالخشية ، يمكن أن يتوب العصاة ، وينتبه الغافلون ، ويعود الناس إلى رحاب الله .

ولا ريب أن الوعظ والارشاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة الى الله ، لا يستغنى عنها بحال . ولا يجوز التهوين من تأثيرها على كثير من الناس ، ولا سيما اذا قام بها داعية ذو قلب حي ، وعقل نير ، فان الله قد يهدي به الألوف من الناس . فان الكلام اذا خرج من القلب وصل الى القلوب ، وكثيرا مارأينا وقرأنا وسمعنا عن « مشايخ » و « مرشدين » من ذوي الاخلاص ، أخرج الله بهم كثيرين من ظلمات المعصية والانحراف الى نور الطاعة والاستقامة .

وقد كان الارشاد والوعظ جزءا من مهمة الانبياء والمرسلين ، الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين . وستظل جزءا من مهمة ورثة الانبياء وحملة دعوتهم في كل زمان ومكان . « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »

الوعظ والارشاد لا يكفي :

ولكن هذه الوسيلة وحدها — برغم جلالها وتأثيرها — لا تكفي لتحقيق الهدف المراد . وذلك لأسباب :

١ — ان تأثيرها محصور في رواد المساجد واشباههم ممن لا يزالون على اتصال بالتدين والعبادة . وإن كان فيهم بعض تقصير أو غفلة عن الله والآخرة . أما الملاحدة والاباحيون وحملة الأفكار الهدامة ، والعقائد الضالـــة ، فهؤلاء لا يحضرون أماكن الوعظ أصلا ، ولو حضروا ما انتفعوا به ، لأن الخراب الذي في عقولهم اعمق من أن تؤثر فيه كلمة أو خطبة ، الا ماشاء الله .

٢ — ان تأثير الواعظ الجيد محدود من حيث الزمان أيضا ، بجوار محدوديته من حيث المكان والنوعية . فالمستمعون يتأثرون بالواعظ عند السماع ، وقد تذرف اعينهم الدمع ، وقد تقشعر منهم الجلود خشية لله ، ثم ينصرف الواعظ والموعوظون كل الى حال سبيله ، فالواعظ لا يملك متابعـــة موعوظيه ، ولا يربطهم برباط واحد . وسرعان ما يتبخر أثر وعظه إذا دخل الناس في لجة الحياة ، وألهتهم مشاغلها . وقديما شكا الناس من ذلك فقالوا :

نراع بذكر الموت عند سماعه ! ونخرج للدنيا فنلهو ونلعب !

٣ — ان الوعظ والارشاد وسيلة يقصد بها التأثير على الأفراد . أما تغـــيير المجتمعات بتبديل مفاهيمها وقيمها وتقاليدها وقوانينها ، رغم من يسند هذه الاوضاع من رجالات كبار على مستوى السياسة ، ومستوى الفكر ورغم ما يغذيها ويحميها من مؤسسات وقوى منظورة وغير منظورة ، في الداخل وفي الخارج — فهذا أمر فوق قدرة الوعظ . وفوق طاقـــة الواعظ .

٤ — ان اجهزة التأثير المضادة لمنبر الوعظ اصبحت أعظم خطرا ، وأبعد أثرا فلم تعد الكلمة المسموعة — بصفة عامة — وحدها هي العنصر المؤثر في التوجيه والتغيير . فهناك الكلمة المكتوبة ، تفيض بها انهار الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، والكتب الدورية وغير الدورية ، مما تقذف به المطابع للقراء في كل مكان .

وهناك الكلمة المسموعة مع الصورة المشاهدة في التليفزيون والسينما والمسرح ، وتأثيرها أفعل وأقوى وأنفذ ، لاجتماع حاستي السمع والبصر على التأثر بها ، ولتكرارها اليومي . ومصاحبتها للناس ساعات طويلة كل يوم ، حتى في مخادعهم .

حتى الكلمة المسموعة نفسها لم تعد مقصورة على خطبة المنبر أو درس المسجد ، بل أصبحت تذاع على الناس من خلال المذياع في صورة برامج متنوعة : إخبارية ، وثقافية ، وترفيهية . يستخدم فيها الشعر والنثر ، والقصص والحوار ، مع التمثيل والغناء والموسيقى ، وكل ما يحوطها بقوة التأثير والنفاذ الى العقول والقلوب .

فليت شعري ماذا عسى أن تصنع خطبة الخطيب أو درس الواعظ أمام هذا السيل من الكلام المسموع والمقروء والمكتوب ؟ ماذا يغني المنبر أمام المذياع والتلفاز والمسرح والخيالة والصحيفة والمجلة وسائر أجهزة الإعلام والتأثير ؟ وكم يكون تأثير الواعظ البليغ إذا كانت هذه الأدوات الجبارة والأجهزة المخدومة ، تسير في اتجاه غير اتجاهه ، وتعمل لمهمة غير مهمته وقديما قال الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

وهنا لو تساوت طاقة البناء وطاقة الهدم ، فكيف اذا كان عدد الهدامين أكثر ، وطاقتهم أكبر ، وطريقهم أيسر ؟ فالهدم بطبيعته أخف وأسهل حتى قال الشاعر :

. ولو ألف بانٍ خلفهم هادم كفى   فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم؟!

وقد قال الشاعر ذلك في هدّامين أدواتهم المعاول والفؤوس . فكيف لو رأى الهدامين في عصرنا وأدواتهم الألغام والمواد الناسفة ، التي تحيل ناطحة السحاب ، في لحظات الى تراب ؟ !

وما أشبه الهدم في المعنويات بالهدم في الماديات !

٥ ــ ان الواعظ قد يحتاج الى أن يقول كلمة الحق في وجه الحكام ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وكيف يستطيع ذلك . وقوته وقوت عياله بيد هؤلاء الحاكمين ، الذين استغنوا عن دينه واحتاج هو الى دنياهم فهو موظف لديهم ، واسير دنياهم ومعاشهم . وقديما قال أحد الأمراء في شأن الحسن البصري ، وسر شدته عليهم ، ومكانته لديهم : احتجنا الى دينه ، واستغنى عن دنيانا !

ولكن اذا انعكس الوضع كما هو اليوم ، فان الواعظ المخلص يواجه محنة شديدة لا يصبر عليها إلا اولو العزم . وقليل ما هم !

٦ ــ وحتى الواعظ المتطوع لا يجد الحرية دائما ليقول ما يريد ، ففي عهود الدكتاتوريات يصبح المنبر موجها ، شأنه شأن الاقتصاد والاعـلام والسياسة . فمن لم يسر في خط الحاكم لم يبق له مكان ، الا في السجون والمعتقلات .

٧ ــ ثم من أين لنا العدد الكافي من الوعاظ الموهوبين المؤثرين ؟ ! إنك قد تذرع قطرا بأكمله طولا وعرضا . فلا تجد إلا واحدا أو اثنين أو ثلاثة ، وقد لا تجد أحدا يملأ سمعك وقلبك وعقلك ، فلا تملك إلا أن تردد قول الشاعر :

إني لأفتح عيني حين أفتحهـــا   على كثير ، ولكن لاأرى أحدا!

رابعاً : سبيل الخدمات الاجتماعية

سبل العمل الاجتماعي :

ويخيل الى فئة أخرى من الناس أن المجتمع الاسلامي يمكن أن يتحقق اذا نشط أهل الدين ، وعشاق الخير ، في انشاء المؤسسات الاجتماعية ، والجماعات الخيرية ، التي تسهم في تخفيف البؤس ، واشاعة البر ، ومساعدة المحتاج ، ومحاربة الاعداء الثلاثة : الفقر والجهل والمرض .

ولهذا يسعون الى انشاء جمعيات أولجان خيرية شتى :

فجمعية أو منشأة أو لجنة لجمع الزكاة أو تنظيم الاحسان .

وأخرى : لانشاء المساجد أو ترميمها .

وثالثة : لتكفين موتى الفقراء ودفنهم .

ورابعة : لعمل مستوصفات طبية مجانية أو شبه مجانية .

وخامسة : لبناء مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم الدين .

وسادسة : لكفالة الأرامل والعجزة .

وسابعة : لايواء الأطفال المشردين والايتام وتعليمهم .

وثامنة : لمحو الأمية .

وتاسعة : لمكافحة المخدرات والآفات الاجتماعية .

وعاشرة : لاصلاح ذات البين .
وغير ذلك كثير وكثير .

اتجاهان متباينان في تقدير الخدمات الاجتماعية :

وأود أن أبين هنا أن في هذه القضية اتجاهين متناقضين تماما لا يلتقيان ولا يتفاهمان .

الاتجاه الأول : اتجاه يبالغ في تقدير أهمية الأعمال والخدمات الاجتماعية ويجعلها أكبر همه ، ومحور نشاطه ، وفي رأيه انها لو اتسع نطاقها ، وكثر عشاقها ، لأمكن أن تغير المجتمع بغير انقلاب ولا ضجيج .

وينسى هؤلاء أمورا ثلاثة في غاية الأهمية :

أولها : أن الفساد الاجتماعي الذي نشكو منه ، قد تغلغل في أعماق المجتمع وسرى في كيانه كله مسرى السم في البدن ، فلم يعد يجدي فيه الترقيع الجزئي . والاصلاح الجانبي ، فإن هذا أشبه ما يكون باعطاء « المسكّنات » للمريض بمرض يحتاج علاجه الى عملية جراحية ، أو اقامة طويلة في مستشفى معين تحت اشراف خاص .

ان العاطل لا يكفي ان تعطيه دريهمات يقضي بها حاجة عاجلة لشخصه أو لأسرته ، وانما يجب أن يهيأ له عمل مناسب يكسب منه ما يكفيه واسرته كفاية تامة . وهذا لا تقدر عليه جمعية أو لجنة . انما هو من وظيفة الدولة المسئولة .

وقيام لجنة بجمع الزكاة من عشرة أو مئة من متوسطي الحال أو المستورين من الناس لا يغني غناء قيام « مؤسسة للزكاة » تحت اشراف الدولة المسلمة ، تأخذ من كل مالك للنصاب ، وبخاصة أصحاب الألوف والملايين . لابد اذن من إصلاح كلي شامل .

والثاني : ان المجتمع وحدة لا تتجزأ أشبه بجسم الشخص الواحد : ذي الأجهزة والأعضاء والخلايا المتعددة ، فكلها يؤثر بعضها في بعض صحة وسقما واستقامة وانحرافا . ولهذا نرى من الخطأ النظر الى النواحي الخيرية والاجتماعية مفصولة عن جوانب المجتمع الأخرى .

فهنالك ارتباط متين بين الفساد الاجتماعي ، والفساد الفكري ، والفساد الخلقي ، والفساد التشريعي ، والفساد التعليمي ، والفساد الاداري ، والفساد السياسي ، والفساد الاقتصادي ، ومحاولة اصلاح جانب واحد من هذه الجوانب مع اغفال الأخرى ، عبث وغفلة عن طبيعة المجتمع والحياة .

والثالث : ان الذي نريده من المجتمع شيء اكبر من محاربة الفقر أو المرض أو الجهل وان كان ذلك من أهم ما نهدف اليه :

لقد قلنا وأكدنا من قبل : اننا نريد مجتمعا جديدا ، مجتمعا اسلاميا بمعنى الكلمة ، مجتمعا يعيش بالاسلام ، ويعيش للاسلام : لرسالة الاسلام الكبرى وأمة الاسلام العظمى . فيجاهد من أجل تبليغ الدعوة الاسلامية ، وتحقيق الوحدة الاسلامية المنشودة ، والخلافة الاسلامية المفقودة ، حتى يتخلص المسلمون من الاثم الذي لحقهم باضاعة هذا الواجب سنين عديدة ، مع أن رسولهم – ص – يقول : « من لقي الله وليس في عنقه بيعة لإمام ، مات ميتة جاهلية »[1] .

وهذا المجتمع العقائدي المتميز بأهدافه ومناهجه ، ومقوماته وخصائصه ، وافكاره ومشاعره ، وأخلاقه وآدابه ، ونظمه وتشريعاته ، لا يتصور أن يقيمه مجرد الاكثار من منشآت خيرية ، واصلاحات اجتماعية جزئية .

الاتجاه الثاني ومناقشته :

والاتجاه الثاني : يرفض مجرد المشاركة في اعمال الخير ، ومؤسسات البر ،

---

(١) : رواه مسلم .

والخدمة الاجتماعية . ويرى ذلك صارفاً عن الهدف الأساسي وهو اقامة الدولة الاسلامية . وعن العمل الاساسي وهو نشر الدعوة ، وتجميع الانصار والجنود عليها . كما أنها تخدر الجمهور عن الاصلاح الجذري الذي يجب أن يتم عن طريق الحكم الاسلامي .

وهذا هو رأي حزب التحرير كما سمعته من بعض رجالاتهم في الأردن منذ اثنين وعشرين عاما . فقد ناقشوني مناقشة حارة في ذلك ، واستنكروا أشـــد الاستنكار أن يشغل أصحاب الدعوة أنفسهم بغير الدعوة . وكان ردي عليهم يتلخص فيما يأتي :

١ — ان فعل الخير جزء من مهمة المسلم في الحياة . كما أمره الله . فقـــد قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهـــدوا في الله حق جهـــاده [1] » فعلاقة المسلم بربـــه العبادة . وعلاقته بمجتمعه فعل الخير . وعلاقته باعدائه الجهاد في الله . وفعـــل الخير داخل في قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى [2] » ، ولا يسع المسلم أن يعيش في قرية لا يجد مرضاها العلاج ، أو لا يجد أيتامها الكفالة ، أو لا يجـــد فقراؤها القوت ، ثم يقف متفرجا ، لا يمد إليهم بالعون يدا ، ولا يضمد لهم جرحا ، ولا يمسح دمعة !

٢ — ان هذا جزء من نشر الدعوة أيضا . فنشر الدعوة لا يتخذ صورة المحاضرة أو الحديث أو الكتاب فقط . فان مما يحبب فكرتك الى الناس أن تقدم اليهم عملا صالحا ، أو تسدي اليهم معروفا . فتفتح قلوبهم لحبك ، وعقولهم لفهمك ، وآذانهم للاصغاء اليك . وقديما قالوا : الانسان أسير الإحسان . وقال أبو الفتح البستي :

---

(١) سورة الحج : ٧٧ ، ٧٨ .
(٢) سورة المائدة : ٢ .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمو فطالما استعبد الانسان إحسان !

وروي عن الإمام الشافعي قوله :

اللهم لا تجعل لفاجر عليّ منة . فتجعل له في قلبي محبة !

ولقد رأينا ارساليات التبشير المسيحي تعتمد اعتمادا كثيرا على هذا الأسلوب فتؤسس مشروعا خيريا أو مستشفى أو نحو ذلك ، لتنفذ من ورائه الى نشر العقيدة الكاثوليكية أو البروستانتية .

كما أن في هذه الاعمال الاجتماعية مجالا للتعرف على أحوال الناس ، ودراسة مشكلاتهم . والاتصال اليومي معهم ، وهذا مهم لأصحاب الدعوات .

٣ — ليس كل أعضاء الحركة الاسلامية قادرين على نشر الدعوة باللسان أو القلم . فان مواهب الناس تختلف ، وقدراتهم تتنوع ، ولا عجب أن تجد كثيرين قادرين على العمل الاجتماعي ، غير قادرين على العمل الفكري ، فمن الخير أن يشغل هؤلاء بما يناسب استعدادهم وخبراتهم ، بدل أن يتركوا في فراغ ، فيملوا أو يفتروا ، أو ينقطعوا .

٤ — ان هنالك هدفا بعيدا هو الهدف الأساسي ، وهو اقامة المجتمع الاسلامي والحكم الاسلامي ، وهذا الذي ينبغي أن ينال القسط الأول من الاهتمام والجهود . ولكن بجواره أهداف قريبة يمكن تحقيقها بجهود أقل ، دون أن تؤثر على الأهداف الأساسية . وقد ضربت لذلك مثلا ببستان يغرس صاحبه فيه الشجر والنخيل ، وهذا هو الهدف الأساسي منه . ولكن حيث كانت بعض الأشجار تظل عدة سنين حتى تثمر . فان البستاني الناجح هو الذي يستغل الارض في زراعة بعض الخضروات السريعة الانتاج ، فيستفيد ويفيد ، ما دام ذلك لا يعوق خدمة الهدف الأساسي وهو الاشجار والنخيل .

أمور يجب أن تراعى :

على أن الضروري عند الاشتغال بالعمل الاجتماعي أن يراعى ما يلي :

١ — ألا تجعل الحركة هذه الأعمال والخدمات أكبر همها ، وشغلها الشاغل ، فتستغرق نشاطها ، وتستنفد جهودها وأموالها ، ولا يبقى لمهمتها الأصلية شيء إلا بقايا جهد ، أو بقايا نشاط ، أو بقايا مال . وانما تعطيها من ذلك القدر المناسب بغير جور على الجوانب الأخرى . ومن المهم جدا أن تمول الأعمال الاجتماعية والمؤسسات الخيرية من أموال أهل الخير وهم كثيرون في العادة . اما مال الحركة فيدخر للحركة نفسها . ان المؤسسات الخيرية تجد الكثيرين ممن يتحمسون للإنفاق عليها . اما الحركة الإسلامية فليس لها — بعد الله — إلا رجالها .

٢ — ايثار المؤسسات الثقافية على المؤسسات الاجتماعية المحضة . واعني بالأولى مثل المدارس والجمعيات العلمية ، والاندية والمراكز الثقافية ، والمكتبات وما شابه ذلك . لأن معركة الإسلام مع أعدائه اليوم معركة فكرية من الدرجة الأولى . وأخطر أنواع الاستعمار اليوم هو الاستعمار الفكري . وهو استعمار لا يحتل الأرض ، بل يحتل العقل ، ولا يستخدم المدفع ، بل يستخدم القلم ، ولا يقول للمسلمين : اعزلوا الاسلام عن الحياة ، بل يربي أبناء المسلمين على أفكاره ليقولوا هم ذلك بألسنتهم وأقلامهم . ولهذا نقول : إن المدرسة أهم من المستشفى ، والنادي الثقافي أهم من النادي الرياضي ، وجمعية لتصحيح أفهام الأحياء أهم من جمعية لتكفين أجساد الموتى !

٣ — ان يتم ذلك وفق منهج معلوم ، وخط مرسوم . وهذا يقتضي دراسة الأوضاع والظروف البيئية والزمنية والمادية والنفسية لكل حركة . فقد ينفع العمل الاجتماعي في بلد ، ويضر في آخر ؛ وقد يصلح لحركة في وقت معين ، ولا يصلح في وقت آخر . وقد يناسب عمل معين لملابسات خاصة دون غيره من الأعمال . فلا يجوز اصدار فتوى جامدة واحدة لكل حركة في كل البيئات وفي كل الأوقات . وفي كل الأحوال !

ضرورة الحركة الإسلامية

ان تحقيق الحل الاسلامي المنشود ، الذي يتمثل في بناء مجتمع اسلامي سليم وقيام حكم اسلامي رشيد ، واستئناف حياة اسلامية صحيحة ، لا يمكن أن يتم بالقرارات الحكومية الآلية ، ولا بالانقلابات العسكرية الثورية ، ولا بالوعظ والارشاد وحده ، ولا بالخدمات الاجتماعية الجزئية .

ان الحل المنشود لا بد أن تسبقه « حركة اسلامية » حركة واعية شاملة ، تمهد له ، وتدعو اليه ، وتعد له رجاله وأنصاره .

ان الدولة السنوسية سبقتها الحركة حركة دعوة واحياء وتجديد ، أو الدعوة السنوسية ، والدولة السعودية سبقتها الدعوة أو الحركة الوهابية ، وهكذا كل دولة تقوم على فكرة وعقيدة (ايديولوجية)

وبعبارة أخرى : ان الحل الاسلامي لابد أن يسبقه عمل اسلامي على مستواه

والعمل الاسلامي المطلوب لا بد أن يكون عملا جماعيا ، قائما على أساس من التنظيم التخطيط ، حتى يؤتي أكله ، ويحقق اهدافه .

ضرورة العمل الجماعي :

وانما قلنا بضرورة العمل الجماعي ؛ لأن هذا ما يفرضه الدين والواقع معا .

أ — فالدين يأمرنا بالاتحاد والتعاون على البر والتقوى ، وهذا من أخصّ أعمال البر والتقوى وأهمها وأشدها خطرا .

ب — والقرآن يطالبنا فيقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون [1] » والأمة ليست مجموعة أفراد متناثرين ولا مجرد جماعة ، قال في تفسير المنار : والصواب أن الأمة أخص من الجماعة ، فهي الجماعة ، المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص . »

ج — والقاعدة الشرعية تقرر : « أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب» واقامة مجتمع اسلامي تحكمه عقيدة الاسلام وشريعته ، أمر واجب ، ولا سبيل الى تحقيق هذا الواجب الا بجماعة وأمة .

د — والواقع يرينا أن المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، وان جهود الأفراد مهما توافر لها من اخلاص ، لا تستطيع أن تؤثر التأثير المطلوب لتحقيق الهدف المنشود ، لأنها ضعيفة الطاقة ، محدودة المدى ، وقتية التأثير . وقد يكون الأفراد كثيرين ، ولكن تعدد الاتجاهات ، واختلاف المسالك ، وفقدان الربط والتنسيق بين العاملين ، يبعثر الجهود ويضعف من تأثيرها . اما العمل الجماعي ، فيضم الجهود بعضها الى بعض ، وينسق بينها ، ويوجهها الى خدمة الهدف المقصود ، ويجعل من اللبنات الضعيفة بمفردها بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا .

هـ — واذا نظرنا الى القوى المناوئة للاسلام — على اختلاف اسمائها وأهدافها ووسائلها — وجدناهم يعملون في صورة جماعية وتكتلات وأحزاب وجبهات ، ولا يقبل — في ميزان الشرع ولا العقل — أن يقابل الجهد الجماعي المنظم ، بجهود فردية مبعثرة ، وانما يقابل التكتل بتكتل مثله أو أقوى منه ، ويقابل التنظيم بالتنظيم ، كما قال أبو بكر لخالد : حاربهم بمثل ما يحاربونك به ،

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

السيف بالسيف والرمح بالرمح والنبل بالنبل .

والى هذا يشير قوله تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير [1] » أي ان لم يوال بعضكم بعضا ، وينصر بعضكم بعضا ، كما يفعل الكفار ، تحدث الفتنة والفساد . لاتحادهم وتفرقكم وتناصرهم وتخاذلكم .

ضرورة التنظيم :

ولا بد للعمل الاسلامي المثمر من التنظيم . فلا يكفي أن يكون جماعيا حتى يكون منظما ، بل لايكون جماعيا حقيقة الا بتنظيم . والتنظيم يعني وجود قيادة مسئولة ، وجندية مطيعة . ونظام أساسي ينظم العلاقات بين القيادة والجنود . ويحدد المسؤوليات والواجبات ، ويبين الاحداث والوسائل ، وجميع مانحتاج اليهالحركة في ادارة اجهزتها . وأكتفي هنا بالحديث عن عنصري القيادة والجندية

القيادة المسئولة :

والاسلام يحرص على التنظيم في كل شيء حتى في الأمور العادية المتكررة مثل السفر ، وفي الجماعة الصغيرة التي لا يزيد عددها على ثلاثة . ففي الحديث النبوي « اذا كنتم ثلاثة فأمّروا أحدكم [2] » . وهذا رمز الى التزام التنظيم فيما هو أعظم وأكبر من الرفقة في السفر ، وفيما هو أكثر عددا وارفع شأنا من ثلاثة من المسافرين .

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .

(٢) رواه الطبراني من حديث ابن مسعود مرفوعا باسناد حسن ، كما في تخريج الاحياء للحافظ العراقي . وأخرج البزار والحاكم عن عمر : أنه قال : اذا كنتم ثلاثة في سفر ، فأمروا عليكم أحدكم . ذاكم أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره العراقي .

متى تكون القيادة شرعية :

ولا تكون القيادة شرعية حقا الا اذا جاءت نتيجة الاختيار الحر والبيعة الصحيحة ، لا بالضغط ولا بالمناورات .

والأصل في القيادة أن تكون فردية ، فهذا هو الموافق لظاهر النصوص والسوابق الاسلامية ، وهو الذي يجعل للقيادة سرعة الحركة ، والقدرة على تصريف الأمور .

ولكن لا مانع في بعض الظروف من وجود قيادة جماعية ، خروجا من خلاف واقع ، أو تفاديا لنزاع يتوقع ، أو ترقبا لقائد قوي ، أو نحو ذلك من الاعتبارات ، التي قد توجبها الضرورات ، فتقدر بقدرها ، ولا داعي للانفعالات والتشنجات ضد القيادة الجماعية ، اذا اقتضتها المصلحة في بعض الأحيان . فقد أجاز الفقه الاسلامي إقرار إمامة غير المجتهد ، بل إمامة الفاسق ، وإمامة المتغلب إذا كان من وراء الاقرار مصلحة أكبر ، وخيف من جراء الرفض مفسدة أعظم . وحيث تتحقق المصلحة فثم شرع الله .

والقيادة الشرعية هي التي تتخذ الشورى قاعدة لها فيما ليس فيه نص ثابت صريح ملزم لامعارض له ، وفيما له طبيعة الأمر العام الذي يهم جميع الناس أو جمهورهم ، وهو الذي جاء فيه قوله تعالى في سورة الشورى « وامرهم شورى بينهم » وفي سورة آل عمران « وشاورهم في الأمر » .

وهي التي تنزل عن رأيها الى رأي الأكثرية من أنصارها ورجالها ، وان خالف في ذلك من خالف من الفقهاء قديما ، ومن الدعاة حديثا . فالرأي الأرجح الذي يطمئن اليه القلب : أن الشورى ملزمة لأسباب واعتبارات أظهرها :

١ — ان هذا يتفق مع ماقرره فقهاء الأمة من تسمية أعضاء شورى المسلمين « أهل الحل والعقد » فاذا كان رأيهم غير ملزم ، ويمكن أن يضرب به عرض الحائط ، فماذا يحلون ويعقدون ؟ ! وقد فسر « أولو الأمر » في قوله تعالى :

« واولي الأمر منكم [1] » بهؤلاء ، فهم الذين يختارون الحاكم أو الأمير ، وهم الذين يراقبونه ، وهم الذين يعزلونه ... الخ .

٢ ــ ما فعله النبي ــ ص ــ في غزوة أُحد من الخروج إلى المشركين ، نزولا على رأي الأغلبية المتحمسة ، وما فعله عمر في قضية الستة أصحاب الشورى من التزام رأي الأكثرية العددية ، واعتبار عبدالله بن عمر مرجحاً ، اذا افترقوا إلى ثلاثة وثلاثة ، الخ واقرار الصحابة لذلك ، كل ذلك يدل على ان الشورى ملزمة ، وأن رأي الأغلبية معتبر .

٣ ــ ما ذكره ابن كثير في تفسيره نقلا عن ابن مردويه عن علي مرفوعاً في تفسير العزم في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله قال : العزم مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم » .

٤ ــ أن الاستشارة من غير التزام برأي المشيرين ، ولو كانوا جمهور الأمة أو أهل الحل والعقد فيها ، يجعل الشورى شبه « مسرحية » يضحك الحاكم المتسلط بها على الناس ثم ينفذ ما في رأسه هو ! .

٥ ــ ان تاريخ الاسلام في الماضي البعيد والحاضر القريب ، ينطق بأن الاستبداد بالرأي هو الذي قوض دعائم القوة والخير في حياة المسلمين ، وجرأ الطغاة على أن يعبثوا بمقدرات الأمة كما يشاؤون ، دون أن يخشوا شيئاً ، أو توجه اليهم كلمة ، لأنهم غير ملزمين بمشورة أحد أو رأيه ! .

٦ ــ ان الانسان بطبيعته ظلوم جهول ، ورأي الفرد لا يؤمن انحرافه ، لغلبة الهوى فيظلم ، أو غلبة الجهل فيضل ، ولهذا كان رأي الاثنين أقرب إلى الصواب ، وإلى العدل والعلم من رأي الواحد ، وان كان الخطأ من الجميع محتملاً .

---

(١) انظر : تفسير الرازي والنيسابوري والمنار للآية ٥٩ من سورة النساء .

٧ — ان الأغلبية التي تشير بالرأي تتحمل مسئوليته ، وتتقبل نتائجه أياً كانت ، وهذا ما يجعل الأمة شريكة الحاكم ، في الصواب والخطأ ، والخير والشر ، ويغرس فيها معاني القوة والكرامة والاحساس بالذات ، ويدربها على أن تقول « لا » بملء فيها ، وتلزم بها .

٨ — ان الالتزام بشورى الأغلبية وان كان فيه خلاف ، ينبغي أن يكون موضع اتفاق اليوم اذا تراضت عليه جماعة ما ، وتشارطوا على الأخذ بهذا الرأي ، فهنا يرتفع الخلاف ، ويصبح واجباً على الجميع ان ينفذوه ؛ لأنه نوع من الوفاء بالعهود التي امر الله برعايتها . وفي الحديث « المسلمون عند شروطهم » .

الجندية المطيعة :

والجندية التي نعنيها هي التي تنفذ ما تؤمر به ، ملتزمة طاعة القيادة في اليسر والعسر ، والمنشط والمكره ، متنازلة عن رأيها الفردي لرأي الجماعة ، ما لم يكن معصية بيقين ، فلا طاعة حينئذ لمخلوق في معصية الخالق .

وانما قلنا معصية «بيقين» لأن هناك أموراً مختلفاً فيها بين الحل والحرمة ، وفيها أكثر من رأي ، فلا يجوز للفرد أن يتصلب فيها ، ويتمسك برأيه الشخصي اذا الزمته الجماعة بغيره .

هب أن الحركة طلبت إلى شاب من أبنائها ألا يعفي لحيته لأنه في موقع ترى من المصلحة للدعوة التي يحملها ألا يظهر بهذا المظهر المميز الذي يجلب عليه شرا ، أو يعوقه عن الانتاج للحركة ، أو يسلط عليه أضواء قد تضر به وبدعوته . أو غير ذلك . وفقه الحركة في ذلك أن هناك من العلماء من قال بكراهة حلق اللحية . ومنهم — وهم الأكثر — من قال بحرمته .. فاذا أخذت برأي من يقول بالكراهة فقط . فان الكراهة تزول بادنى حاجة . فكيف اذا

كانت هذه الحاجة مصلحة الدعوة والجماعة ؟ .

وقد يكون الأمر حراما في ظاهره ، ولكن يضطر الانسان اليه ، تفادياً للوقوع في محرم أكبر ، وارتكابا لأخف الضررين ، واهون الشرين .

اضطرت يوماً احدى الجماعات الاسلامية المحافظة ان توصي بانتخاب امرأة مرشحة لرئاسة الجمهورية ، مع ما في ذلك من مخالفة لحديث « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . ولكنها لجأت إلى ذلك لتسقط في الانتخاب طاغية من الرجال ، تخشى شره على البلد ، وعلى الاسلام والمسلمين . وانتخاب المرأة للرياسة العامة حرام ، وانتخاب الطاغية المتجبر لها حرام أيضاً . ولكن المرأة الضعيفة أقل ضرراً ، وأهون شراً من الرجل الطاغية ، وادنى ما في الأمر ان التخلص منها أسهل وأيسر ، والتخلص من الطاغية من العسر والصعوبة بمكان . ولكن الذين يأخذون الأمور بدون تعمق وتأمل أنكروا على الجماعة الاسلامية موقفها ، وشنعوا بذلك عليها . مستعملين عواطف الدهماء من المسلمين الذين لا يقدرون على الموازنة بين المصالح والمفاسد .

ضرورة التخطيط :

ومعنى التخطيط : الا تدع الحركة نفسها للظروف والمصادفات تسيرها سيراً عشوائياً اعتباطياً ، تعمل ما لا تريده ، وتريد ما لا تعمله ، وتدفع دفعاً إلى السير في غير طريقها ، وانما يجب ان تسير في خط واضح المعالم . محدد المراحل ، بين الأهداف ، معلوم الوسائل .

وليس هذا من التهجم على الغيب ، او التألي على الله ، أو المعارضة للقدر ، كما قد يفكر بعض عوام المتدينين ، فان الاسلام يدعو الانسان إلى أن يأخذ من يومه لغده ، ومن شبابه لهرمه ، ومن صحته لسقمه ، ومن فراغه لشغله . وهذا كله نظر إلى المستقبل .

وقد قص علينا القرآن قصة يوسف عليه السلام ، وفيها تخطيط اقتصادي تمويني لمدة خمس عشرة سنة ، قام عليه النبي الكريم يوسف تفكيراً وتنفيذاً . ولا يضيرنا أن مصدر هذه الخطة من الهام الله ليوسف وتعليمه اياه من تأويل الأحاديث والرؤى . فهذا لا تأثير له في الحكم المستنبط من القصة ، وهو شرعية التخطيط للمستقبل ، الذي ذكره القرآن في معرض التمدح والامتنان .

والمتأمل في سيرة النبي — ص — يرى أن مراحلها وخطواتها لم تمض ارتجالا ، ولم تتم اعتباطاً ، بل تمت بعد تفكير وتدبير يسدده الوحي عند الاقتضاء .

فاذا نظرنا إلى هجرة أصحابه إلى الحبشة أو هجرتهم وهجرته إلى المدينة وجدنا خطة واضحة وراء ذلك ، لا يصعب على الدارس استبانتها . والا فلماذا أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة خاصة ؟ لماذا لم يختر لهم بلداً قريباً أو ارضاً عربية ؟ ولماذا أذن للبعض بالهجرة دون البعض ؟ ولماذا لم يلحق بهم مهاجراً إلى الحبشة ؟ . ان الجواب عن هذا كله يدل على أن الأمر لم يكن مرتجلا ، بل وراءه هدف وخطة .

والتخطيط يعني التفكير المادىء ، والدراسة المستوعبة لكل عمل يريد الانسان أن يقدم عليه حتى يمضي فيه على هدى وبينة ، ويمشي على صراط مستقيم .

ولا نجد ديناً دعا إلى التفكير كالاسلام ، الذي اعتبر التفكير فيه فريضة وعبادة .

ودعا إلى دراسة كل أمر ذي بال يقدم عليه المسلم ، ومن هنا جاء الأمر بالشورى والحث عليها ، ووُصفَ المؤمنون بأن أمرهم شورى بينهم . والفرد المسلم مطالب بأن يستشير في أموره الخاصة حتى لا يندم ، فكيف بالأمور الكبيرة ، والشئون العامة ؟ .

ولطالما سمعنا الشكوى تلو الشكوى من الخطط الجهنمية المحكمة التي تحاك للاسلام وأمته ودعاته . ولطالما اعتذر أهل الاسلام ورجاله عندما تصيبهم المحن والفتن ، أو تأخذ بخناقهم الأزمات والشدائد ، بأن هذا من مخططات اعداء الاسلام ، فالصهيونية تخطط ، والشيوعية تخطط ، والصليبية تخطط ، والاستعمار بمختلف ألوانه يخطط ، حتى الوثنية تخطط ، والجميع يخططون لضربنا نحن ، وتعويق حركتنا حتى لا نسير ، واذا سرنا كان سيرنا في غير الطريق الموصل إلى الهدف ، واذا سرنا في الطريق ملؤوه بالحفر والحجارة والمعوقات ، حتى تتحطم قوانا قبل الوصول إلى ما نريد .

ولكن إلى متى نظل نحن الأمة التي يخطط عدوها لضربها فينجح ؟ . لماذا لا نخطط نحن لأنفسنا ؟ لماذا لا نفسد على عدونا خطته ؟ اليس لنا عقول كما لهم ؟ ! اليست لدينا طاقات وامكانات قد لا تتوافر كلها لديهم ؟ ! اليس لنا عقيدة تمدنا بالهداية ، وتاريخ يمدنا بالقوة ، وحضارة تشعرنا بأننا أهل لأن نسود ونقود ؟ ! بلى والله .

إن الذي ينقصنا هو جدية التفكير ، وجدية العمل ، وصدق الاتجاه ، وتجميع المواهب والقدرات لتنظر بأناة ، وتفكر بهدوء ، وتوازن بحكمة ، منتفعة بتجارب التاريخ ، ومستقرئة لنماذج الواقع ، غير متعصبة لقديم ، ولا مفتونة بجديد . وحينئذ سننتهي لا محالة إلى خير كثير ، وتخطيط سليم ، على قدر جهد بشر غير معصومين .

عناصر التخطيط المرجو :

والتخطيط الذي نريده للحركة الاسلامية يقتضي تحديد عدة امور :

١ ــ تحديد الأهداف التي تسعى الحركة إلى تحقيقها ، مرتبة حسب الأولية ، مع وجوب التمييز بين الأهداف الأساسية والأهداف الثانوية ، وبين

الأهداف القريبة ، والأهداف البعيدة ، وبين الأهداف المرحلية والأهداف الثابتة .

٢ ــ **تحديد الوسائل** إلى هذه الأهداف ، سواء كانت وسائل ثقافية وفكرية ، أم وسائل عملية وتربوية ، أم وسائل سياسية ، أم وسائل عسكرية ، أم غير ذلك من الوسائل .

وقد تأخذ بهذه الوسائل كلها ، وقد تأخذ ببعضها دون بعض ، وقد تأخذ ببعضها في مرحلة دون أخرى .

ويجب ــ بصفة عامة ــ أن يراعى في وضع الوسائل للغايات والأهداف ما يــلي :

أ ــ ان تكون الوسائل مشروعة في نظر الاسلام ، فالاسلام لا يرى الوصول إلى الحق بطريق الباطل ، فان الله طيب لا يقبل الا طيباً ، ونظرية « الغاية تبرر الوسيلة » مرفوضة شرعاً .

ب ــ ان تكون ملائمة لطاقة الحركة ، وظروف المجتمع ، فمن الوسائل ما لا يقدر عليه ، ومنه ما يحمد في بيئة دون أخرى .

جـ ــ ان تكون مرنة ، قابلة للتطوير والتغيير ، عند تغير الظروف الزمنية أو البيئية ، فليست الوسائل أبدية .

د ــ مراعاة التدرج فيما يحتاج إلى تدرج ، اقتداء بمنهج التشريع الاسلامي في فرض الفرائض وتحريم المحرمات .

هـ ــ أن تكون واقعية بحيث تضع المعوقات والموانع في الحسبان .

٣ ــ **تحديد المراحل** : مرحلة التعريف والتبليغ .. مرحلة التكوين واستخلاص العناصر .. مرحلة الصراع والامتحان .. مرحلة النضج والتمحيص .. مرحلة الترقب والوصول ..

وليست هذه المراحل مرتبة ترتيباً آلياً ، كل واحدة تلي الأخرى حتماً ، فقد يبدأ التعريف والتكوين في وقت واحد ، وقد يتأخر الثاني عن الأول . وقد يبكر الصراع عن موعده . وقد يتأخر . فالعوامل المتحكمة في سير الأحداث كثيرة : منها ما يحسبه الناس وما لا يحسبونه . والذين تنبؤوا بحتميات معينة ، أخطؤوا الحساب ، وكذبهم التاريخ .

٤ – **تحديد المواقف** : موقف الحركة من الأديان الأخرى .. من العقائد اللادينية .. من الأحزاب السياسية .. من الجماعات الدينية .. من المذاهب الفقهية .. من الحكومات الوطنية ، من استخدام القوة . من القوى العالمية .. من الحركات القومية ... من الانقلابات العسكرية .. من الانتخابات النيابية .. الخ على ان يتسم هذا التحديد بوضوح الرؤية . وسعة الأفق . والبعد عن المؤثرات العارضة ، والتفرقة بين المواقف « الاستراتيجية الثابتة » والمواقف « التكتيكية » المرنة . ولا بد ان يتم ذلك كله بعد دراسة فاحصة ومقارنة على أعلى المستويات ، وادق الاختصاصات في الحركة . ولا بأس ان تستعين بكل ذي خبرة في ذلك .

ما لا يدخل في التخطيط :

ولا يدخل في التخطيط ما يراه بعض الناس من تبني أحكام تفصيلية في كل قضية من قضايا الفقه والتشريع . في كل المجالات : السياسية ، والاقتصادية ، والمالية ، والادارية المدنية والدَّوْلية ، فان في هذا تحجير ما وسع الله ، وإلزام الأمة بما لا يلزمها ، وتحكما في تقدير أمور لم تحدث بعد ، ولا ندري حين تقع ، ماذا يكون حجمها وأثرها ووقعها وملابساتها .

كما أن كثيراً من هذه المسائل تحتاج إلى « اجتهاد جماعي » من اهل الاختصاص الجامعين لشروط الاجتهاد ، أما رأي يصدر عن فرد أو اثنين أو ثلاثة لا يدري من هم ، ثم تلزم به الأمة ، فشيء لا يقبل ، ولهذا رأينا كثيراً

من هذه الآراء المتبناة غاية في الغرابة ، وضيق الأفق في النظرة إلى الشرع وإلى الحياة .

وفي مقابل هؤلاء رأي مضاد لهم على طول الخط ، يرى أن من العبث مجرد عرض أسس النظام الاسلامي ، أو مجرد الاسهام فيما يسمى « تطوير الفقه الاسلامي » . وحجة هذا الرأي أن الناس يجب أن يؤمنوا أولا بالاسلام ، وبحاكمية الله . فان فعلوا كان من اليسير تقديم نظام الاسلام ، وتشريع الاسلام ، عندما يقوم مجتمع الاسلام .

وفي هذا الرأي من الغلو مثل ما في مقابله . ودعوة الناس إلى الاسلام قد تكون بعرض عقيدته ، وقد تكون بعرض نظامه للحياة ، وبيان ما في العقيدة أو النظام من مزايا وحسنات ، تجمع للناس خيري الآخرة والأولى .

فجماهير الناس في بلادنا مؤمنة بعقيدة الاسلام ، ولكن بعض المثقفين منهم بلبلت أفكارهم في صلاحية نظامه للحياة المعاصرة ، والمجتمع المتطور ، فمن الرفق بهؤلاء أن نقدم لهم النظام مبينين محاسنه ، حتّى نطرد الشك باليقين .

والخير عندي هو الوسط : أن يقوم علماء الحركة الاسلامية بصفاتهم الشخصية بعرض أسس النظام الاسلامي ، بل بتوضيح خطوطه التفصيلية ما استطاعوا ، واعداد دراسات علمية مستفيضة في كل جانب ، ففي ذلك خدمة للحاضر ، وتحضير للمستقبل ، والأمر يحتاج إلى مجال أوسع لمناقشته . وفي هذه الاشارة ما يكفي الآن .

التخطيط والقدَر :

وأود أن أنبه هنا إلى أمر ، هو أن التخطيط السليم لا يقتضي — بالضرورة — الوصول إلى الهدف .

والتأخر في الوصول إلى الهدف لا يعني خطأ الحركة ، أو عدم سلامة التخطيط ، أو استقامة الخط . فان المعوقات كثيرة ومتنوعة ، وليس زمامها بيد الانسان حتى يذللها لارادته . وانما هو بيد القدر الأعلى . ورحم الله شوقي حين قال :

قدّرت أشياء وقدّر غيرهـــــا قدر يخط مصاير الإنسان !

إن على الانسان أن يعمل ، وليس عليه أن ينجح . وقديماً أدرك الناس ذلك فقال شاعرهم :

عليّ السعي فيما فيـــه نفعـــي وليس علي ادراك النجاح !

وليس من الصواب قياس خيرية الأعمال وشريتها ، أو حقية المناهج وبطلانها ، بنتائجها وثمراتها ، فالعمل خير اذا جاء بنتائج حسنة ، وشر اذا لم يجيء بذلك . والمنهج حق اذا أثمر النجاح وباطل اذا لم يحققه . كما هو مذهب « البراجمانية » .

المطلوب من الانسان أن يبذر الحب ويرجو الثمار من الرب . ليست هذه صوفية ، ولكنها واقعية .

وقد يختار الانسان الحب الجيد ، فيبذره في التربة الجيدة ، ويتولاه بالسقي والتسميد والرعاية المستطاعة ، حتى ينبت وينمو ويترعرع ، فما يكاد يبدو نوره وزهره حتى تعصف به الرياح فتحرقه ، أو تنزل به الآفات السماوية فتهلكه . فماذا عسى أن يوجه إلى هذا الزارع من ملام ، وليس بيده تصريف الرياح ، ولا ابعاد الآفات ؟ ! .

ولقد لقيت أناساً في الأردن منذ ٢٢ اثنين وعشرين عاما يقولون : ان الحركة التي لا تنتصر في ثلاثة وعشرين عاما — وبعضهم قال في ١٣ ثلاثة عشر عاماً — لا بد أن يكون سيرها غلطاً ، وطريقها خطأ .

وانما قدروا هذه المدة لأنها الزمن الذي عاشته الدعوة المحمدية حتى تم لها النصر والفتح واقامت دولة الله في الأرض .

وأذكر مما قلت لهم يومئذ : ما قولكم في سيدنا نوح عليه السلام ؟ .

قالوا : رسول من الله ، ومن أولي العزم من الرسل .

قلت : وكم مكث يدعو قومه إلى دعوته ؟

قالوا : الف سنة الا خمسين عاماً ، كما ذكر القرآن .

قلت : هل نجح في دعوته اذا كانت الدعوات تقاس بالنتائج ؟ .

قالوا : ما آمن معه الا قليل .

قلت : لقد ذكر القرآن على لسانه قوله : « رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي الا فرارا . واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا [1] » يعني انهم بلغ بهم الاعراض عنه انهم لا يريدون أن يسمعوا صوته ، ولا أن يروا شخصه !

ورغم تطاول القرون ، وظهور أجيال بعد أجيال . جاء اللاحق كالسابق في الكفر والفجور ، حتى قال نوح لربه : « انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً [2] .

هذا مع حسن دعوته واستمراره عليها ، وتلوينه لأساليبها وأوقاتها ، كما قال القرآن عنه : « ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم

---

(١) سورة نوح : الآيات ٥ — ٧ .
(٢) سورة نوح : ٢٧ .

مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً [٣] ..».

ترى هل كان نوح يسير في دعوته على صواب أم على خطأ ؟ .

ان الذي يحكم على الدعوات بنتائجها يخطّىء شيخ المرسلين نوحا عليه السلام ، مع أنه بلّغ فأحسن ، وجادل فأفحم ، حتى قال له المشركون يوماً بعد أن غُلِبوا وانقطعوا :

« يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين [٤] » .

مهمة الحركة الاسلامية :

لقد أصبح من الضروري إذن أن تقوم في كل بلد اسلامي « حركة اسلامية» واعية شاملة ، تحمل عبء الدعوة إلى تطبيق النظام الاسلامي ، واحياء المجتمع الاسلامي ، وتكوين الجيل المحمدي ، الذي يمهد السبيل للعودة إلى حكم القرآن ودولة الاسلام .

ولا شك أن حركة كهذه لا بد أن تكون مهمتها ثقيلة وخطيرة ، ولا يقوم بها ، ويصبر عليها الا أولو العزم من الرجال الذين باعوا أنفسهم لله ، ووهبوا حياتهم لنصرة دينه ، غير مبالين بما يصيبهم من نصب أو بلاء في سبيل الله .

ان مهمة الانسان في الحياة مهمة كبيرة لمن يقدرها حق قدرها ، لأنها مهمة الخلافة في الأرض والعبادة لله ، والعمارة للحياة . وهي مسئولية ضخمة صوّر القرآن ضخامتها وثقلها حين قال : « انّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض

---

(١) سورة نوح : ٨ — ١٢ .
(٢) سورة هود : ٣٢ .

والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان [١] » .

ومهمة الانسان المسلم أعظم وأضخم من مهمة أي انسان آخر ، فقد ورث المسلم تركات الأنبياء والرسل جميعاً ، واختص الله أمة الاسلام بالرسالة الخاتمة ، والشريعة العامة الخالدة ، وكلفهم — مع تنفيذها والعمل بها — تبليغها ونشرها والدفاع عنها ، وهداية العالم اليها ، لتتحقق بها رحمة الله للعالمين . وإنها لتبعة عظيمة ، ومسئولية ثقيلة ، ولا غرو أن خاطب الله صاحب هذه الرسالة بقوله « انّا سنلقي عليك قولا ثقيلا [٢] » .

ومهمة المسلم الحريص على دينه ، الغيور على أمته ، في هذا الزمن — زمن الفتن وغلبة الشهوات على الأنفس ، والشبهات على العقول ، والماديات على الحياة — أصبحت أشد ضخامة ، واعظم ثقلا . فقد بات القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأصبح الدعاة إلى الاسلام الحق غرباء وهم في أوطانهم ، وأصبح الدعاة إلى الالحاد والاباحية والمذاهب المستوردة ، يجهرون بدعواتهم غير هيابين ولا وجلين ، لأنهم مسنودون من جهات متعددة ، ومن قوى مختلفة ، ظاهرة وخفية ، في الداخل والخارج ! ولهذا ورد في الحديث : أن للعامل في مثل هذا الزمن أجر خمسين من العاملين قبله [٣] . وذلك لأنهم كانوا يجدون على الخير اعواناً ، ولا يجد على الخير أعواناً .

وكل هذا يجعل مهمة أية حركة إسلامية في عصرنا — الذي تداعت فيه الأمم على الاسلام تداعي الأكلة إلى قصعتها [٤] — غاية في العظم والخطورة .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢) سورة المزمل : ٥ .

(٣) كما يدل على ذلك حديث أبي ثعلبة الخشني عن ابي داود والترمذي وابن ماجه . اليه : « فان من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » وحسنه الترمذي .

(٤) اشارة الى حديث رواه ابو داود عن ثوبان مرفوعا

ويوجب عليها العمل الدائب ليل نهار ، والجهاد الدائم في كل ميدان ، وسد الثغرات المفتوحة هنا وهناك ، واليقظة للأعداء المتربصين في الخارج ، والتنبه للقوى العميلة في الداخل ، حتى تستطيع تحقيق اهدافها،واحباط مؤامرات خصومها .

متى تنجح الحركة الاسلامية :

وانما تنجح الحركة الاسلامية في تحقيق الحل الاسلامي ، واقامة المجتمع الاسلامي ، واستئناف حياة اسلامية . اذا توافر لها أمور ثلاثة :

١ — جيل مسلم :

الأول : جيل مسلم تقوم الحركة على تكوينه تكويناً اسلامياً صحيحاً متكاملاً . يكون هذا الجيل بمثابة الدعائم أو الركائز للمجتمع الاسلامي المنتظر .

واذا كان دعاة الاشتراكية يصرون على أن المجتمع الاشتراكي لا يبنيه الا الاشتراكيون فدعاة الاسلام أولى أن يقولوا : ان المجتمع المسلم لا يبنيه الا الاسلاميون .

ولهذا لم يقم المجتمع الاسلامي والحكم الاسلامي في المدينة ، الا بعد تكوين الجيل الاسلامي الأول في مكة ، وعلى مناكب هؤلاء ومن انضم إليهم من خيار الأنصار قامت الدولة المسلمة .

ولقد سئل أحد الدعاة الاسلاميين يوماً : كيف يتصور قيام حكم اسلامي راشد ؟ .

فأجاب : بأحد طريقين : اما أن ينتقل الايمان إلى قلوب الحاكمين ، واما أن ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين .

ولو أن الايمان يسهل انتقاله إلى قلب الحاكمين بالفعل ، لاختصرت الطريق اختصاراً ، وكفى الله المؤمنين القتال .

ولكن يبدو أن هذا ليس أكثر من حلم لذيذ ، لا يمت إلى الواقع بصلة ، فان من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه . وهؤلاء الحكام قد شبوا وشاخوا على العلمانية ، وتتلمذوا صغاراً وكباراً على الفكر الغربي بشقيه . فهيهات هيهات أن يولوا وجوههم شطر غيره ، ولو كان هذا الغير هو دينهم الذي ورثوه عن آبائهم ، والذي ارتضى الله لهم ، وارتضوه — نظرياً — لأنفسهم .

فلم يبقَ — اذن — الا الشق الثاني ، وهو : ان ينتقل الحكم إلى ايدي المؤمنين أيدي الجيل المسلم ، الذي آمن بالاسلام عقيدة وعبادة وخلقاً ورابطة ونظام حياة .

يشترط في هذا الجيل أن يتميز بعدة صفات :

الأولى : الايمان العميق بالرسالة ، وسمو أهدافها ، وسلامة طريقها ، وانتصارها . وهذا أساس العمل كله .

الثانية : أخلاق الايمان من التضحية والايثار ، والصبر والشجاعة والبذل ، والاخلاص والصدق ، بحيث لا يغريه وعد ، ولا يثنيه وعيد ، ولا يقعد به شح هالع ، ولا جبن خالع . وهذا يحتاج إلى تربية مدروسة ، طويلة المدى ، عميقة الجذور ، يقوم عليها رجال « ربانيون » .

الثالثة : الوعي الشامل : وعي الرسالة ، ووعي الذات ، ووعي الموقف . وبهذا يعرف فكرته ورسالته ، ويعرف نفسه وموقعه ، ويعرف عدوه وصديقه . وهذا يتطلب مدداً دائماً من التثقيف المركز المتكامل ، ما بين شرعي وحركي وسياسي .. الخ ، بحيث تكون دعوته « على بصيرة » كما أمر الله تعالى .

الرابعة : الترابط الوثيق على هذه الدعوة ، ترابطاً يعلو على كل الروابط

العنصرية والإقليمية والطبقية والأسرية .

الخامسة : الاستمرار في حمل الدعوة ، والعمل الدؤوب على نشرها وكسب الأنصار والجنود لها ، بغير كلل ولا ملل ولا يأس ولا توقف ، مهما ساءت الظروف . ورحم الله يوسف الصديق الذي لم يمنعه السجن عن نشر دعوته بين السجناء .

السادسة : الانتشار في عامة القطاعات والمجالات ، الشعبية والرسمية ، والمدنية والعسكرية . .

السابعة : أن يضم هذا الجيل عدداً كافياً من المفكرين والقياديين من ذوي النبوغ والكفاية ، وأصحاب المواهب والقدرات العالية في كافة التخصصات والمجالات : العلمية والأدبية والنظرية والعملية ؛ يكونون أهلا لثقة الشعب ، والنهوض بعبء بناء المجتمع الجديد .

٢ ـ قاعدة جماهيرية اسلامية :

والأمر الثاني : الذي يجب أن يتوافر للحركة الاسلامية الناجحة وجود قاعدة جماهيرية لها من كافة طبقات الشعب . وذلك عن طريق تكوين رأي عام اسلامي يناصر الفكرة الاسلامية ، يحب دعاتها ، ويكره اعداءها ، ويحرص على انتصارها .

فلا يكفي أبداً أن تربي الحركة جيلا مسلماً مخلصاً . لا يحس به الشعب ، ولا يعرفه ولا يتحمس له ، لأنه في عزلة عنه ، يكلمه من بعيد ، وينظر اليه من فوق ، كأن هذا الشعب لا يتكون من ابن عمه وأخيه ، ومن جيرانه وذويه ، وفصيلته التي تؤويه . حسبه أن يعيش في خلوته الروحيه يعبد ربه ، أو في خلوته الفكرية يقرأ كتابه ، تاركاً الناس يواجهون مشاكلهم وحدهم . مع ان الآخرين من أصحاب العقائد والمذاهب لن يتركوهم . بل سيحاولون أن يكسبوهم إلى

جانبهم . ومع ان المفروض ان يكونوا مع الإسلام ودعاته .

لا بد اذن من العناية بمشكلات الشعب ، وان ننزل نحن اليه ، لا ننتظر صعوده إلينا . ولا بد من كسبه إلى جانب الحركة الاسلامية .

وهذا يتطلب تصحيح الأفهام المغلوطة التي راجت لدى المتعلمين العصريين من مثل : فصل الدين عن الدولة وعزله عن الحياة ، والخلط بين مفاهيم التحرر والتحلل ، والايمان بالعلم مقابل الايمان بالدين ، وتصور الدين معوقاً للعمل للحياة والاستمتاع بالطيبات ، واشاعة الماركسيين أن الدين مخدر الشعوب . إلى غير ذلك من الأفكار والمفاهيم التي تقف حجر عثرة في طريق الدعاة إلى حكم الاسلام .

ومما يساعد الحركة الاسلامية على تكوين هذه القاعدة الجماهيرية المتغلغلة في قوى الشعب المختلفة ، أن شعوبنا لا زالت — بحمد الله — مع الاسلام ، حتى الذي ينحرف عن الاسلام بسلوكه ومعاملته ، تجده مع الاسلام بعاطفته وقلبه ، ما زالت كلمة « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » تلمس في أعماق المسلم وتراً حساساً ، وتهز فؤاده هزاً عميقاً .

وما زالت آيات القرآن الكريم هي التي يرتعش لها كيان المسلم كله ، كلما خاطبه بها داعية مخلص .

٣ — التغلب على المعوقات :

الأمر الثالث الذي يجب أن يتوافر لنجاح الحركة الاسلامية هو التغلب على المعوقات والموانع التي تقف حائلاً بينها وبين الوصول إلى أهدافها وغاياتها بكل سبيل . اذ لا يكفي لقيام أمر ما ان تتحقق موجباته ، بل لا بد أن تنتفي معوقاته أيضاً ، أو كما يقول أهل الأصول والفقه : وجود المقتضي وانتفاء المانع .

ولا ريب أن هناك معوقات شتى تعترض طريق الحركة الاسلامية ، لا بد من مراعاتها ودراستها ومحاولة التغلب عليها .

معوقات من جهة الشعب :

هناك معوقات شعبية نفسية تعزل مجموعة من الجماهير المسلمة عن الحركة الاسلامية ينبغي أن نضعها في الاعتبار .

من أهم هذه المعوقات :

١ ـ الجهل بالاسلام ، وبالدعوات المنافية للاسلام ، وبحقيقة الحركة الاسلامية .

٢ ـ اليأس من انتصار الحركة الاسلامية ، والاعتقاد بأنها حركة لا مستقبل لها .

٣ ـ الخوف من الاضطهاد المتكرر ، والضربات الوحشية المتلاحقة للأعضاء والمناصرين ، حتى المساندين من بعيد .

وعمل الحركة هنا هو مقاومة الجهل بالعلم ونشر الوعي الصحيح .

ومقاومة اليأس ببث الأمل، وزرع الرجاء، مع التنبيه على ضرورة العمل ووجوب السعي والمحاولة أيا كانت النتائج .

ومقاومة الخوف بتقوية الايمان ، الذي يهون كل تضحية في سبيل الله .

معوقات مادية من جهة القوى المناوئة :

وهناك معوقات مادية تتمثل في القوى المناوئة للعودة إلى حكم الاسلام ، والتي تعمل بكل قوة ، وبأية وسيلة ، لاجهاض أية محاولة جادة وصادقة

لتحقيق هذه العودة المفروضة على المسلمين بحكم ايمانهم . من هذه المعوقات :

أ ـ وجود نفوذ أجنبي قوي ، وخصوصاً اذا كان يتمثل في وجود عسكري . فهذا لا يسمح قط بانتصار الحركة الاسلامية ، مهما كلفه ذلك من تضحيات . ولهذا كان تحرير البلد من السيطرة الأجنبية شرطاً لازماً لتحقيق الحل الاسلامي .

ب ـ وجود حكم عسكري علماني متمكن . فهو ايضاً لا يسمح للحركة الاسلامية بالوجود ، فضلا عن ان يسمح لها بالانتصار . ولهذا كان التحرر من طغيان الحكم العسكري المتسلط ضرورة اسلامية ووطنية . وشرطاً لنجاح الحركة الاسلامية .

جـ ـ وجود ظروف اقليمية أو دولية معاكسة ، وخصوصاً أننا نعلم أن القوى العالمية المتصارعة فيما بينها إلى حد الاقتتال ، على أتم الاستعداد لأن تتصالح وتتصافح ، وتتساند وتتعاضد ، إذا كان العدو هو الاسلام ، وكان الخطر من جهة الاسلام . وصدق ما قاله فقهاؤنا : الكفر كله ملة واحدة ، وصدق الله قبل ذلك حين قال « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض [1] » « وان الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين » [2] .

معوقات من داخل الحركة نفسها :

وهناك معوقات أخرى لعلها أشد خطراً من تلك المعوقات التي أشرنا اليها . ونعني بها : المعوقات التي تبرز من داخل الحركة نفسها . ومنها :

ـ اختلاف الكلمة ، فان من أهم مميزات الجماعة المسلمة قوة الرابطة

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .
(٢) سورة الجاثية : ١٩ .

بين أبنائها ؛ لأنها تقوم على وحدة العقيدة ، ووحدة المفاهيم ، ووحدة الهدف ، ووحدة التنظيم ، بجانب المعنى الروحي الذي ينبع من الايمان ، ويجعل كل أخ عند أخيه بمنزلة نفسه . فاذا انعدمت هذه الميزة فقد فتحت على نفسها باب وهن وضعف لا يسده شيء .

فتصبح الحركة الواحدة المنسجمة في الظاهر ، مجموعة حركات متباينة في الواقع ، نتيجة لاختلاف المفاهيم ، أو اختلاف الولاءات ، أو اختلاف المطامع ، أو غير ذلك ، مما يصدع بنيان الوحدة الفكرية والشعورية ، ثم السلوكية والتنظيمية في الحركة ، وهذا هو سبيل الفشل ، وبداية الانهيار ، ومفتاح الطريق للعدو ليتسلل ويضرب من الداخل وهو آمن . وهذا ما حذر منه الله ورسوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم [٣] » . وقد كان مؤسس الحركة الاسلامية الحديثة الشهيد حسن البنا كثير التحذير لأتباعه من الاختلاف والتفرق ومما كان يقوله لأتباعه :

أنا لا أخشى عليكم من اعدائكم ، بل أخشى عليكم من أنفسكم .. لا أخشى عليكم الانجليز ولا الامريكان ولا الروس ولا غيرهم . وإنما أخشى عليكم أمرين :

١ — ان تتخلوا عن الله تعالى ، فيتخلى الله عنكم .

٢ — أو ان تتفرقوا فيما بينكم ، فلا تجتمعوا إلا بعد فوات الفرصة .

ب — حب الدنيـــا :

وهو في الدعوات الربانية رأس كل خطيئة ، وأصل كل مفسدة ، فان الأصل في قيام الحركة انها عبادة لله ، واداء لفريضة الجهاد والدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعبادة يجب أن تكون خالصة لله من شوائب

---

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

الشرك والوثنية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . والوثنية ليست عبادة صنم من الحجر أو غيره فحسب ، بل عابد الدينار أو الدرهم عابد وثن ، وعابد متاع الدنيا وزينتها عابد وثن .

ومن خلال حب الدنيا تتفتح منافذ واسعة لشياطين الجن وشياطين الانس ينفذون منها إلى قلوب الدعاة ، فيسيل لعابهم الى المناصب ، وتتطلع نفوسهم الى المكاسب ، وهذا مكمن الداء ، وسر الوهن الذي يضعف الأفراد والأمم وهو ما نبَّه عليه النبي — صلى الله عليه وسلم — حين حذر من الوهن فسئل : «ما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» . رواه أبو داود

جـ — حب الذات :

وهو فرع عن حب الدنيا ، أو جزء منه . ونعني به : أن يحرص عضو الحركة على البروز والظهور ، والا يعمل الا في الصدارة والصفوف الأولى ، وان يجري وراء بريق الشهرة والبحث عن الأضواء ، واذا أتيح له مكان بارز يوما ، استقتل للبقاء فيه ، وازاحة كل منافس من طريقه ، وتحطيم كل شخصية يخشى أن تزاحمه . ولهذا قيل : حب الظهور كم قصم الظهور . وهذه هي آفة الآفات في كثير من البارزين من رجال الدعوات الربانية حتى الصوام القوام منهم : أن يذكروا ذواتهم وينسوا ربهم ، مع إعلانهم المتكرر بأن الله هو الغاية وأن رضوانه هو المنتهى . ومع علمهم بأن مقامهم عند الله لا ينال بالشهرة ولا بالمنصب « فرب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » . وانما تنتصر الرسالات بالجنود المجهولين الذين جاء فيهم الحديث الشريف « ان الله يحب الابرار الاتقياء الأخفياء ، الذين اذا حضروا لم يعرفوا ، واذا غابوا لم يفتقدوا . » والحديث الصحيح الآخر : « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان في الحراسه كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » يعني انه مغمور خامل الذكر ، لا يشار اليه بالأصابع ، ولا يقيم المجتمع له وزنا .

ان حب الذات حينما يتمكن ويسيطر على النفس يصبح عبادة للذات . أو عبادة للهوى ، والهوى شر إلّه عبد في الأرض .

د ـ العزلة عن قوى الشعب :

ونعني به أن « تتقوقع » الحركة ، وتنغلق على نفسها ، تقيم بينها وبين الناس حجابا أو حجبا ، فبدل أن تكون حركة المسلمين جميعا . تغدو حركة فئة محدودة من الفئات . أشبه ما تكون بفرقة دينية . لها مذهبها ووجهتها الخاصة . في حين أنها تعبر عن الاسلام العام ، اسلام القرآن والسنة ، وعن أمة الاسلام في كل دولة وقد تعين الحركة على نفيها وزيادة عزلتها بأمور ، منها :

١ ـ نزعة الاستعلاء على الجماهير المسلمة ، ومخاطبتها من عل ، باعتبارها ضالة هالكة مع ما جاء في الحديث الصحيح : « اذا رأيت الرجل يقول : هلك الناس ، فهو أهلكهم » ! بضم الكاف أي أقربهم هلاكا ، أو أشدهم هلاكا . وفي رواية « أهلكهم » بفتح الكاف ، أي كان سببا في هلاكهم .

٢ ـ ومن ذلك اعتبار الشعوب قطعانا تساق بالعصا ، لا أناسا تساس بالعقل . لأنهم يصفقون لكل حاكم ! فهذا ليس صحيحا على اطلاقه .

٣ ـ الشعور باليأس من استجابتها وتأييدها ، مع أن الخير كامن في طبيعة شعوبنا ، والتدين أصيل في فطرتها .

٤ ـ رميها بالفسوق أو اتهامها بالكفر ، مع تحذير النبي ـ ص ـ من ذلك . فإن الاصل هو حمل حـال المسلم على الصلاح ، وتحسين الظن به ما وجد الى ذلك سبيل أي سبيل .

٥ ـ مطالبة العامة من الناس بما يطالب به الخواص من حملة الدعـوة ، ومحاسبتهم على ذلك مع ما يجب مراعاته من الفرق بين أولئك وهؤلاء . فصاحب الدعوة يطلب منه ما لايطلب من سائر الناس ، من اجتناب

الصغائر ، بل اتقاء الشبهات ، والبعد عن المكروهات . والحرص على السنن والآداب ومظاهر المروءة ، لانه موضع قدوة ونظر من الناس .
أما جمهور الناس فينبغي التسامح معهم في كثير من ذلك ، حتى يكفينا منهم أن يجتنبوا الكبائر ، ويؤدوا الفرائض .

حتى بعض مرتكبي الكبائر قد يكون ذا عاطفة دينية حية ، فهو يحب الاسلام وان لم يعمل به ، وينتصر لدعاته وان لم ينضم إليهم . فهـذا يستفاد منه ويتألف قلبه اذا رجي من ورائه خير . وقد قال النبي - ص - لمن لعن رجلا من الصحابة تكرر شربه للخمر : لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله !

ويعني هذا أن جماهير الشعب التي يجب أن تساند الحركة وتناصرها ، لأنها تعبر عن آمالها ، وعقائدها ، وتدافع عن دينها ودنياها معا . تغدو في موضع الخصم للحركة ، والمناوىء لها ، وهذا خذلان عظيم .

هـ - الجمـود :

واعني بالجمود : تحجر الحركة على أسلوب معين في الدعوة ، أو طريقة معينة في العمل ، أو شكل معين في التنظيم ، لا ترضى به بدلا ، ولا تبغي عنه حولا . وان ظهر ضعف أثره ، أو ثبت فشله ، أو حالت الحوائل القاهرة دون الانتفاع به .

ومثل ذلك الجمود على لون واحد من التفكير ، لا تحيد عنه ، ولا تقبل غيره ، بل ترفض مجرد المناقشة فيه ، أو حوله . وكل حوار من هذا النوع يقاوم ويوصف بالهرطقة أو الخروج عن الصف ، أو اثارة الفتنة ، أو غير ذلك من الألفاظ التي تشيع في جو الجمود .

ومعنى هذا هو تحريم كل لون من ألوان الاجتهاد ، واغلاق بابه ، وايجاب « التقليد » و « التمذهب » في الحركة كالذين أوجبوا التقليد والتمذهب في الفقه

والجمود على الأقوال المنصوص عليها ، والأحكام المحفوظة ، وربما كانت هذه الأقوال والأحكام مناسبة لزمنها وبيئتها ، غير مناسبة لزمن آخر ، وبيئة أخرى .

ان الجمود أبرز دلائل الموت ، والحركة من اظهر علامات الحياة . هذا واضح في الكائنات الحية عموما ، وفي الانسان خصوصاً .

والجماعة الحية كالفرد الحي ، لا تستطيع أن تثبت حيويتها الا بقدرتها على الحركة والتجدد أمام الأحداث ، فاذا سد عليها طريق شقت لنفسها طريقا آخر أو طرقا ، واذا أغلق في وجهها باب فتحت لنفسها بابا آخر أو أبوابا .

قد تغلق دور الجماعة الرسمية ولكن لن تغلق أمامها أبواب المساجد ، ولو منعت الحديث العام في المسجد ، فلن يستطيع أحد منعها من الحديث الفردي الى الناس .

وقد تصادر صحيفة الحركة ، أو تمنع أصلا من اصدارها ، ولكن رجالها يستطيعون الكتابة في صحف الآخرين . ولو منع افرادها الكتابة في الصحف ، فلن يمنعوا تأليف الكتب والرسائل ، ولو منعوا ذلك لكان عليهم أن يفكروا في غيره وغيره .

وهكذا اذا توقف العمل بأسلوب وجب البحث عن أسلوب غيره ، واذا تعسر العمل في مجال وجب فتح مجال غيره ، ولو بالهجرة الى مكان آخر .

واذا اقتضت الظروف تجميد نشاط معين أو تقليصه ؛ لأن ضرره أكبر من نفعه ، وخسائره أكثر من مكاسبه ، أو لأن جوانب أخرى من النشاط أكثر نفعا ، أو أحوج الى التركيز ، فلا بأس بذلك ، ولا حرج فيه .

واذا اقتضت الظروف كذلك التخلي عن عنوان معين أو اسم خاص ، فلا مانع منه ، اذا كان من ورائه مصلحة الدعوة ، وخدمة أهدافها .

ان النبي — ص — قبل في معاهدة الحديبية أن يمحو « بسم الله الرحمن الرحيم » ليكتب في موضعها « باسمك اللهم » ويمحو « محمد رسول الله » ليكتب بدلها « محمد بن عبد الله » لأن محو هذه العبارات على ورقة لا يمحو البسملة من مصاحف المسلمين ، ولا من صدور الحفاظ ، ولا ألسنة القراء ، وكذلك رسالة محمد ، سيظل يشهد بها الألوف في الأذان والاقامة والصلاة .

ان المرونة في الوسائل والأساليب والشكليات دليل الحيوية ، وخصوبة التفكير ، وسعة الأفق ، وسماحة النفس ، وهي التي تغيظ الكفار ، وتحير الخصوم ، وقديما قال الشاعر :

البس لكــل حالــة لبوسهــا . امّا نعيمهــا وامّا بوسهــا !

اما الشيء الذي نصر عليه ، فهو « الثبات » على مبادىء الاسلام الأساسية وقيمه العليا ، واهدافه الكبرى للحياة وللانسان ، وان سمىّ بعض الناس هذا « جمودا » فنعم الجمود هو ، ولا يضرنا الاسماء متى وضحت المسميات .

إن الاستمساك بالحق ، والثبات عليه ، والاصرار على نصرته ، ورفض التهاون فيه أو التنازل عنه أو المساومة عليه ، ليس جمودا ولا تعصبا ، بل هو مقتضى الايمان والاسلام . وانما الجمود والتعصّب حقا هو التعصّب للأشكال لا للحقائق ، وللأشخاص لا للمبادىء ، وللأسماء لا للمسميات . الجمود القاتل هو التحجر الذي ذكرناه ، ووقف الاجتهاد في تطوير المناهج ، وتجديد الأساليب ، وابقاء كل قديم على قدمه ، لا لشيء الا لأنه قديم ، وان تغيرت الاوضاع ، وتبدلت الظروف ، وتطورت الأحوال . مع أن المناهج والوسائل يجب أن تلين للزمن ، وتستجيب لمقتضيات التطور ، مادام ذلك في اطار النصوص المحكمة والقواعد العامة للاسلام .

إن العالم يتغير ، والحياة تتطور ، وليس كل ما كان ملائما بالأمس يلائم اليوم ، فقد كان الحصان أسرع وسائل المواصلات بالأمس ، فهل يجوز الاعتماد عليه اليوم في عصر الصاروخ ومراكب الفضاء ؟!

ضعف التنظيم والتخطيط :

ونعني به : ضعف الصلة بين القيادة والجنود ، فلا تعرف القيادة في القمة ماذا يعتمل في أنفس الجمهور في القاعدة ، ولا تعرف القاعدة ماذا عند القيادة من أفكار وأخبار ومواقف ، اما لضعف الارسال في القيادة أو لعجز الاستقبال في القاعدة .

وقد تكون الصلة قائمة ، وقد تصل الأفكار والمعلومات أولا بأول ، ولكن الثقة غير متوافرة . وضعف الثقة يخل بمبدأ الالتزام بالسمع والطاعة في المنشط والمكره ، ولا تنجح حركة ، ما لم يستمر أفرادها على الالتزام بهذا المبدأ ، مستعدين لتنفيذ الأمر ولو كان مخالفا لرأيهم في سبيل مصلحة الجماعة الكبرى .

ومثل ذلك ضعف التخطيط للمستقبل ، وغلبة الارتجال ، وترك الامور تجري في أعنتها ، على طريقة « الجبريين » الذين يرون الانسان مُسيرا لا مخيرا ، وما هو إلا كريشة في مهب الريح ، تقلبها كيف تشاء ، أو طريقة « الآنيين » الذين يستمتعون بالحاضر ، دون اعتبار بالماضي ، ولا تأهب للمستقبل ، على حد ماقال الشاعر :

ما مضى فــات والمؤمل غيـب ولك الساعة التي أنت فيهـــا !

فقدان الروح العلمية :

وللروح العلمية سمات أبرزها :

١ ــ النظرة الموضوعية الى المواقف والأشياء والأقوال والأعمـــال . بغض النظر عن الأشخاص . كما قال علي بن أبي طالب « لا تعرف الحـــق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله » .

٢ ــ احترام الاختصاصات كما قال القرآن « فاسألوا أهل الذكر » «فاسأل

به خبيرا » ولا ينبئك مثل خبير فللدين أهله ، وللاقتصاد أهله ، وللعسكرية أهلها ، ولكل فن رجاله وخاصة في عصرنا ، عصر التخصص الدقيق . أمّا الذي يعرف في الدين والسياسة ، والعلوم والفنون ، والشئون الاقتصادية والعسكرية . ويفتي في كل شيء ، فهو في الحقيقة لا يعرف شيئا .

٣ — القدرة على فقد الذات ، والاعتراف بالخطأ ، والاستفادة منه ، وتقويم تجارب الماضي تقويما عادلا ، بعيدا عن النظرة « المنقبية » التي تنظر الى الماضي على أنه كله مناقب وأمجاد !

٤ — استخدام أحدث الأساليب ، وأقدرها على تحقيق الغاية . والاستفادة من تجارب الغير ، حتى من الخصوم ، فالحكمة ضالّة المؤمن ، انّى وجدها فهو أحق بها .

٥ — اخضاع كل شيء — فيما عدا المسلّمات الدينية والعقلية — للفحص والاختبار والرضا بالنتائج كانت للانسان أو عليه .

٦ — عدم التعجل في اصدار الأحكام والقرارات . وتبني المواقف ، إلا بعد دراسة متأنية ، مبنية على الاستقراء والاحصاء ، وبعد حوار بنّاء ، تظهر معه المزايا وتنكشف المآخذ والعيوب .

٧ — تقدير وجهات النظر الأخرى ، واحترام آراء المخالفين في القضايا ذات الوجوه المتعددة ، في الفقه وغيره ، مادام لكل دليله ووجهته ، وما دامت المسألة لم يثبت فيها نص حاسم يقطع النزاع . ومن المقرر عند علمائنا : أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية . اذ لا فضل لمجتهد على آخر ولا يمنع هذا من الحوار البناء ، والتحقيق العلمي النزيه في ظل التسامح والحب .

الحركة الاسلامية بالأمس :

لقد قامت الحركة الاسلامية الحديثة في العالم العربي منذ بضعة وأربعين عاما .

وقد جمعت كل العناصر اللازمة للحركة الناجحة ، من التجميع والتنظيم والتخطيط ولم تكن في نشأتها عفوية ولا عاطفية ، كما ظن بعض الأخوة المخلصين . فان الذي يطلع على نظمها الأساسية ، ويقرأ رسائلها ونشراتها ويصغي الى المؤسسين من اعضائها ، يؤمن بأنها كانت على قدر كبير من حسن التخطيط والتنظيم ، وعبقرية البناء و « التصميم » وأنها بهرت القريب والبعيد بذلك ، وانها كانت تعرف أهدافها ، وتعرف طريقها . ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . ولا كل ما يخطط له يقدر على تنفيذه ، وحسب المؤمن أن يفكر ويجتهد وينوي ويعمل ، أما النتائج فحسابها الى الله . ولكل امرىء ما نوى ، ولكل مجتهد أجره

ولقد أدّت الحركة الإسلامية خدمات جلى ، وخلقت صحوة في العالم الإسلامي كله ، وأعادت للناس الثقة بالإسلام ، وربّت عشرات الألوف من الشباب الواعين المخلصين الذين وصفوا بأنهم « رهبان الليل وفرسان النهـــار » وصحّحت مفاهيم طالما شاعت بين المسلمين ، وشوّهت جمال الإسلام ، وقدّمت للمكتبة الإسلامية ثروة طائلة في العقيدة والتشريع والأخلاق ، وفي كل جوانب الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية . وكان بجوار مداد العلماء ، دماء الشهداء التي روت بها أرض النبوات « فلسطين » التي تبنت قضيتها ، يوم لم يكن يعي أكثر العرب شيئا عن حقيقة قضية فلسطين ، فهناك تعلم هذا الشباب « صناعة الموت » كيف يموت في سبيل الله ، وكيف يميت أعداء الله .. ودماء أخرى روت ضفاف القناة في مقاومة الاحتلال الأجنبي ، ودماء زكية غيرها ذهبت في مقاومة الطغيان ، يوم حنى الأكثرون رؤوسهم له خوفا ، وسار كثيرون في ركابه طمعا !

ولولا أن الحركة أثبتت وجودها بالفعل قبل القول ، ما تألّب الأعداء عليها وأحاطوا بها من كل جانب ، وحركوا عملاءَهم هنا وهناك ، لينزلوا بها ضربات دامية ، ومحناً قاسية ، سيقشعر العالم لهولها يوم يكتبهـــا التاريخ ،

وسيكتبها عن قريب — إن شاء الله [1] — .

وليس معنى هذا أن الحركة سليمة من العيوب ، خالية من المآخذ ، كلا .. فلا شك أن كثيرا من المآخذ والمعوقات التي جعلناها معوقات من داخل الحركة. قد أصابها شيء منها بقدر ما ، يختلف من معوق لآخر ، ولا ريب أن الحركة تحاول التغلب على المعوقات وتلافي أسباب الضعف والانكماش ، وتجاهد للأخذ بأسباب القوة والنمو ، حريصة على أن يكون يومها خيراً من أمسها ، وأن يكون غدها خيراً من يومها ، ومن سار على الدرب وصل ، إذا صلحت النية ، وصدقت العزيمة .

الحركة الإسلامية غداً : ملامحها وقسماتها :

أكتفي هنا بأن أضع خطوطا عريضة ، هي بمثابة الملامح والقسمات المعبرة عن وجه الحركة الإسلامية المنشودة ، المرجوة لغد الأمة الإسلامية ، كما أتصورها ، وهي تأكيد وتفريع للمعاني التي ذكرتها في هذا الفصل :

١ — ان تعمل وتحافظ وتحرص على تقوية الرابطة بين أبنائها ؛ **فكرياً** بتنمية المفاهيم المشتركة ؛ **وروحيا** بتعميق معنى الأخوة في الله . **وأخلاقيا** بتثبيت فضائل التسامح وخفض الجناح ، وترك المراء ، والتماس الأعذار ، وتقدير وجهات نظر الآخرين وأشباهها . **وإداريا** بوحدة التنظيم ووحدة القيادة .

---

(١) ما ذكرناه هنا مجرد إشارات ورموز لما قدمته الحركة الاسلامية الحديثة والتفصيل يحتاج إلى كتاب ، بل كتب . وللأسف لم يكتب تاريخ الحركة الاسلامية الى اليوم كتابة علمية منظمة . وهذا مما يؤخذ على رجالها . ويمكن الرجوع لشيء من هذا التاريخ في مثل : مذكرات الدعوة والداعية للشهيد حسن البنا .. الإخوان المسلمون في حرب فلسطين .. والمقاومة السرية في قناة السويس للأستاذ كامل الشريف .. الاخوان والمجتمع المصري للأستاذ شوقي زكي .. الاسلام فكرة وحركة وانقلاب للأستاذ فتحي يكن .. الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة للدكتور اسحاق الحسيني .

٢ — أن تغلّب العمل للحاضر ، والتخطيط للمستقبل ، على التغني بأمجـاد الماضي السارة ، أو اجترار آلامه المحزنة ، فهذا وذاك عمل سلبي لا يؤتي ثمرة ، ولا يجيء بنتيجة .

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عـن النسـب
إن الفتى من يقول : ها أنـذا ليس الفتى من يقول : كان أبي !

٣ — أن تهتم بالتربية والتكوين ، على قدر اهتمامها بنشر الفكرة ، فلا يكفي أن تضم إليها أعداداً هائلة ، لا تقدر على توجيههم وحسن تربيتهم ، ولهذا يجب عليها أن تهتم بتربية الطليعة المؤمنة الواعية التي يبزغ منهـا القادة والموجهون والمربون .

ومعنى هذا أن تعنى بالكيف قبل الكم ، وباللباب لا بالقشور ، فرب قلة واعية مؤمنة خير من كثرة كغثاء السيل ، فليس المهم هو العدد اذن ، بل انتقاء العناصر الجيدة ، والمعادن الأصيلة ، وفي الحديث « الناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة . »

٤ — أن تربي ابناءها على أن العمل للاسلام هو في ذاته واجب ديني وعبادة وقربة إلى الله ، أثمر في الدنيا نصرا ونجاحاً أم لم يثمر ، وان المطلوب من المسلم هو السعي والجهاد لا النجاح والانتصار . وأن الله لن يسأل الناس يوم القيامة لماذا لم تنتصروا ؟ بل : لماذا لم تعملوا ؟

على أن انتشال الفرد المسلم من براثن الجاهلية الحديثة هو في نفسه غاية يسعى إليها وكسب يحرص عليه ، فلا يهون أحد من شأنه ، ولا يقولن في يأس : وماذا وراء ذلك ؟

٥ — أن تعلم ابناءها أن الصدع بما أمر الله والجهر بالدعوة في وجوه المخالفين والمعاندين ، والثبات على العقيدة والفكرة ، والصبر على طول الطريق ، وشدة وعثائه ، وكثرة قطاعه — من أعظم الجهاد في سبيل الله ، وهو

الذي نزل فيه أول سورة العنكبوت :

« ألم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ... ومَن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين » وآخر سورة العنكبوت « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » . وهو الذي أمر به الرسول في سورة الفرقان المكية « فلا تطع الكافرين ، وجاهدهم به (أي بالقرآن) جهاداً كبيراً » سماه الله جهاداً كبيراً ، حتى لا يهوّن أحدٌ من قدره في يوم من الأيام .

٦ ـ أن تحاول ملء الفراغ عند افرادها ، بما ينفعهم وينفع بالتالي حركتهم معهم ، وأن تشغل كل فئة بما يناسبها ، ولتحذر من طول الفراغ فإنه ممل وقاتل ، ولا يؤدي إلا إلى اليأس والانقطاع ، أو الميل والانحراف .

٧ ـ أن تضع كل فرد في موضعه وفقا لموهبته وخبرته ، حتى يحسن أداء دوره فيه ، ولا تحقر من دور امرىء ما ، مهما ضؤل حجمه أو صغر شأنه ، فإنما لكل امرىء ما نوى ، والله لا ينظر إلى الصور بل إلى القلوب . وفي عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لخالد بن الوليد مكانة ولحسان مكانة ، ولأبي هريرة مكانة ، وكلٌ مجاهد في سبيل الله .

٨ ـ ألا تضخّم جانبا على حساب جانب أو جوانب أخرى ، بل توازن بينها بالمعروف ، وتعطي كل جانب حقه ، لا إسراف ولا تقتير ، فلا تهمل التربية الفكرية من أجل التربية الروحية ، ولا الروحية من أجل الفكرية ولا تغفل التوعية السياسية ، بسبب الإعداد البدني أو الجهادي ، ولا العكس ، ولا تقصر في التفقيه الشرعي من أجل التثقيف الحركي ، ولا العكس . وهكذا في كل النواحي .

٩ ـ أن يعلو فيها صوت العقل على صوت العاطفة ، وحجة الفقيه على جلجلة الخطيب ومنطق المفكرين على مشاعر المتحمسين ، وأن يتقدم فيها من هو

أنضج فكراً ، لا من هو أطول لساناً .

وأن تزين أعمالها وتصرفاتها وفقا لأحكام الشرع ومصلحة الفكرة ، لا استجابة لشعور وقتي ، ولا إرضاء لحماسة العامة ، أو اهواء الخاصة .

١٠ — أن تقلع عن التشديد والتزمت ، وتتبنى جانب التيسير على النـاس في التشريع والأحكام والآداب الاجتماعية ، وخاصة فيما عمت به البلوى عملا بحديث « يسّروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » وبسُنَّة النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه « ما خُيِّر بين امرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً »

١١ — أن تعمل على تحديد « المفاهيم » وضبط مدلول الكلمات السيّالة ، فلا تدع أنصارها ولا خصومها يضعون لها تفسيرات شتى من عند أنفسهم ، ما بين موسع ومضيق ، ثم ينسبونها إليها ، مثل مفهوم « الجاهليـة » ومفهوم « القومية » أو « الوطنية » أو « الحرية » أو « الحاكمية » وغيرها ..

١٢ — أن تتخذ الرفق لها شعاراسواء في دعوة المحايدين ، أم في مناقشة الخصوم ، أم في معاملة الأنصار ، متخذة من الرسول الأعظم أسوة حسنة « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» وما دخل الرفق في شيء إلا زانه ، ولا دخل العنف في شيء إلا شانه والله يحب الرفق في الأمر كله ، مع عدم إخلال ذلك بالحزم الواجب ، والشدة في موضع الشدة .

١٣ — أن تتجنب الثنائية في القيادة والعمل ، فلا تسمح بوجود قائد سري ، وآخر علني ، ونظام في النور ، وآخر تحت الأرض ، وقادة رسميين ظاهرين في « الفترينة » وآخرين أخفياء يعملون في « الورشة » ، وإنما جماعة واحدة ، وقيادة واحدة ، وعمل مشترك ، يتحمل الجميـع مسئوليته .

١٤ ــ أن تخلع المنظار الأسود حين تنظر إلى الأفراد والمجتمع من حولها ، فلا تسارع إلى اتهامهم بالكفر ، وإخراجهم من الإسلام ، بأمور قابلـة للتأويل ، محتملة للجدال ، والأصل : تقديم حسن الظن ، وحمل حال المسلم على الصلاح ، وابقاؤه على أصل الإسلام ما وجد إلى ذلك سبيل . وأكثر الذين يُتّهمون بالكفر هم في الحقيقة جهال يجب أن يتعلموا ، لامرتدون يجب أن يقتلوا ، وقد عصمت دماءَهم وأموالهم « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » وحسابهم بعد ذلك على الله .

أما الذين شرحوا بالكفر صدرا ، وأعلنوه جهرة ، فيجب أن يوضعوا حيث وضعوا أنفسهم ، وكل امرىء بما كسب رهين .

١٥ ــ ألا تستعجل الطريق إلى أهدافها ، وتحاول قطف الثمرة قبل نضجها ، فالعجلة من الشيطان ، وهي لا تؤدي إلى خير . وعليها أن تعتصم بالصبر واليقين ، فهما جناحا الإمامة في الدين « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون [١] »

ومن ذلك : ألا تتعجل الاصطدام بالسلطات ، لا لمجرد حب السلامة ، وطلب العافية ، ولكن لتوفير طاقات ابنائها ، وتجنيبهم الشدائد ما امكنها ، إلا ما فرض عليها فتتحمله وهي صابرة محتسبة ، وفي الحديث « لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، ولكن إذا لقيتموه فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » . وكان عمر ــ رضي الله عنه ــ لايحب المجازفة بالمسلمين في حرب يخشى عواقبها حتى قال يوماً : « لمسلم واحد أحب اليّ من الروم وما حوَت ! »

١٦ ــ أن تجانب الغلو في كل أمورها ، فقد جاء في الحديث : « إياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

فلا تغلو في الحب اذا أحبَّتْ ، ولا في الكره اذا كرهتْ . لا تضفي على

---

(١) سورة السجدة : ٢٤

من تحب قداسة الملائكة ، ولا تلقي على من تكره نجاسة الشياطين . لا تعرف للأول سيئة ، ولا تذكر للثاني حسنة . فهذا ضد العدل الذي أمر به الاسلام مع العدو والقريب .

ومثل ذلك المدح والذم ، والإقبال والإعراض . والنظر إلى النفس . والى الغير .

ومن ذلك : ألا تبالغ في تقدير طاقاتها ، تضخيما وتهويلا . فتغتر وتطغى ، أو تصغيرا وتهوينا ، فتيأس وتفتر . ورحم الله آمرءا عرف حده ، فوقف عنده .

١٧ — أن تتعصب للمبادىء لا للأشخاص ، وللحقائق لا للأشكال ، وللفكرة لا للجماعة ، وللمسميات لا للأسماء .

١٨ — أن تقوّم تجاربها ومواقفها ، وتستفيد من أخطائها ، ومن تجارب كل الحركات الإسلامية المعاصرة أو السابقة ، ولا حرج على العامل أن يخطيء مادام خطؤه بعد تحرّ واجتهاد ، إنما الحرج أن يتمادى في الخطأ ويصرّ عليه ، ولا يستمع إلى نصيحة أو تنبيه . ومعنى هذا : أن يكون عندها القدرة على نقد ذاتها ، وإعادة النظر في خططها . وترتيب أهدافها . وتطوير وسائلها وتحسينها ، أو تغييرها إذا اقتضى الأمر . ولا نكتفي بالتقليد وإبقاء القديم على قدمه ، وإغلاق باب الاجتهاد على من يقدرون على التفكير والتجديد . فليس وراءَ هذا إلا الجمود . وليس وراءَ الجمود إلا الموت .

١٩ — أن ترحب بكل نقد بناء مخلص ، ولو جاءَ من خصم لها ؛ فقد تصحح به خطأ ، أو تسدّ به فجوة ، أو توقف به غلوا ، أو تمنع به انحرافا . ورضي الله عن الإمام الشافعي الذي نسبوا إليه قوله :

عداتي لهم فضل عليّ ومنـــــة ... فلا باعد الرحمن عني الأعاديا
فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتهـــا ... وهم نافسوني ، فارتكبت المعاليا

٢٠ ــ أن تتجه إلى الإيجابية والبناء ــ بدل السلبية والهدم ــ شعارها : نبني ولا نهدم ، نجمع ولا نفرق ، نقوي ولا نضعف .

٢١ ــ أن تغسل صدرها من الضغينة والحقد ، ولو على خصومها ، وأن تعامل الناس بالسماح والحب ، حتى يفهم الناس أن أبناءها أصحاب رسالات لا طلاب ثارات .

٢٢ ــ أن تتبنى موقف التسامح والود مع المخالفين في الرأي ، وتتعاون مع كل عامل للإسلام غيور عليه ، متخذة شعارها قاعدة المنار الذهبية : «نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه .»

٢٣ ــ ألا تستهلكها المعارك المؤقتة ، والمسائل الجانبية ، ودوامة السياسة اليومية والخلافات الحزبية التي لا تنتهي ، بل توفر جهدها ووقتها وطاقتها للمعارك المصيرية ، والقضايا الكبيرة .

٢٤ ــ أن تقدر لكل ذي جهد جهده ، وتشكر لكل ذي جهاد فضله ، من فرد أو جماعة ، ممن سبقوها أو عاصروها ، ولو لم يكونوا أنصاراً لها ، فإن من خصال الإيمان الإنصاف من النفس ، والعدل ولو مع العدو «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» «ولايجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا»

هذه ــ كما قلت ــ ملامح وقسمات للحركة الإسلامية المنشودة ، ذكرتها على وجه الاشارة والاجمال ، حتى ييسر الله لي التوضيح والتفصيل فيما بعد أو يتولاه من هو أقدر مني على ذلك من دعاة الحركة ومفكريها . والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

الفهرست

مطبعة الحريّة - بيروت

« كتب للمؤلف »

1 ـ فقــه الزكاة

2 ـ العبادة في الاسلام

3 ـ عــالم وطاغيــة

4 ـ درس النكبة الثانية

5 ـ الحلال والحرام في الاسلام

6 ـ النــاس والحــق

7 ـ الايــمان والحيــاة

8 ـ سلسلة حتمية الحل الاسلامي

أ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا

ب ـ الحل الاسلامي حتمية وضرورة

ج ـ أعداء الحل الاسلامي .. تحت الطبع

د ـ شبهات المشككين والمرتابين . تحت الطبع

تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت ـ شارع سوريا ـ بناية صمدي وصالحة

ص.ب 7460 هاتف 295501

الثمن : 800 ق. ل.